

مَا لَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ
الْوَاعِظُ وَالْعَابِدُ

٢

إتحاف الأكابر
بنهذيب

كتاب الكبائر

للإمام الحافظ شمس الدين الذهبي

المنوفى ٧٤٨ هـ

تحقيق وتهذيب وترتيب

الدكتور / أسامة محمد عبد العظيم حمزة



دار الفتح

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الطبعة الثانية

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ مقدمة الطبعة الثانية ﴾

الحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد وأنزله المقعد المقرب منك يوم القيامة.
أما بعد..

فقد تنوعت زيادات التحقيق في هذه الطبعة - فشملت العناية بما يلي :

- تصحيح الأحاديث في عشرين موضعًا كما في الصفحات: (٢٦ هـ، ٣٠، ٣١، ٥٨ هـ، ١، ٦٢، ٧٥، ٧٨، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٣، ١٦٩، ١٩٤، ٢٠٠، ٢١٠، ٢١٧، ٢٢٥، ٢٥١، ٢٦٧، ٢٨٥).

- تخرّيج بعض الأحاديث التي فات تخرّيجها في الطبعة السابقة في الصفحات: (٧٩، ١٩٧، ٢٥٤).

- توضيح معاني بعض الأحاديث في موضعين بصفحتي: (١٧٥، ٢١١).

- إدخال الاستدراكات التي سبق إلحاقها بآخر الكتاب في صُلب الكتاب.

- إصلاح المواضع التي كانت بجدول تصويب الأخطاء - من قبل - .

- تصويب بعض الكلمات كما في صفحتي: (٥٧، ١٢٥).

وأخيرًا.. لا نملك إلا أن ندعو الله تعالى بأن ينفع بالأصل والزيادة وأن يخلف على من كان سببًا فيها ويبارك لهم في أوقاتهم.

والحمد لله ربّ العالمين ،،،

أ.د/ أسامة محمد عبد العظيم حمزة

القاهرة في الأحد: ١٥ من ذى القعدة الحرام ١٤٢٨ هـ

الموافق ٢٥ من نوفمبر ٢٠٠٧ م

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].
 أما بعد ..

فقد حاز الشرف في إخراج هذا السفر النفيس إلى عالم الطباعة - لأول مرة - العلامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، المدرس بالمسجد الحرام، حيث قام / بتخريج نصوصه وربما شرح غريب أحاديثه، أو نبه على فائدة، أو ترجم لبعض من ذكر فيه من الأعلام مع الإشراف على طباعته معتمداً - في ذلك - على ثلاث نسخ مخطوطة، وذلك في سنة ١٣٥٥ هـ فجزاه الله خيراً وأحسن مثوبته.

ثم تتابع الناس على طباعته مع حواشي الشيخ / وحصلت الهداية لكثير بسببه وعظم نفعه؛ فرجع الفضل إلى السابق، وإن عدم من اللاحق ذكراً أو شكراً.
 وكتاب الكبائر - كما قال محققه الأول - (نافع مفيد في بابه؛ فهو عضد الخطيب والواعظ، وسلوى الحائر والجازع، وترقيق قلب القاسي، وتزهيد عن فضول حطام الدنيا، وزجر عن المعاصي والمهلكات الفوارق).

وذلك ببركة ما اشتمل عليه من مواظب الآيات البيّنات، ورقائق الأحاديث الشريفة، وزواجر القصص والأشعار، فضلاً عن الأحكام الفقهية، والآثار عن السلف الصالح.

وقد كان شوق بعض المتعلمين - من أهل الدين - إلى تكميل مقاصده - من زيادة إيضاح أو تصحيح رواية، أو تحرير لفظ، أو ترتيب نظم، أو حذف حشو - قد صدهم عن هذا الكتاب، وحال بينهم وبين الاستفادة منه.

فلذلك توجه العزم - بعد الاستعانة بالله تعالى، ومنه الحول والقوة - إلى إزالة تلك الموانع، وإمالة ما كان من القواطع، حتى يعم نفعه، بأن ينهل منه المتعبد والعالم، ويرجع إليه المربي والواعظ: يستفيد منه في درسه، وخطبته، ووعظه.

وإن كان شرح الصدر لهذا الغرض من قبل ما يقارب التسع سنوات، فقد حال دون الوصول إليه مهمات وملهمات، حتى ظهر للكتاب ثنتان من الطبعات المحققات^(١) لكن ذلك لم يثن العزم عن مدافعة العقبات؛ لاختلاف الصنيع من تطويل الذيول والتعليقات، والإفاضة في تعداد المراجع مع إمكان الاستغناء ببعض المذكورات وغير ذلك مما يليق بالكتب الخصوصية، لا ما يقصد منه الحاجات العموميات.

فدونك - أيها العابد الناسك والواعظ العالم - كتاب الكبائر في حلته الجديدة مزداناً بتحقيق وتهذيب وترتيب، إليك بيانه:

أولاً: التحقيق

وقد شمل الأغراض الآتية:

الأول: العناية بالنصوص القرآنية وذلك:

- أ- بمراجعتها مع الدلالة على مواضعها من سورها، وجعل ذلك في صلب الكتاب.
- ب- زيادة تفسير ما ترك الإمام الذهبي تفسيره من الآيات الكريمة، وذلك بالنقل من

(١) الأولى: طبعة مكتبة دار السلام بعناية الأستاذ عبد الرحمن فاخوري.

والثانية: طبعة مكتبة دار الصابوني بتحقيق الأستاذ عبد المحسن قاسم البراز، وقد بذل كل من المحققين الفاضلين جهداً مشكوراً؛ لكنه زائد عما يحتاجه كتاب غرضه وعظ العوام وزجرهم.

كتب التفسير المعتمدة.

ج- زيادة آيات يحتاج إليها السياق مع ضم تفسيرها إليها مثل:

١- الآية الأولى في كبيرة الكبر والفخر والخيلاء، صفحة (٢٩).

٢- الآيتين الأولى والثانية من كبيرة الكذب الذي فيه حد أو إضرار، صفحة (٢٧٦).

الثاني: العناية بنصوص الأحاديث:

أ- مراجعة جميع أحاديث الكتاب وضبطها لتوافق ما في كتاب (رياض الصالحين)

للنووي، وكتاب (الترغيب والترهيب) للمنزري، ونقل ما يتعلق بشرح الغريب

ودرجة الحديث منهما، مع إضافة رقم الصفحة والجزء في صلب الكتاب^(١) اعتمادًا

على طبعة الشيخ رضوان محمد رضوان للأول، والشيخ محمد منير الدمشقي للثاني.

ب- وما لم يكن في الكتابين السابقين فقد تم تخريجه وضبطه وعزوه إلى مصدره في هامش

الكتاب غالبًا.

ج- تصدير الأحاديث الضعيفة بصيغة (روي) مهملة عن نسبتها للنبي ﷺ مع التعليق

المشتمل على برهان ضعفها في الهامش أحيانًا.

د- إثبات أحاديث صحيحة بدلًا من الأحاديث الضعيفة وذلك في بضعة عشر موضعًا،

مع زيادة قريب من هذا العدد من الأحاديث الصحيحة.

هـ- توضيح ما نُسب للنبي ﷺ من أقوال بذكر نص الحديث الدال على كل منها مع تخريجه

والكلام على إسناده كما في كبيرة اللعن، وغيرها.

الثالث: العناية بنصوص الكتاب، وذلك بالأمور الآتية:

أ- زيادات لتوضيح سياق الكلام وضعت بين قوسين معقوفين ونُبّه عليها في هامش

الكتاب غالبًا.

ب- شرح غريب الكلمات والعبارات بالرجوع إلى كتب اللغة وغيرها.

(١) وإنما أدخل ذلك في صلب الكتاب تيسيرًا على القارئ الذي ربما وجد عناء في الرجوع إلى الهامش أو ظن الاستغناء عنه،

أو هاب النظر إليه، مع ما في ذلك من تطويل وزيادة في حجم الكتاب.

- ج- توجيه الفروع الفقهية؛ بذكر مذاهب العلماء وأدلتهم، إذا احتاج الأمر لذلك^(١).
- د- مراجعة عبارات الكتاب، وتوثيق نصوصه، وإصلاح ما يلزم إصلاحه؛ بالرجوع إلى المصادر: كالزواجر، وإحياء علوم الدين، والأذكار وغيرها^(٢).
- هـ- كما تم نقل (فائدة فيها من كلام الناس ما هو كفر صرح به العلماء) إلى كبيرة الشرك، فقد أضيف إليها هوامش مبينة موضحة.

الرابع: استكمال موضع الخرم:

فقد ختمت الكبيرة الثالثة والستون وهي كبيرة (الأمن من مكر الله)^(٣) بعبارة: سُئل الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- وأبتدأ السياق في صفحة جديدة بعبارة: (ينادي مناد من قبل العرش) إلى أن قال: يا عبدي فما ظنك بي؟ فيقول: يا رب أن تعفو عني. مما يدل على انقطاع السياق وتغير الموضوع بحيث يغلب على الظن أن السياق الجديد من كبيرة أخرى هي (اليأس من رحمة الله) وقد صدق هذا الظن بمراجعة (الكبائر وتبيين المحارم)^(٤).

وقد استكمل النص المنقوص آخر كبيرة (الأمن من مكر الله)، بالرجوع إلى مناقب الشافعي للبيهقي ومختصر التذكرة للقرطبي، ثم ختمت الكبيرة بما يشبه المألوف والمعهود من ختام المصنف.

وأما كبيرة (اليأس من رحمة الله) فقد ذكر في مقدمتها من الآيات ما يمنع من القنوط، ويحمل على الرجاء على ما في سياق الزواجر^(٥)، مشفوعة بتفسيرها على النحو المطرد في الكتاب، ثم تبع ذلك ذكر أحاديث صحيحة بما يوازي المقدار الساقط، وختمت بها وجد في أصل المخطوطة^(٦).

(١) كما في الصفحات (٦٨-٧٦-١١٥).

(٢) كما في الصفحات (٢٠٢-٢٠٣).

(٣) وهي في هذا الكتاب برقم (٦).

(٤) الكبائر وتبيين المحارم (١٦٢-١٦٣).

(٥) الزواجر (١١٣).

(٦) المعهود من صنع ابن حجر الهيتمي -بالاستقراء- استقصاؤه بذكر جميع ما في كتاب الكبائر ثم زيادة ما شاء بحيث يمكن تغليب الظن بأن ما سوى هذه الزيادة المعهودة هو من كتاب الذهبي.

ثانياً: التهذيب

ومقصوده ضم المسائل إلى نظائرها، أو نقلها إلى المواضع المناسبة لها، أو حذف بعضها للاستغناء عنه فتضمن الأمور التالية:

الأول: نقل ما يتعلق بالرياء من كبيرة (الشرك بالله) إلى الكبيرة المختصة بالرياء.

الثاني: إعادة توزيع المادة العلمية للكبائر المختصة بالتهاون في الصلاة وهي:

الكبيرة الرابعة: في ترك الصلاة.

الكبيرة الخامسة والستون: في تارك الجماعة فيصلي وحده من غير عذر.

الكبيرة السادسة والستون: في الإصرار على ترك صلاة الجمعة من غير عذر^(١)؛ حتى

تحصل المناسبة بين العنوان والمضمون، ويتحقق الوفاء بالغرض.

الثالث: نقل قول الخطابي المذكور في آخر كبيرة السحر إلى كبيرة (تصديق الكاهن

والمنجم) لكونه أليق بها.

الرابع: نقلت آخر فقرة في كبيرة اللواط إلى كبيرة إتيان الكاهن، وكذلك تغيير موضع

آخر كبيرة (الغلول من الغنيمة) إلى كبيرة (الظلم).

الخامس: اشتملت كبيرة (التكذيب بالقدر) على (فائدة: فيها من كلام الناس ما هو

كفر صرحت به العلماء) فناسب أن تنقل إلى كبيرة الشرك^(٢).

السادس: نقل موضعين من صلب الكتاب إلى هامشه.

الأول: هامش صفحة (٢٥٣).

والثاني: الأحاديث التي لم يمكن عزوها أو الاستدلال عليها في (فصل في جواز لعن

أصحاب المعاصي غير المعينين).

(١) وهي في كتابنا الكبيرة الرابعة عشرة والسادسة عشرة على الترتيب.

(٢) وهذا موافق لصنيع الميثمي في الزواجر (٣٨).

السابع: حذف في مواضع من الكتاب يحسن التنبيه عليها مع بيان سببه:

• أولاً: الآيات القرآنية

أ- أكتفي عن ذكر قوله تعالى: ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ في كبيرة (قذف المحصنات) بما قبلها من الآيات؛ وذلك لعدم دلالتها على المقصود إلا بالواسطة.

ب- وقع في كبيرة (الكذب في غالب أقواله) ^(١) سهو ترتب عليه ظن أن (ألا لعنة الله على الكاذبين) آية، وأقرب ما في التنزيل إلى سياقها قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نَبَّهْنَا فَتَجَعَلَ لُعْنَتُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١] أو ﴿ أَنْ لُعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [النور: ٧] وهما لا شاهد فيهما، فلذلك حذفت.

ج- ولم يذكر قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ في كبيرة (أذى المسلمين وشتمهم) للاكتفاء بذكرها في كبيرة (التسمع على الناس ما يسرون).

د- حذف من كبيرة (المكاس) ما ذكره الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ لضعف إسناده.

هـ- وأيضاً حذف من كبيرة (الاستطالة) ما ذكره الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُفْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ لعدم مناسبتها ^(٢).

• ثانياً: الأحاديث النبوية

أ- ذكر الإمام الذهبي في كبيرة (غش الإمام الرعية) حديثاً بلفظ: «الإمام العادل يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وهو رواية للحديث الصحيح بالمعنى، وقد ذكر نصه في صفحة (٢١٦).

ب- حذف من كبيرة (الكذب في غالب أقواله) حديث «إياكم والظن...»؛ لأنه لا يدل على التحذير من الكذب إلا بالواسطة أي فإذا كان الظن منهياً عنه؛ لكونه كذباً فأولى

(١) وهي مما غير اسمها إلى (الكذب الذي فيه حد أو إضرار) وهي ص ٢٧٦.

(٢) وعبارته قال الواحدي: في قوله تعالى: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُفْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ أخبرنا أحمد ابن محمد ابن إبراهيم المهرجاني بإسناده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال: «يا معاذ» قلت: لبيك وسعديك يا رسول الله قال: «هل تدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» اهـ حيث خلا عن ذكر شيء يتعلق بالاستطالة والحديث صحيح. رواه البخاري (٧/٢١٧)، (٨/٧٤).

أن يكون الكذب كذلك منهياً عنه.

ج- كما لم يذكر في كبيرة (الكبر) حديث «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل... إلخ» لذكره في كبيرة (إسبال الإزار)؛ لكونه أليق بها.

د- حُذِفَ من الأحاديث الضعيفة بضعة وثلاثون حديثاً لا يتعلق بذكرها غرض.

• ثالثاً: الآثار وأقوال السلف

أ- ذكر الذهبي في كبيرة شرب الخمر قول ابن مسعود ؓ (إذا مات شارب الخمر فادفنيه ثم اصلبوه على خشبة، ثم انبشوا عنه قبره؛ فإن لم تروا وجهه مصروفاً عن القبلة وإلا فاتركوه مصلوباً) فحذف من موضعه؛ لتعذر تحقيق نسبته أولاً ولشناعته وعدم موافقة ما دل عليه لظواهر الشرع ثانياً.

ب- ذكر الذهبي في كبيرة هجر الأقارب قول علي بن الحسين لولده: (يا بني لا تصحبن قاطع رحم؛ فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع) فبعد التقصي لم يوجد لعنه إلا في موضعين: الأول في سورة القتال آية (٢٢)، والثاني في سورة الرعد آية (٢٤).

• رابعاً: الحكايات

حذفت حكاية في كبيرة عقوق الوالدين وهي الخاصة بعلقمة وأخرى في كبيرة هجر الأقارب؛ لكونها لا أصل لها.

ثالثاً: الترتيب

وبه تحققت مطالب: إعادة الترتيب الخارجي، وتنسيق التركيب الداخلي، وتغيير الأسماء.

أ- إعادة الترتيب الخارجي

- حصر الإمام الذهبي الكبائر في سبعين كبيرة، بناء على قول ابن عباس: (هي إلى السبعين أقرب) ورتبها مقدماً الكبائر التي اشتمل عليها حديث أبي هريرة ؓ المرفوع: «اجتنبوا السبع الموبقات...».

فكانت كبيرة الشرك أولها، ثم كبيرة قتل النفس، ثم كبيرة السحر، وأما أكل مال

اليتم في الكبيرة الثالثة عشرة، وقبلها أكل الربا، والتولي يوم الزحف في الكبيرة الخامسة عشرة، وقذف المحصنات في الكبيرة الحادية والعشرين.

ثم صار سرد الكبائر -بعد ذلك- على غير قانون معروف مما يصعب معه الاهتداء إلى مواضع قضايا الكتاب.

وتوسع الإمام ابن حجر الهيتمي -في كتابه (الزواجر عن اقتراف الكبائر)- فاجتمع له في حصر الكبائر سبع وستون وأربعمائة كبيرة^(١).

ورتب الهيتمي كتابه على مقدمة في تعريف الكبيرة وباين، جعل أحدهما: للكبائر الباطنة^(٢) وما يتبعها مما ليس له مناسبة بخصوص أبواب الفقه.

قال^(٣): والثاني في الكبائر الظاهرة، وأرتب هذه على ترتيب أبواب فقهاء معشر الشافعية لما في ذلك من تيسير الكشف عليها في محالها. اهـ.

وقد أعيد ترتيب كتابنا هذا ليوافق ترتيب (الزواجر) ما عدا كبيرة (أذية أولياء الله)، فقد تبعت كبيرة (أذى الجار) وكبيرة (أذى المسلمين) للتناسب البين بينهما. فنأظر الباب الأول من (الزواجر): الكبائر من الأولى حتى الحادية عشرة، وكان بقية الكتاب للكبائر الظاهرة.

(١) دعاه إلى ذلك ما تفاحش من ظهور الكبائر، وعدم أنفة الأكثرين عنها في الباطن والظاهر، وأن أبناء الزمان وإخوان الله والنسيان قد غلبت عليهم دواعي الفسوق، والخلود إلى أرض الشهوات والعقوق، والركون إلى دار الغرور، والإعراض عن دار الخلود، ونسيان العواقب، وعدم المبالاة بالمعائب، حتى كأنهم أمنوا عقاب الله ومكره، ولم يدروا أن ذلك الإمهال إنما هو ليحق عليهم قهره. (٥-٦) الزواجر.

(٢) قال الهيتمي: وقدمتها لأنها أخطر، ومتركبها أذل العصاة وأحق؛ ولأن معظمها أعم وقوعاً، وأسهل ارتكاباً، وأمرٌ ينبوعاً، فقلما ينفك إنسان عن بعضها، للتهاون في أداء فرضها، فلذلك كانت العناية بهذا القسم أولى، وكان صرف عنان الفكر إلى تلخيصه وتحريره أحق وأحرى.

ولقد قال بعض الأئمة: كبائر القلوب أعظم من كبائر الجوارح؛ لأنها كلها توجب الفسق، والظلم، وتزيد كبائر القلوب بأنها تأكل الحسنات، وتوالي شذائد العقوبات، ولما ذكر بعض الأئمة الكبائر الباطنة وأوصلها إلى أكثر من ستين. قال: والذم على هذه الكبائر أعظم من الذم على الزنا، والسرقة، والقتل، وشرب الخمر؛ لعظم مفسدتها وسوء أثرها ودوامها، فإن آثارها تدوم بحيث تصير حالاً للشخص، وهيئة راسخة في قلبه، بخلاف آثار معاصي الجوارح؛ فإنها سريعة الزوال بمجرد الإقلاع مع التوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ﴿إِنْ أَحْسَنْتَ يُذْهِبَنَّ كَسِبَتَكَ ذَلِيلًا﴾ (٢٤) الزواجر.

(٣) الزواجر (٦).

ب- تنسيق التركيب الداخلي

وقد أعيدت صياغة المادة العلمية لكل كبيرة، بحيث أصبحت كلها على نسق واحد؛ يبدأ بالآيات الكريمة التي تتعلق بالغرض، ثم بالأحاديث الصحيحة، ثم بأقوال الصحابة والسلف، ثم بالأحاديث الضعيفة، وقد صُدِّرت بكلمة (روي)، وأهمل عزوها للنبي ﷺ؛ دفعا لتوهم صحتها مع التعليق عليها أحيانا، أما الحكايات والمواعظ والأشعار فقد أخرجت لموضعها من الالتباس بها.

ج- تغيير الأسماء

وكذلك كانت تسمية الإمام ابن حجر الهيثمي لعناوين الزواجر أدق وأدل على المقصود، فلم يكن بد من الاستعانة بها والاستفادة منها، حتى نال بضعا وعشرين كبيرة.

- فبينما سمي الذهبي الكبيرة الأولى (الشرك بالله) وضمَّنها الكلام على نوعيه الأصغر والأكبر، وقد اختص الرياء -وهو من الشرك الأصغر- بكبيرة منفردة فالكبيرة الأولى سُميت هنا (الشرك الأكبر) تمييزا عن الشرك الأصغر الذي هو الرياء الذي اختص الكلام عليه بالكبيرة الثانية في الترتيب.

- وسمى الذهبي الكبيرة الرابعة (ترك الصلاة) فأوهم شمول كل ترك ولو نسيانا ويزول الوهم بتسميتها (تعمد ترك الصلاة).

- وخصصت الكبيرة الثانية عشرة للربا، فعدلت إلى (أكل الربا) إذ هو فعل المكلف الذي يوصف بالكبيرة.

- وتبعاً للهيتمي تغيرت أسماء الكبائر الآتية:

-الكذب في غالب أقواله إلى الكذب الذي فيه حد أو إضرار.

-الخيانة إلى الخيانة في الأمانة.

-أذية عباد الله والتطاول عليهم إلى أذية أولياء الله؛ لاندرج معنى التطاول فيها.

-الإصرار على ترك صلاة الجمعة إلى الإصرار على ترك صلاة الجمعة من غير عذر.

ولما كان التعبير بالمصدر الصريح أخصر استبدلنا عنوان (قتل الإنسان نفسه) بعنوان

(أن يقتل الإنسان نفسه).

تغير من عناوين الكبائر ما كان على معنى اسم الفاعل أو صياغته؛ إذ إنه في الحقيقة

مرتكب الكبيرة وليس عينها؛ ولذا استبدل عنوان (جباية المكوس) بعنوان (المكّاس).
 و(الظلم في القضاء)، بـ (القاضي السوء).
 و(الديانة والقيادة بين الرجال والنساء) بـ (الدّيوث).
 و(رضا المطلق بالتحليل، وطواعية المرأة المطلقة عليه، ورضا الزوج المحلل به) بـ
 (المحلل والمحلل له).
 و(المن بالصدقة) بـ (المنان).
 و(النميمة) بـ (النّمام).
 و(تبرؤ الإنسان من نسبه)، بـ (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم).
 و(ترك صلاة الجماعة من غير عذر) بـ (تارك الجماعة فيصلي وحده من غير عذر).
 و(الدلالة على عورات المسلمين) بـ (من جسّ على المسلمين ودل على عوراتهم).
 وبعد

فقد استغرق إخراج هذا الكتاب أوقاتاً طويلة على مدى سنين عديدة، وتكررت فيه
 المراجعات والمقابلات رغبةً في تحرير نصّه وتقريب قصده، ومع ذلك لم يخل من أخطاء.
 وما أحسن ما قال العماد الأصبهاني^(١): (إني رأيت أنه لا يكتب أحدٌ كتاباً في يوم إلا قال
 في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو
 ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر).
 أسأل الله الكريم أن ينفع بهذا الكتاب مؤلفه ومحقّقه ومن ساعد فيه ومن سعى في
 نشره، والحمد لله رب العالمين.

أ. د. أسامة محمد عبد العظيم حمزة
 القاهرة - جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ

(١) الكاتب الوزير المؤرخ العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني مولده سنة ٥١٩ هـ أتقن الفقه والخلاف والعربية
 وصنّف التصانيف: منها خريدة القصر وجريدة العصر وديوان الرسائل، والبرق الشامي في التاريخ، وفاته سنة ٥٩٧ هـ.
 شذرات الذهب (٤/ ٣٣٢) - كشف الظنون (٧٠١) - هدية العارفين (١٠٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد:

فهذا كتاب مشتمل على ذكر جُمْل من الكبائر المحرمات والمنهيات.

- والكبائر: هي ما نهى الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة [وكان فيه حدٌ في الدنيا، أو وعيدٌ في الآخرة، أو نفى إيمان، أو لعن، أو تبرؤ، أو ليس منا].
- وقد ضمن الله تعالى في كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر المحرمات أن يكفر عنه الصغائر من السيئات بقوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

فقد تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كِبِيرَ الْإِنِّمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كِبِيرَ الْإِنِّمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّعْمُ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢] الآيات.

وقال رسول الله ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» رواه مسلم والترمذي. (٧٤)

- فتعين علينا الفحص عن الكبائر ما هي؟ لكي يجتنبها المسلم فوجدنا العلماء -رحمهم الله تعالى- قد اختلفوا فيها:

فقال: هي سبع.

واحتجوا بقول النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٢٠١-٢٠٢/٣)

وقال ابن عباس ؓ: هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع. وصدق -والله- ابن عباس.

وأما الحديث: فما فيه حصر الكبائر.

والذي يتجه، ويقوم عليه الدليل: أن من ارتكب شيئاً من هذه العظائم مما فيه حد في الدنيا: كالقتل، والزنا، والسرقة، أو ما جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد، أو لعن فاعله على لسان محمد ؐ [أو ورد فيها وعيد بنفي إيمان أو تبرؤ، أو ليس منا] فهو مرتكب للكبيرة.

- ولا بد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض.

ألا ترى أنه ؓ عَدَّ الشرك بالله من الكبائر مع أن مرتكبه مُخْلَدٌ في النار لا يغفر له أبداً؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦].

[وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَزَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢].

ولا بد من الجمع بين النصوص:

قال النبي ؓ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قالوا ثلاثاً. قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. متفق عليه. (١٦٠)

فبين عليه الصلاة والسلام أن (قول الزور) من أكبر الكبائر، وليس له ذكر في السبع الموبقات وكذلك العقوق^(١).

- واعلم أن التوبة -من كل معصية- واجبة على الفور حتم لازم على كل عاص، لا يجوز تأخيرها سواء كانت صغيرة أو كبيرة، وأنها من مهمات الإسلام، وقواعد الدين المتأكدة، ووجوبها -عند أهل السنة- ثابت بالكتاب والسنة.

وظاهر النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، والآثار السلفية: على أن من تاب لله

(١) من الكبائر وتبين المحارم (٣٧):

توبة نصوحًا، واجتمعت شروط التوبة فيه؛ فإنه يقبل منه توبته كرمًا منه، وفضلًا، ومَنَّةً وإحسانًا.

- واعلم أن كثيرًا من هذه الكبائر بل عامتها -إلا قليل- يجهل خلق من الأمة تحريمه، وما بلغه الزجر فيه ولا الوعيد.

فهذا الضرب فيه تفصيل ينبغي للعالم أن لا يستعجل على الجاهل؛ بل يرفق به ويعلمه مما علمه الله، ولا سيما إذا كان قريب العهد بجاهليته، قد نشأ في بلاد الكفر البعيدة وأسر وجلب لأرض الإسلام، وهو تركي أو كرجي مشرك لا يعرف [التكلم] بالعربية، فاشتراه أمير تركي لا علم عنده ولا فهم، فبالجهل إنه يلفظ بالشهادتين، فإن فهم [التكلم] بالعربية حتى فقه معنى الشهادتين بعد أيام وليال فيها ونعمت، ثم قد لا يصلي، وقد يصلي وقد يقرأ الفاتحة مع الطول، إن كان أستاذة فيه دين ما، فإن كان أستاذة نسخة منه؛ فمن أين لهذا المسكين أن يعرف شرائع الإسلام، والكبائر واجتنابها والواجبات وإتيانها؟!

فإن عرف هذا موبقات الكبائر وحذر منها، وأركان الفرائض واعتقدها فهو سعيد، وذلك نادر.

فينبغي للعبد أن يحمد الله تعالى على العافية.

فإن قيل: هو فرط لكونه ما سأل عما يجب عليه!

قيل: ما دار في نفسه، ولا استشعر أن سؤال من يعلمه يجب عليه.

ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

فلا يأثم أحد إلا بعد العلم، وبعد قيام الحجة عليه، والله لطيف بعباده رءوف بهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقد كان سادة الصحابة بالحيشة، وينزل الواجب والتحريم على النبي ﷺ فلا يبلغهم

إلا بعد أشهر، فهم في تلك الأشهر معذورون بالجهل حتى يبلغهم النص.

وكذا يعذر بالجهل من لم يعلم حتى يسمع النص، والله أعلم^(١) اهـ.

(١) هذه الفائدة نقلها الشيخ عبد الرازق حمزة رحمه الله عن الكبائر الصغرى للمصنف وهي في (الكبائر وتبين المحارم) (٤٦) - (٤٧) آخر كبيرة (السحر).

الكبيرة الأولى الشرك الأكبر والعياذ بالله تعالى

وهو أن يجعل لله ندًا، ويعبد معه غيره من حجر، أو شجر، أو شمس، أو قمر، أو نبي، أو شيخ، أو نجم، أو ملك، أو غير ذلك، وهو أكبر الكبائر أعادنا الله منه بمنه وكرمه وختم لنا بالحسنى في عافية بلا محنة، إنه أكرم كريم وأرحم رحيم.

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] أي: لا يغفر الشرك، ويغفر ما سوى ذلك من الذنوب لمن شاء من عباده^(١) وهو يخص عموم^(٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] أي: إن الشرك قبيح، وظلم صارخ؛ لأنه وضع للشيء في غير موضعه، فمن سوى بين الخالق والمخلوق، وبين الإله والصنم، فهو - بلا شك - أحمق الناس، وأبعدهم عن منطق العقل والحكمة وحرى بأن يوصف بالظلم، ويجعل في عداد البهائم^(٣).

- وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ أي: من يعتقد بالوهمية غير الله، فلن يدخل الجنة أبدًا؛ لأنها دار الموحدين ﴿وَمَا أَوْلَهُ النَّارُ﴾ أي: مصيره نار جهنم ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]: أي: فلا ناصر ولا منقذه من عذاب الله^(٤).

والآيات - في ذلك - كثيرة.

- فمن أشرك بالله ثم مات مشركًا؛ فهو من أصحاب النار قطعًا كما أن من آمن بالله ومات مؤمنًا؛ فهو من أصحاب الجنة وإن عُدَّ بالنار.

- وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» ثلاثًا قلنا: بلى يا رسول

(١) صفوة التفاسير (٢٦٥).

(٢) قاله الهيثمي في الزواجر (٤٠).

(٣) صفوة التفاسير (١٠٧٦).

(٤) صفوة التفاسير (٣٤٣).

الله! قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: (ليته سكت) متفق عليه من حديث أبي بكرة (١٦٠).

- وقال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» فذكر منها الشرك بالله. رواه البخاري ومسلم. (٢٠١/٣ - ٢٠٢)

- وقال ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» رواه البخاري وأحمد^(١).

- [وقال ﷺ: «يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون» رواه أحمد ومسلم]. (١٢٧/٢)

(فائدة)^(٢)

فيها من كلام الناس ما هو كفر صرّحت به العلماء

- منها: (ما لو سخر باسم من أساء الله، أو بأمره، أو وعده، أو وعيده) كفر.
- ولو قال: (لو أمرني الله بكذا ما فعلت؛ كفر، ولو صارت القبلة في هذه الجهة ما صليت إليها) كفر.
- ولو قيل له: (لا تترك الصلاة؛ فإن الله يؤاخذك، فقال: لو أخذني بها مع ما في من المرض والشدة لظلمني) كفر.
- ولو قال: (لو شهد -عندي- الأنبياء والملائكة بكذا ما صدقت) كفر.
- ولو قيل له: (قلم أظفارك فإنه سنة، فقال: لا أفعل وإن كانت سنة) كفر^(٣).
- ولو قال: (فلان في عيني كاليهودي [والنصراني في عين الله] كفر.
- لو قال: (إن الله جلس للإنصاف أو قام للإنصاف) كفر.

(١) نيل الأوطار (٨/ ١٩٠ - ١٩١).

(٢) كانت ملحقة بكبيرة (التكذيب بالقدس).

(٣) قال النووي في الروضة: المختار أنه لا يكفر بهذا إلا أن يقصد استهزاء. انتهى: قال الهيتمي: وما اختاره متعين (٣٠ - ٣١) الإعلام.

- وجاء في وجه: (من قال لمسلم لا ختم الله لك بخير أو سلبك الإيمان) كفر^(١).
- وجاء- أيضًا أن من طلب يمين إنسان فأراد أن يحلف بالله، فقال: (أريد أن تحلف بالطلاق) كفر^(٢).
- واختلفوا فيمن قال: (رؤيتي لك كرؤية الموت) فقال بعضهم: يكفر^(٣).
- ولو قال: (لو كان فلان نبيًا ما آمنت به) كفر^(٤).
- ولو قال: (إن كان ما قاله صدقًا نجونا) كفر^(٥).
- ولو ابتلي بالمصائب، فقال: (أخذت مالي وولدي وماذا تفعل) كفر.
- ولو صلى بغير وضوء استهزاء أو استحلالًا كفر^(٦).
- ولو تنازع رجلان فقال أحدهما: (لا حول ولا قوة إلا بالله) فقال الآخر: (لا حول ولا قوة إلا بالله لا تغني من جوع) كفر.
- ولو سمع أذان المؤذن فقال: (إنه كذب) كفر.

(١) وعمله إذا قاله على وجه الرضا بالكفر.

والوجه الثاني: أنه لا يكون كفرًا على الأصح؛ لأنه ليس رضا بالكفر، وإنما هو دعاء عليه بتشديد الأمر أو العقوبة عليه. قال الهيثمي: هذا ما ذكره الشيخان، وأنت خبير من قولها: (لأنه ليس رضا بالكفر)... إلى آخره أن محل ذلك ما إذا لم يذكر ذلك رضا بالكفر، وإلا كفر قطعًا.

والذي يظهر من فحوى كلامها: أنه لو أطلق ولم يقله على وجه الرضا بالكفر، ولا على جهة تشديد العقوبة عليه لا يكون كافرًا وهو ظاهر (٢٧).

(٢) يعني إذا قصد الإضرار باسم الله تعالى أو نحو ذلك وهو قول ضعيف، لذلك قال الهيثمي: والصحيح أنه لا يكفر (٣١).

(٣) قال الشيخان: والأكثر على أنه لا يكفر. انتهى، قال الهيثمي: والأوجه ما قال أكثرهم في مسألة رؤية ملك الموت (٣١).

(٤) ووجهه: أن فيه تعليق عدم الإيمان به على كونه نبيًا، وفيه تنقيص لمرتبة النبوة حيث أراد تكذيبها على تقدير وجودها. راجع الأعلام (٣٢).

(٥) قال الهيثمي: ولا يشترط ذكر جميع الأنبياء -ولا أن يكون ما قاله ذلك النبي يقطع بأنه عن وحي ووجهه: أن الإتيان بدل (إن) التي هي للشك والتردد -في هذا المقام- تشعر بترده في تطرق الكذب إلى ذلك النبي، وهذا كفر (٣٢) الإعلام.

(٦) ينبغي أن يستثنى صلاة الجنائز فقد ذهب الشعبي وغيره من السلف إلى جوازها بغير وضوء. أفاده الهيثمي (٣٤).

- ولو قال: (لا أخاف القيامة) كفر^(١).
- ولو وضع متاعه فقال: (سلمته إلى الله) فقال له رجل: (سلمته إلى من لا يتبع السارق) كفر^(٢).
- ولو جلس رجل على مكان مرتفع تشبهاً بالخطيب فسأله المسائل وهم يضحكون^(٣) أو قال: أحدهم: (قصعة تريد خير من العلم): كفر^(٤).
- ولو ضرب ولده أو غلامه، فقال له رجل: (أأنت بمسلم؟) فقال: (لا) متعمداً: كفر.
- ولو تمنى أن لا يحرم الله الزنا أو القتل أو الظلم [ما لم يحل في زمن قط]^(٥): كفر.
- ولو شدَّ على وسطه حبلاً، فسئل عنه، فقال: (هذا زنار) فالأكثر على أنه لا يكفر^(٦).

-
- (١) ومجمله: إذا قصد الاستهزاء، أما إذا أطلق أو لمح سعة عفو الله تعالى ورحمته وقوة رجائه فلا يكفر، أفاده الهيتمي (٣٥).
 - (٢) والذي يظهر أنه إن قال ذلك على جهة نسبة العجز إليه سبحانه وتعالى، أو ظهرت منه قرينة استخفاف كفر، وإن أراد سعة حلمه تعالى على السارق، أو أطلق لري كفر. أفاده الهيتمي (٣٥).
 - (٣) زاد في الروضة صورة أخرى وهي: إذا ما تشبه بالمعلمين فأخذ خشبة وجلس القوم حوله كالصبيان فضحكوا واستهزءوا. اهـ، ثم قال: الصواب أنه لا يكفر في مسألتي التشبيه يعني هذه الصورة، والصورة المذكورة هنا. ونقله الهيتمي (٣٥).
 - (٤) ولا يبعد أن يقيد بما إذا قصد الاستهزاء بالعلم بسائر أنواعه، أو أراد أنها خير من كل علم؛ لشموله العلم بالله وصفاته وأحكامه. أما لو أراد العلوم التي لا تتعلق بالله وصفاته وأحكامه، فلا ينبغي أن يكون كفراً؛ لأنه لا يلزم عليه الاستهزاء بالدين، ولا تنقيصه (٣٥) الإعلام.
 - (٥) الزيادة من الزواجر (٣٨) وقال الهيتمي في الإعلام (٣٦): والضابط: أن ما كان حلالاً في زمان فتمنى حله لا يكفر.
 - (٦) قال النووي: الصواب: أنه لا يكفر في مسألة التمني وما بعدها إذا لم تكن نية. اهـ.
- قال الهيتمي: أي: بحيث لم ينو يتمنيه ذلك جميعه، سواء كان حلالاً في ملة أم لا، ما يجر إلى الكفر من نسبة الله - سبحانه - إلى الجور وعدم العدل، أو نحو ذلك بتحريمه ذلك علينا لري كفر وإلا كفر، وتغني تغيير الأحكام حرام، كما صرح به الشافعي رحمته في الأم.
- وحيث لبس زي الكفار، سواء دخل دار الحرب أو لا بنية الرضا بدينهم أو الميل إليه، أو تهاوؤاً بالإسلام كفر، وإلا فلا. اهـ (٣٦-٣٧) الإعلام.

- ولو قال معلم الصبيان: (اليهود خير من المسلمين؛ لأنهم يعطون معلمي صبيانهم كفر^(١)).
- ولو قال: (النصرانية خير من المجوسية) كفر^(٢).
- ولو قيل لرجل: ما الإيمان، فقال: (لا أدري) كفر.
- ومن ذلك ألفاظ مستكرهة مستنكرة وهي: لا دين لك، لا إيمان لك، لا يقين لك، أنت فاجر، أنت منافق، أنت فاسق.
- وهذا وأشباهه كله حرام، ويخشى على العبد بها سلب الإيمان والخلود في النار.
- فنسأل الله المنان بلطفه أن يتوفانا على الكتاب والسنة، إنه أرحم الراحمين.

(١) قال الهيثمي: إن أراد الخيرية في الإحسان للمعلم ومراعاته لريكفر، وإن أطلق فهو محل نظر، والأقرب عدم الكفر (٣٧).

(٢) قال النووي: الصواب لا يكفر بقوله: النصرانية خير من المجوسية، إلا أن يريد أنها حق اليوم (٣٧).

الكبيرة الثانية

الرياء

- قال الله تعالى- مخبراً عن المنافقين: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ أي: يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يقصدون وجه الله ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢] أي: لا يذكرون الله سبحانه إلا ذكرًا قليلًا^(١).

- وقال تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ أي: هلاك وعذاب للمصلين المنافقين المتصفين بهذه الأوصاف القبيحة ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي: الذين هم غافلون عن صلاتهم يؤخرونها عن أوقاتها تهاونًا ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ أي: يصلون أمام الناس رياء؛ ليقال: إنهم صلحاء، ويتخشعون ليقال: إنهم أتقياء، ويتصدقون؛ ليقال: إنهم كرماء، وهكذا سائر أعمالهم للشهرة والرياء ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤-٧] أي: ويمنعون الناس المنافع اليسيرة من كل ما يستعان به؛ كالإبرة، والفأس، والقدر، والملح، والماء، وغيرها^(٢).

- وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ أي: لا تحبطوا أجرها بالمن والأذى ﴿كَأَلَّذِي يُبْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤] أي: كالمرائي الذي يبطل إنفاقه بالرياء^(٣).

- وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُفْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] أي: لا يرائي بعمله أحدًا.

- وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه: رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرّفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت؛ ولكنك قاتلت لأن يقال: فلان جريء، فقد قيل: ثم أمر به

(١) صفوة التفاسير (٢٩٧).

(٢) صفوة التفاسير (١٧٧٩).

(٣) صفوة التفاسير (١٥٣).

فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرّفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت؛ ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن؛ ليقال: هو قارئ، فقد قيل؛ ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتى به فعرفه نعمه فعرّفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن يتفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت؛ ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار» رواه مسلم^(١) والنسائي وغيرهما. (٢٩/١)

- وقال عليه الصلاة والسلام: «اليسير من الرياء شرك» رواه ابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح ولا علة له^(٢). (٣٤/١)

- وقال ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله تعالى إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟» رواه أحمد بإسناد جيد. (٣٤/١)

- وقال ﷺ: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك» رواه ابن ماجه واللفظ له، وابن خزيمة، ورواه ابن ماجه ثقات. (٣٥/١)

- وقال ﷺ: «من سمع سمع الله به، ومن يراء يراء الله به» متفق عليه. ومعناه: من أظهر عمله للناس رياء أظهر الله نيته الفاسدة في عمله يوم القيامة، وفضحه على رءوس الأشهاد. (٣٢/١)

قال الخطابي: معناه من عمل عملاً على غير إخلاص إنما يريد أن يزاه الناس ويسمعوه جوزي على ذلك بأنه يشهره ويفضحه؛ فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك، والله أعلم.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٥٠/١٣).

(٢) وأقره الذهبي (٣٢٨/٤).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «رَبِّ صَائِمٍ حَظُهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرَبِّ قَائِمٍ حَظُهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ» رواه الحاكم في المستدرک^(١). يعني: أنه إذا لم يكن الصلاة والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له.

- وقال بعض الحكماء: (مثل الذي يعمل للرياء والسمعة، كمثل الذي يملأ كيسه حصا ثم يدخل السوق ليشتري به، فإذا فتحه قدام البائع، فإذا هو حصا وضرب به وجهه، ولا منفعة له في كيسه سوى مقالة الناس له: ما أملأ كيسه! ولا يعطى به شيئاً).

- فكَذَلِكَ الذي يعلم للرياء والسمعة، فليس له من عمله سوى مقالة الناس، ولا ثواب له في الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].
يعني: الأعمال التي عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها، وجعلناها كاهباء المنثور، وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس.

- وروى عن عدي بن حاتم قال: (يؤمر بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها، ونظروا إلى قصورها وما أعد الله لأهلها فيها، نودوا أن اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها، فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تُرِينَا ما أُرَيْتَنَا مِنْ ثَوَابِكَ وَمَا أَعَدَدْتَ فِيهَا لِأَوْلِيائِكَ كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْنَا، قَالَ: ذَاكَ أَرَدْتُ بِكُمْ، كُنتُمْ إِذَا خَلَوْتُمْ بَارِزْتُمُونِي بِالْعِظَائِمِ وَإِذَا لَقِيتُمُ النَّاسَ لَقِيتُمُوهُمْ مَخْبِتِينَ تَرَاءُونَ النَّاسَ بِخِلَافِ مَا تَعْطُونِي مِنْ قُلُوبِكُمْ، هَبْتُمُ النَّاسَ وَلَمْ تَهَابُونِي، وَأَجَلَلْتُمُ النَّاسَ وَلَمْ تُجَلُّونِي، وَتَرَكْتُمُ النَّاسَ وَلَمْ تَتْرَكُوا لِي؛ الْيَوْمَ أَذِيقُكُمْ أَلِيمَ الْعَذَابِ مَعَ مَا حَرَمْتُمْ مِنَ الثَّوَابِ).

- وسئل بعض الحكماء: -رحمهم الله- مَنْ الْمَخْلُصُ؟ فقال: المخلص الذي يكتُم حسناته، كما يكتُم سيئاته.

- وقيل لبعضهم: ما غاية الإخلاص؟ قال: أن لا تحب محمداً والناس.

(١) وصححه على شرط البخاري وأقره الذهبي (٤٣١/١) ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وإسناده لا بأس به كما في الترغيب (٩٨/٢).

- وقيل: في قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] قيل: كانوا عملوا أعمالاً كانوا يرونها في الدنيا حسنات، بدت لهم يوم القيامة سيئات.
- وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية يقول: ويلٌ لأهل الرياء.
- وقيل: إن المرائي ينادى به يوم القيامة بأربعة أسماء: يا مرائي، يا غادر، يا فاجر، يا خاسر، اذهب فخذ أجرك ممن عملت له، فلا أجرك عندنا.
- وقال الحسن: المرائي يريد أن يغلب قدر الله فيه، هو رجل سوء يريد أن يقول الناس: هو صالح، فكيف يقولون، وقد حل من ربه محل الأردياء؟ فلا بد لقلوب المؤمنين أن تعرفه.
- وقال قتادة: إذا رآى العبد، يقول الله: انظروا إلى عبدي كيف يستهزئ بي؟
- وروى أن عمر بن الخطاب ؓ نظر إلى رجل وهو يطأ طيء رقبته فقال: يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب.
- وقيل: إن أبا أمامة الباهلي ؓ أتى على رجل في المسجد، وهو ساجد يبكي في سجوده ويدعو، فقال له أبو أمامة: أنت أنت، لو كان هذا في بيتك.
- وقال محمد بن المبارك الصوري: أظهر السمт بالليل؛ فإنه أشرف من إظهاره بالنهار؛ لأن السمт بالنهار للمخلوقين، والسمت بالليل لرب العالمين...
- وقال علي بن أبي طالب ؓ: للمرائي ثلاث علامات؛ يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذم به.
- وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منها.
- اللهم عافنا منها وعاف عنا، ونسأل الله المعونة والإخلاص في الأعمال، والأقوال، والحركات، والسكنات إنه جواد كريم.

موعظة

عباد الله...

إن أيامكم قلائل، ومواعظكم قوائل...

فليخبر الأواخر الأوائل
يا من يوقن أنه لا شك راحل
يا من لجَّ في لجة الهوى
هل انتبهت من رقاد شامل؟
وقمت - في الليل - قيام عاقل
تخفي - بها - زفرات الندم والوسائل
وليستيقظ الغافل قبل سير القوافل
وماله زاد ولا رواحل
متى ترتقي إلى الساحل؟
وحضرت المواعظ بقلب غير غافل
وكتبت بالدموع سطور الرسائل
وبعثتها في سفينة دمع سائل

لعلها ترسو على الساحل

وا أسفا لمغرور جهول غافل
وقد ضيع البطالة وبذل الجاهل
ينني البنيان ويشيد المعازل
ويدعي - بعد هذا - أنه عاقل
وهو يؤمل في بطالته فوز العامل
أيها المعجب فخرًا
إنما الدنيا محلل
فقدًا تنزل بيتًا
بين أقوام الصموت
فأرض في الدنيا بثوب
وانخذ بيتًا ضميًا
ثم قل: يا نفسي هذا
لقد أثقل بعد الكهولة بالذنوب الكاهل
وركن إلى ركوب الهوى ركة مائل
وهو عن ذكر قبره متشاغل
تالله لقد سبقه الأبطال إلى أعلى المنازل
وهيهات هيهات ما فاز باطل بطائل
بمقاصير البيوت
لقيام وقنوت
ضيقًا بعد النحوت
ناطقات في الصموت
ومن العيش بقنوت
مثل بيت العنكبوت
بيت مثواك فموقي

الكبرية الثالثة الكبر، والفخر، والخيلاء، والعجب، والتهيه

- [قال الله تعالى: ﴿ سَاصِرُونَ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (الأعراف: ١٤٦). أي: سامع المتكبرين عن فهم آياتي، فلا يتفكرون ولا يتدبرون بها فيها، وأطمس على قلوبهم؛ عقوبة لهم على تكبرهم^(١)].
- وقال تعالى مخبراً عن نبيه موسى: ﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [غافر: ٢٧] أي: إني استجرت بالله واعتصمت به؛ ليحفظني من شر كل جبار عنيد متكبر عن الإيمان بالله لا يصدق بالآخرة^(٢).
- وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٣] أي: المستكبرين عن سماع الحق والخضوع له^(٣).
- وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ أي: لا تمل خدك معرضاً متكبراً ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ أي: لا تمش متبختراً متكبراً ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨] [تعليل للنهي أي: لأن الله يكره المتكبر الذي يرى العظمة لنفسه، ويتكبر على عباد الله المتبختر في مشيته والفخور الذي يفتخر على غيره^(٤)].
- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل ممن كان قبلكم يمر إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة» رواه البخاري والنسائي وغيرهما.
- [الخيلاء (بضم الخاء المعجمة وتكسر وبفتح الياء ممدوداً): هو الكبر والعجب ويتجلجل (بجيمين) أي: يغوص فينزل فيها]. (١٩/٤)

(١) صفوة التفاسير (١٧٠).

(٢) صفوة التفاسير (١٧٠).

(٣) المنتخب (٣٨٨).

(٤) صفوة التفاسير (١٠٧٨).

- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يقال له: بولس» رواه النسائي، والترمذي، واللفظ له وقال: حديث حسن. (١٨/٤)

- وعن ابن مسعود ؓ عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: [إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً] قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق وغمط الناس» رواه مسلم والترمذي. بَطَرُ الحق (بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة جميعاً): هو دفعه وردّه وعَمَطَ الناس (بفتح الغين المعجمة وسكون الميم وبالطاء المهملة): هو احتقارهم وازدراؤهم. (١٩/٤)

- وعن أبي سعيد وأبي هريرة ؓ قالوا: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله -عزَّ وجلَّ- العز إزارى والكبرياء ردائي فمن ينازعني عذبتى» رواه مسلم، والمنازعة: المجاذبة. (١٦/٤)

- وعن أبي سعيد الخدري ؓ عن النبي ﷺ قال: «احتجبت الجنة والنار، فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء المسلمين ومساكينهم [ففضى الله بينهما: إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشياء، وإنك النار عذابي أعذب بك من أشياء، ولكليهما عليَّ ملؤها] رواه مسلم. (١٧/٤)

- وعن حارثة بن وهب ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر» رواه البخاري ومسلم. العُتْلُ (بضم العين والتاء وتشديد اللام): وهو الغليظ الجافي، والجَوَاطُ (بفتح الجيم وتشديد الواو والطاء المعجمة): هو الجموع المنوع، وقيل: الضخم المختال في مشيته، وقيل: القصير البطين. (١٧/٤)

- وعن ابن عمر ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يتعاضم في نفسه أو يختال في مشيته إلا لقي الله وهو عليه غضبان» صححه الحاكم على شرط الشيخين^(١).

- وصح من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «عرض عليَّ أول ثلاثة يدخلون النار: أمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله منه، وفقير فخور» رواه ابن

(١) وأقره الذهبي لكن على شرط مسلم (٦٠/١).

خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما^(١).

- وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»
رواه البخاري. (٢٠/٤)

- وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: «كُلْ بيمينك»، قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت» ما منعه إلا الكبر فما رفعها إلى فيه. رواه مسلم. (٣١٤)

- وقال بعض السلف: أول ذنب عصي الله به: الكبر.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. فمن استكبر عن الحق لم ينفعه إيمانه كما فعل إبليس.

- وشر الكبر الذي فيه من يتكبر على العباد بعلمه، ويتعاضم في نفسه بفضيلته، فإن هذا لم ينفعه علمه؛ فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه وخشع قلبه واستكانت نفسه، وكان على نفسه بالمرصاد، فلا يفتر عنها؛ بل يحاسبها كل وقت ويفقدها؛ فإن غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته.

ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبَطَر المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم؛ فهذا من أكبر الكبر، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) صحيح ابن خزيمة (٨/٤)، وصحيح ابن حبان (١٠/٤٤٩-٤٥٠) وحسن إسناده الترمذي ص (٣٨٦)، واقتصر على بعضه وصرح بصحته المصنف في البائز وتبيين المحارم.

الكبيرة الرابعة البغي

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ﴾ أي: إنما العقوبة والمواخذة على المعتدين الذين يظلمون الناس بعدوانهم ﴿ وَيَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ أي: ويتكبرون في الأرض تجبراً وفساداً بالمعاصي، والاعتداء على الناس في النفوس والأموال ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ٤٢] أي: أولئك الظالمون الباغون لهم عذاب مؤلم موجه؛ بسبب ظلمهم وبغيهم^(١).

- وقال النبي ﷺ: «إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد» رواه مسلم عن عياض بن حمار.

قال أهل اللغة: البغي: التعدي والاستطالة (٥٦٦)

- وقال ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة- من البغي وقطيعة الرحم» رواه ابن ماجه، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح والحاكم وقال: صحيح الإسناد^(٢). (٢٢٨/٣)

- وفي الأثر: لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغي منهما دكاً.

- وقد خسف الله بقارون الأرض حين بغى على قومه.

فقد أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ إِنَّ قُرُونَكُمْ مِنْ قُورِمُوسَىٰ قَبِيٍّ عَلَيْهِمُ ﴾ إلن قوله: ﴿ حَسَفْنَا بِهٖ وَبَدَارِهِ الْأَرْضُ ﴾ الآية [القصص: ٧٦-٨١].

قال ابن الجوزي^(٣) رحمه الله: في بغي قارون أقوال:

أحدها: أنه جعل لبغية جعلاً على أن تقذف موسى عليه السلام بنفسها؛ ففعلت فاستحلفها

(١) صفوة التفسير (١٣٠٧).

(٢) المستدرک (٣٥٦/٢).

(٣) التبصرة (٢٥١/١-٢٥٢).

موسى على ما قالت، فأخبرته بقصتها مع قارون، وكان هذا بغية. قاله ابن عباس.

والثاني: أنه بغى بالكفر بالله - عز وجل - قاله: الضحاك.

والثالث: بالكبر، قاله: قتادة.

والرابع: أنه أطل ثيابه شبرًا، قاله: عطاء الخرساني [وشهر بن حوشب].

والخامس: أنه كان يخدم فرعون فاعتدى على بني إسرائيل، وظلمهم. حكاه

الماوردي.

قوله: ﴿لَحَسَفْنَا بِهٖ وَبَدَارِهِ الْأَرْضُ﴾ الآية، لما أمر قارون البغية بقذف موسى - على ما سبق شرحه - غضب موسى فدعا عليه فأوحى الله إليه: إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فمرها، فقال موسى: يا أرض خذيه، فأخذته حتى غيبت سيره، فلما رأى قارون ذلك ناشد موسى بالرحم، فقال: يا أرض خذيه فأخذته حتى غيبت قدميه، فما زال يقول: يا أرض خذيه حتى غيبت، فأوحى الله إليه: يا موسى وعزّي وجلالي لو استغاث بي لأغثته.

قال ابن عباس: فحسفت به الأرض إلى الأرض السفلى.

قال سمرة بن جندب: إنه كل يوم يخسف به قامة^(١).

قال مقاتل: فلما هلك قارون؛ قال بنو إسرائيل: إنما أهلكه موسى ليأخذ ماله وداره،

فخسف الله بداره وماله بعد ثلاثة أيام.

﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: يمنعونه من الله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ

الْمُنْتَصِرِينَ﴾ أي: من الممتنعين مما أنزل به، والله أعلم.

اللهم إنك إذا قبلت سلمت، وإذا أعرضت أسلمت، وإذا وفقت ألهمت وإذا خذلت

اتهمت.

اللهم أذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك، واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض

عمن سواك، واغفر لنا ولوالدينا وسائر المسلمين، آمين.

(١) التبصرة (١/٢٥٣).

الكبيرة الخامسة المكر والخديعة

- قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَحْقِقُ الْآمَرَ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] أي: لا يحيط وبأل المكر السيئ إلا بمن مكره ودبره^(١).
- وقال تعالى عن المنافقين: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].
- قال الواحدي: يعاملون عمل المخادع على خداعهم، وذلك أنهم يعطون نوراً كما يُعطى المؤمنون، فإذا مضوا على الصراط أطفئ نورهم، وبقوا في الظلمة.
- وقال ﷺ: «وأهل النار خمسة، وذكر منهم رجلاً لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك» رواه مسلم عن عياض بن حمار^(٢).
- [وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن غرٌّ كريم والفاجر خبٌّ لئيم» رواه أبو داود والترمذي^(٣). قوله: «غر كريم» ليس بذي مكر ولا مظنة للشر فهو ينخدع لانقياده. ولينه، والخب (بفتح الخاء المعجمة وقد تكسر): هو الخداع الساعي بين الناس بالشر والفساد].
- وعن أبي بكر الصديق ؓ عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة خب، ولا منان، ولا بخيل» رواه الترمذي، وقال: حسن غريب^(٤).

(١) صفوة التفاسير (١١٦٧).

(٢) صحيح مسلم (٢١٩٨/٤).

(٣) قال المنذري (٢٤٨/٣): لم يضعفه أبو داود ورواتها ثقات، سوى بشر بن رافع وقد وثق.

(٤) الترمذي (٢٤٣/٤).

الكبيرة السادسة الأمن من مكر الله

- قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ﴾ أي: أخذهم عذابنا من حيث لا يشعرون.

قال الحسن: (من وسع الله عليه، فلم ير أنه يمكر به، فلا رأي له، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر إليه فلا رأي له)، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤] وقال: (مكر بالقوم - ورب الكعبة - أعطوا حاجتهم ثم أخذوا).

الإبلاس: اليأس من النجاة عند ورود الهلكة.

وقال ابن عباس: أيسوا من كل خير.

وقال الزجاج: المبلس الشديد الحسرة اليأس الحزين.

- وفي التنزيل: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ [الأنفال: ٢٤]. قال مجاهد: المعنى: يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما يصنع بنائه [ويؤيده] قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ [ق: ٣٧] أي: عقل. واختار الطبري أن يكون ذلك إخباراً من الله تعالى أنه أملك لقلوب العباد منهم وأنه يحول بينهم وبينها إن شاء، حتى لا يدرك الإنسان شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل.

- وفي الحديث الصحيح: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة^(١) حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»^(٢) متفق عليه. (١٨٦)

(١) يعني فيما يظهر للناس -مع اختلافه في الحقيقة لاشتغال العمل على آفة وعلة باطنة تقتضي إحباطه- ولو كان عملاً صالحاً مقبولاً قد أحبه الله ورضيه لربطه عليه.

(٢) فلا تغتر بظاهر العمل حتى يتضح لك خاتمته؛ فإنما الأعمال بالخواتيم، فهذا العامل ليرى على عمله حتى يتم له، بل خذل في آخر عمره -والعباد بالله- بالآفة الكامنة في عمله: خاتمته في وقت الحاجة، فرجع إلى موجبها وعملت عملها، ولو لم يكن هناك غش وآفة لرب قلب الله إيمانه، والله يعلم من سائر العباد ما لا يعلمه بعضهم من بعض. وراجع الفوائد (٢١٣).

- وعن سالم بن عبد الله قال: (كان كثيرًا ما كان النبي ﷺ يحلف: «لا، ومقلب القلوب»^(١)) ومعناه يصرفها أسرع من ممر الريح على اختلاف في القبول والرد والإرادة والكرهه وغير ذلك من الأوصاف.

- وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم».

- [قال العلماء رضي الله عنهم: سوء الخاتمة لا يكون: إلا لمن كان مصرًا على المعاصي في الباطن وله إقدام على الكبائر مخادعة لله عزَّ وجلَّ، أما من كان على قدم الاستقامة في الظاهر ولم يصِرْ على معصية في الباطن فما سمعنا ولا علمنا أن مثل هذا يختم له بسوء أبدًا، والله الحمد على ذلك- بخلاف من غلب عليه حب المعاصي والوقوع فيها من غير توبة، فربما نزل عليه الموت قبل التوبة، فيصدمه الشيطان عند تلك الصدمة، ويخطفه عند تلك الدهشة -والعياذ بالله تعالى- فيظهر شقاؤه للناس عند موته، وقد يكون العبد مستقيمًا طول عمره ثم يغير ويبدل إذا قرب أجله، ويخرج عن طريق الاستقامة فيكون ذلك سببًا لسوء خاتمته وشؤم عاقبته]^(٢).

- وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم: إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن^(٣).

- وفي الأثر: لما مكر إبليس -وكان من الملائكة- طفق جبريل وميكال يبيكان فقال الله عزَّ وجلَّ لهما: ما لكما تبكيان؟ قالوا: يا رب ما نأمن مكرك، فقال الله تعالى: هكذا كونا لا تأمنا مكري.

(١) البخاري (١٥٧/٨).

(٢) هذه الزيادة من مختصر التذكرة (١٤).

(٣) سنن الترمذي (٤٨٨/٤ - ٤٤٩).

- وجاء في الأثر: إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب - وهو مقيم على معصيته - فإنما ذلك منه استدراج.

- وقد قصَّ الله تعالى - في كتابه العزيز - قصة بلعام، وأنه سُلِبَ الإيمان بعد العلم والمعرفة، وكذلك برصيصا العابد: مات على الكفر.

حكاية

- روي أنه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للأذان والصلاة وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة فرقي يوماً المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار وكانت جميلة فافتتن وترك الأذان ونزل إليها؛ فقالت له: ما شأنك وما تريد؟ فقال: أنت أريد؛ قالت: لا أجيبك إلى رغبة، قال لها: أتزوجك، قالت له: أنت مسلم وأبي لا يزوجني بك، قال: أتنصر! قالت له: إن فعلت أفعل؛ فتنصر ليتزوج بها وقام معهم في الدار فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط فمات، فلا هو فاز بدينه ولا هو تمتع بها.

نعوذ بالله من مكرهه، وسوء العاقبة، وسوء الخاتمة.

فإذا كانت الهداية معروفة... والاستقامة -على مشيئته- موقوفة، والعاقبة مغيبة... والإرادة غير مغالبة...

فلا تعجب بإيمانك، وعملك، وصلاتك، وضومك، وجميع قربك.

ذلك إن كان من كسبك... فإنه من خلق ربك وفضله الدار عليك، فمهما افتخرت كنت مفتخرًا بمتاع غيرك.

وزبما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف العير.

فكم من روضة أمت، وزهرها يانع عميم... أضحت وزهرها يابس هشيم؛ إذا هبت عليها الريح العقيم.

كذلك العبد يمسي وقلبه بطاعة الله مشرق سليم؛ ويصبح وهو بمعصية الله مظلم سقيم، ذلك تقدير العزيز العليم.

ابن آدم

الأقلام عليك تجري... وأنت في غفلة لا تدري.

ابن آدم

دع المغاني والأوتار والمنازل والديار، والتنافس في هذه الدار حتى ترى ما فعلت في أمرك الأقدار.

- قال الربيع: سئل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى [عن القدر- فأنشأ يقول^(١)]:

ما شئت إن لم تشأ لم يكن	وما شئت كان وإن لم أشأ
ففي العلم يمضي الفتى والمسن	خلقت العباد على ما عملت
وهذا أعنت وذا لم تعن	على ذا منت وهذا خذلت
ومنهم قبيح ومنهم حسن ^(٢)	فمنهم شقي ومنهم سعيد

فنسأل الله تعالى العفو والمعافة وحسن العاقبة إنه جواد كريم رءوف رحيم.

(١) نقل ابن عبد البر عن الزعفراني أن هذه الأبيات من شعره الذي لا يختلف فيه وهو أصح شيء عنه (٨٠) الانتقاء.

(٢) هنا موضع الحزم من الكتاب، وقد أكمل بالرجوع إلى مناقب الشافعي للبيهقي (١/٤١٢ - ٤١٣) ومختصر التذكرة

(١٥). وينتهي النقص الذي كان في الكتاب عند قوله: ينادي مناد ص ٢٨ وراجع مقدمة الكتاب.

الكبيرة السابعة اليأس من رحمة الله

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] أي: فإنه لا يقنط من رحمته تعالى إلا الجاحدون المنكرون لقدرته جلا وعلا^(١).
- وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] أي: لا يغفر الشرك، ويغفر ما سوى ذلك من الذنوب لمن شاء من عباده.
- وقال تعالى: ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني: أفرطوا في الجناية على أنفسهم بالمعاصي والآثام ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي: لا تيأسوا من مغفرة الله ورحمته ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أي: إنه تعالى يعفو عن جميع الذنوب لمن شاء وإن كانت مثل زبد البحر ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] أي: عظيم المغفرة واسع الرحمة^(٢).
- وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] أي: عمت خلقي كلهم.
- وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة» متفق عليه. (١٩٥-١٩٦)
- وأخرج الترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرا». «عنان السماء» (بفتح العين): قيل: هو السحاب، وقيل: هو ما عن لك منها، أي: ظهر، وقراب الأرض: (بضم القاف، وروي بكسرها، والضم أشهر): هو ما يقارب ملأها. (٦٦٥)

(١) صفوة التفاسير (٦٦١).

(٢) صفوة التفاسير (١٢٤٧).

- وعن أنس أيضًا أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «كيف تجدك؟» قال: أرجو الله -يا رسول الله- وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الوطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف» رواه الترمذي، وابن ماجه، وإسناده حسن. (١٤١/٤)

- وعن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني» رواه البخاري ومسلم. (١٤٢/٤)

- وعنه ؓ أيضًا عن النبي ﷺ قال: «حسن الظن من حسن العبادة» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه. (١٤٢/٤)

- وعن جابر ؓ أنه سمع النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل» رواه مسلم، وأبو داود، وابن ماجه. (١٤٢/٤)

- ومما روي أنه:

ينادي منادٍ من قبل العرش: أين فلان ابن فلان؟ فلا يسمع أحد ذلك الصوت: إلا وتضطرب فرائضه.

قال: فيقول الله -عز وجل- لذلك الشخص: أنت المطلوب، هلم إلى العرض على خالق السموات والأرض، فيشخص الخلق بأبصارهم تجاه العرش، ويوقف ذلك الشخص بين يدي الله -عز وجل- فيلقي الله -عز وجل- عليه من نوره يستره عن المخلوقين ثم يقول له: عبدي، أما علمت أنني كنت أشاهد عملك في دار الدنيا؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول الله تعالى: عبدي، أما سمعت بنقمتي وعذابي لمن عصاني؟ فيقول: بلى يا رب.

فيقول: الله تعالى: يا عبدي عصيتني؟ فيقول: يا رب قد كان ذلك، فيقول الله: عبدي فما ظنك اليوم بي؟ فيقول: يا رب أن تغفو عني، فيقول الله: عبدي كيف تحققت أنني أعفو عنك؟ فيقول: نعم يا رب؛ لأنك رأيتني على المعصية وسترتها عليّ. قال: فيقول الله عز وجل: قد عفوت عنك، وعفوت لك، وحققت ظنك، خذ كتابك بيمينك، فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها، وما كان من سيئة فقد غفرتها لك، وأنا الجواد الكريم.

إلهنا لولا محبتك للغفران، ما أمهلت من يبارزك بالعصيان.

ولولا عفوك وكرمك ما سكنت الجنان.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنا.

اللهم انظر إلينا نظر الرضا، وأثبتنا في ديوان أهل الصفا، ونجنا من ديوان أهل الجفا.

اللهم حقق بالرجاء آمالنا، وأحسن في جميع الأحوال أعمالنا، وسهل في جميع رضاك

سبلنا، وخذ إلى الخيرات بنواصينا، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

الكبيرة الثامنة

التعلم للدنيا وكتمان العلم

- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] يعني: العلماء بالله عز وجل.

قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي، وعزقي وسلطاني.
وقال مجاهد والشعبي: العالم من خاف الله تعالى.
وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله فليس بعالم.

- وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩] نزلت هذه الآية في علماء اليهود.

وأراد (بالبَيِّنَات) الرجم والحدود والأحكام، (وبالهدى) أمر محمد عليه الصلاة والسلام، ونعته (مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ) أي بني إسرائيل (فِي الْكِتَابِ) أي: في التوراة (أُولَٰئِكَ) يعني الذين يكتُمون (يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ) قال ابن عباس: كل شيء إلا الجن والإنس.

وقال ابن مسعود: ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين يكتُمون أمر محمد ﷺ وصفته.

- وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قال الواحدي: نزلت هذه الآية في يهود المدينة: أخذ الله ميثاقهم في التوراة ليبين شأن محمد ﷺ ونعته، ومبعثه ولا يخفونه، وهو قوله تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ وقال الحسن: هذا ميثاق الله تعالى على علماء اليهود أن يبَيِّنُوا للناس ما في كتابهم، وفيه ذكر رسول الله ﷺ.

وقوله: ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ قال ابن عباس: أي ألقوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم.

﴿وَأَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يعني ما كانوا يأخذونه من سفلتهم برياستهم في العلم.

وقوله: ﴿فَيُقَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ قال ابن عباس: قبح شراؤهم وخسروا.

- وقال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً مما يتنقى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» يعني ربحها. رواه أبو داود عن أبي هريرة بإسناد صحيح^(١).

- وقد مرَّ حديث أبي هريرة في الثلاثة الذين يسحبون إلى النار؛ أحدهم الذي يقال له: إنها تعلمت ليقال عالم، وقد قيل^(٢).

- وقال ﷺ: «من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجم من نار». رواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم: وقال: صحيح لا غبار عليه^(٣). (٧٣/١)

- وكان من دعاء رسول الله ﷺ: «أعوذ بك من علم لا ينفع» رواه مسلم. (٥١٧)

- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتابه، فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فتجتمع أهل النار عليه، فيقولون: يا فلان ما شأنك؟ أأنت كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأناكم عن الشر وآتية» رواه البخاري ومسلم واللفظ له. (٧٥/١)

وقال ابن مسعود: من تعلم علماً لم يعمل به لم يزد العلم إلا كِبَرًا.

- وقال هلال بن العلاء: طلب العلم شديد، وحفظه أشد من طلبه، والعمل به أشد من حفظه، والسلامة منه أشد من العمل به.

فنسأل الله السلامة من كل بلاء، والتوفيق لما يحب ويرضى، إنه جواد كريم.

(١) الكبائر وتبيين المحارم (١٠٩).

(٢) ص (٢٤-٢٣).

(٣) وأقره الذهبي (١٠١/١)، وصححه كذلك في الكبائر وتبيين المحارم (١١٠).

موعظة

ابن آدم!

متى تذكر عواقب الأمور؟... متى ترحل الرحال عن هذه القصور؟

إلى متى أنت في جميع ما تبني تدور؟... أين من كان قبلكم في المنازل والدور؟.. أين من ظن بسوء تدبيره أنه لن يحور؟

رحل - والله - الكل، فاجتمعوا في القبور، واستوطنوا أحسن المهاد إلى نفخ الصور.

فإذا قاموا إلى فصل القضاء والسماء تمور.

كشف الحجاب المخفي وهتك المستور، وظهرت عجائب الأفعال وحُصِّل ما في الصدور... ونصب الصراط، فكم من قدم عثور.

ووضعت عليه كالليب لخطف كل مغرور.

وأصبحت وجوه المتقين تُشرق كالبدور... وباءوا بتجارة لن تبور.

ودعا أهل الفجور بالويل والشبور، وجيء بالنار تقاد بالأزمة وهي تفور

إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً، وهي تفور

ليس في الدنيا لمن آ	من بالبعث سرور
إنما يفرح بالدن	يا جهول أو كفور
إنما الدنيا متاع	كل ما فيه اغرور
فتذكر هول يوم	السماء فيه تمور

الكبيرة التاسعة

الكذب على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ

- قال الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: بنسبة ما يستحيل عليه من الولد والشريك، وتجويز ما يمتنع عليه، من رضاه بما عليه المشركون وأمره لهم، وغير ذلك من إفكهم ﴿وَجُوهُهُمْ مُتَّوَدِّعَةٌ﴾ [الزمر: ٦٠] أي: لما ينالهم من الشدة التي تغير ألوانهم، أو لما يلحقهم من الكآبة^(١).

وقال الحسن: هم الذين يقولون: إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل، نقله ابن الجوزي في تفسيره^(٢).

- وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفر ينقل على الملة، ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله في تحليل حرام، أو تحريم حلال كفر محض. وإنما الشأن في الكذب فيما سوى ذلك.

- وقال ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. [وهذا الحديث قد روي عن غير واحد من الصحابة في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها حتى بلغ مبلغ التواتر والله أعلم]. (٦٥/١)

- وعن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» رواه مسلم وغيره. (٦٥/١)

- وعن المغيرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن كذباً علي ليس ككذب علي أحد، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه مسلم وغيره. (٦٥/١)

- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب» رواه البزار وأبو يعلى، ورواته رواية الصحيح. (٢٨/٤)

فنسأل الله التوفيق والعصمة إنه جواد كريم.

(١) تفسير القاسمي (٥١٤٧).

(٢) زاد المسير (١٩٣/٧).

الكبيرة العاشرة التكذيب بالقدر

- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩] أي: إنا خلقنا كل شيء حال كونه ملتبساً بتقديرنا له، أو بمقدار في ذاته وصفاته.

قال ابن الجوزي في تفسيره: في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن مشركي مكة أتوا رسول الله ﷺ يخاصمونهم في القدر، فنزلت هذه الآية، انفرد بإخراجه مسلم^(١).

وروى أبو أمامة^(٢) أن هذه الآية في القدرية^(٣).

والقول الثاني: أن أسقف نجران جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد تزعم أن المعاصي بقدر، وليس كذلك؟ فنزلت هذه الآية ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۖ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ ﴾ [إنا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]^(٤).

- وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

قال ابن جرير: فيها وجهان:

أحدهما: أن يكون بمعنى المصدر، فيكون المعنى: والله خلقكم وعملكم.

والثاني: أن تكون بمعنى الذي، فيكون المعنى: والله خلقكم، وخلق الذي تعملون بأيديكم من الأصنام.

وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة والله أعلم.

(١) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٣٧/٥) كذلك إلى أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم.

(٢) يعني مرفوعاً.

(٣) عزاه السيوطي (١٣٧/٥) إلى ابن عدي، وابن مردويه، والديلمي، وابن عساكر بسند ضعيف؛ لكن عزاه بسند جيد إلى عبد الله بن عمرو موقوفاً ومثله لا يقال من قبل الرأي، فحكمه حكم المرفوع.

(٤) ذكره الواحدي بإسناده إلى عطاء مرسلاً، وفيه كذلك جهالة الراوي عنه، فهو ضعيف (٣٠٠) أسباب النزول.

- وقال تبارك وتعالى: ﴿ فَأَهْمَهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: ٨] الإلهام: إيقاع الشيء في النفس.

- قال سعيد بن جبير: ألزمها فجورها وتقواها.

- وقال ابن زيد: جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور، والله أعلم.

- وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه في قوم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف ^(١) قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم ذكر حديث جبريل وسؤاله النبي ﷺ قال: ما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» خرجه مسلم ^(٢).

وقوله: «أن تؤمن بالله»

الإيمان بالله: هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال منزّه عن صفات النقص، وأنه فرد صمد خالق جميع المخلوقات، متصرف فيها بما يشاء يفعل في ملكه ما يريد.

والإيمان بالملائكة: هو التصديق بعبوديتهم لله ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨].

والإيمان بالرسول: هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى، أيدهم الله بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأنهم بلغوا عن الله تعالى رسالاته، ويبتئوا للمكلفين ما أمرهم الله به، وأنه يجب احترامهم، وأن لا يفرق بين أحد منهم.

(١) هو بضم الهمزة والنون، أي: مستأنف ليرسب به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وراجع شرح النووي (١٥٦/١).

(٢) صحيح مسلم (١٥٦/١-١٥٧).

والإيمان باليوم الآخر: هو التصديق بيوم القيامة، ومه اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت، والنشر، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار، وأنها دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين، إلى غير ذلك مما صحَّ به النقل.

[والإيمان بالكتب: هو التصديق الجازم بما أوحى الله تعالى من كلامه إلى من اصطفى من رسله - عليهم السلام - فجمع ودوّن فكان صحفًا مطهرة وكتبًا قيمة. فما عرف منها آمن به المؤمن تفصيلًا، وما لم يعرف آمن به إجمالًا^(١).

والإيمان بالقدر: هو التصديق بما تقدم ذكره.

وحاصله: ما دل عليه قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦].

وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

- ومن ذلك قوله ﷺ في حديث ابن عباس: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى عليك، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. (٤٣)

- ومذهب السلف وأئمة الخلف: أن من صدّق بهذه الأمور تصديقًا جازمًا لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمنًا حقًا، سواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو اعتقادات جازمة والله أعلم.

- وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»^(٢).

- [وفيه أيضًا عن جابر أن رجلاً قال: يا رسول الله فيم العمل اليوم؟ أفيا جفّت به

(١) هذه الزيادة من عقيدة المؤمن (٢٢٥).

(٢) صحيح مسلم (٤/٢٠٤٤).

الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: «لا بل فيما جَفَّتْ به الأقلام، وجرت به المقادير» قال: ففيم العمل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر»^(١).

- وقال ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس» خرجه أحمد ومسلم من حديث ابن عمر^(٢).

- [وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة؛ فإن مرضوا فلا يعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم» رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى العزوي، وهو ثقة]^(٣).

- وروي أنه إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة أمر منادياً فتادى نداء يسمعه الأولون والآخرون، أين خصماء الله؟ فتقوم القدرية، فيؤمر بهم إلى النار يقول الله: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ **(٤)** إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٥﴾ [القمر: ٤٨-٤٩]. وإنما قيل لهم خصماء الله؛ لأنهم يخاصمون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها.

- وروي أنه ما بعث الله نبياً قط إلا وفي أمته قدرية ومرجئة، (إن الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبياً).

- وجاء في الأثر: (القدرية مجوس هذه الأمة).

- وجاء كذلك: (لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف).

- وروى هشام بن حسان عن الحسن قال: (والله لو أن قدرياً صام حتى يصير كالحبل، ثم صلّى حتى يصير كالوتر؛ لكبه الله على وجهه في سقر، ثم قيل له: ذق مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر).

(١) صحيح مسلم (٤/٢٠٤٠-٢٠٤١).

(٢) صحيح مسلم (٤/٢٠٤٥).

(٣) مجمع الزوائد (٧/٢٠٥).

فصل

أجمع سبعون رجلاً من التابعين، وأئمة المسلمين، والسلف، وفقهاء الأمصار، على أن السُّنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ:

- أولها الرضا بقضاء الله وقدره، والتسليم لأمره، والصبر تحت حكمه، والأخذ بما أمر الله به، والنهي عما نهى الله عنه، وإخلاص العمل لله، والإيمان بالقدر خيره وشره وترك المراء والجدال والخصومات في الدين، والمسح على الخفين والجهاد مع كل خليفة برًّا وفاجرًا، والصلاة على من مات من أهل القبلة.

- والإيمان: قول وعمل ونية، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

- والقرآن كلام الله، نزل به جبريل على نبيه محمد ﷺ غير مخلوق.

- والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا.

- ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة وإن عمل بالكبائر إلا إن استحلوها.

- ولا نشهد لأحد من أهل القبلة بالجنة لخير أتى به إلا من شهد له النبي ﷺ.

- والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ.

- وأفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي بن أبي طالب ؓ أجمعين.

- ونترحم على جميع أزواج النبي ﷺ وأولاده وأصحابه ؓ أجمعين.

موعظة

عباد الله

أين الذين كتروا الكنوز، وجمعوا... وثلّموا من الشهوات وشبعوا؟
وأملّوا البقاء... فما نالوا فيها ما طمعوا... وفنيت أعمارهم بها غُرّوا به وخدعوا؟
نصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا...
وجاءهم ملك الموت فذلّوا، وخضعوا...
وأخرجهم من ديارهم، فلا -والله- ما رجعوا

فهم مفترقون في القبور، فإذا نفخ في الصور اجتمعوا
وكيف قرت لأهل العلم أعينهم أو استلذوا لذيق العيش أو هجعوا
والموت ينذرهم جهراً علانية لو كان للقوم أسباع لقد سمعوا
والنار ضاحية لا بد موردتهم وليس يدرون من ينجو ومن يقع
لقد أمست الطير والأنعام آمنة والنون في البحر لا يخشى لها فزع
والآدمي بهذا الكسب مرتهن له رقيب على الأسرار يطلع
حتى يرى فيه يوم الجمع مفرداً وخصمه الجلد والأبصار والسمع
وإذ يقومون والأشهاد قائمة والجن والإنس والأملاك قد خشعوا
وطارت الصحف في الأيدي منشرة فيها السرائر والأخبار تطلع
فكيف بالناس والأنبياء واقعة عما قليل وما تدري بما تقع
أفي الجنان وفوز لا انقطاع أم في الجحيم فلا تبقى ولا تدع
تهوى بسكانها طوراً وترفعهم إذا رجوا مخرجاً من غمها قمعوا
طال البكاء فلم ينفع تضرعهم هيهات لا رقية تغني ولا جزع

الكبيرة الحادية عشرة الغدر وعدم الوفاء بالعهد

- قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].
قال الزجاج: كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من العهد.
- وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].
قال الواحدي: قال ابن عباس (في رواية الوالبي): العقود: يعني ما أحل وحرّم، وما فرض، وما حدّ في القرآن.
- وقال الضحاك: بالعهود التي أخذ الله على هذه الأمة أن يوفوا بها بما أحل وحرّم، وما فرض من الصلاة وسائر الفرائض والعهود، وكذا العقود جمع عقد، والعقد بمعنى المعقود وهو الذي أحكم مما فرض الله علينا، فقد أحكم ذلك، ولا سبيل إلى نقضه بحال.
- وقال مقاتل بن حيان: أوفوا بالعقود التي عهد الله إليكم في القرآن بما أمركم به من طاعته أن تعملوا بها، ونهيه الذي نهاكم عنه، وبالعهود التي بينكم وبين المشركين، وفيما يكون من العهد بين الناس والله أعلم.
- وقال النبي ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اتّمن خان، وإذا حدّ كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» خرج في الصحيحين. (٥٦٤)(٤/٤٣)
- وقال رسول الله ﷺ: «لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به، يقال: هذه غدرة فلان» رواه مسلم. (٤٤/٤)
- وقال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًّا ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجره» أخرجه البخاري. (٥٦٥)(٤/٤٤)
- وقال رسول الله ﷺ: «من خلع يدًا من طاعة الله لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» رواه مسلم عن ابن عمر. الميتة (بكسر الميم). (٢٨٤)

- وقال ﷺ: «فمن أحب أن يُزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن باع إمامًا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر يتنازعه فاضربوا عنق الآخر» رواه مسلم عن ابن عمر كذلك.

(٢٨٦)

الكبيرة الثانية عشرة الجدال والمرء واللدن

- قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ أي: ومن الناس فريق يروقك كلامه ويشير إعجابك بقوة بيانه؛ ولكنه منافق كذاب ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: في هذه الحياة فقط أما الآخرة فالحاكم فيها علام الغيوب الذي يطلع على القلوب والسرائر.

﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أي: يظهر لك الإيمان ويبارز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق ﴿وَهُوَ الَّذِي الْخَصَامُ﴾ أي: شديد الخصومة يجادل بالباطل، ويتظاهر بالدين والصلاح بكلامه المعسول ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ أي: إذا انصرف عنك عاث في الأرض فسادًا ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ أي: يهلك الزرع وما تناسل من الإنسان والحيوان ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥] أي: يبغض الفساد ولا يحب المفسدين^(١).

- ومما يذم من الألفاظ: المرء والجدال والخصومة^(٢).

قال الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله: المرء طعنك في كلام لإظهار خلل فيه لغير غرض، سوى تحقير قائله وإظهار مزيتك عليه.

قال: وأما الجدال، فعبرة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها.

قال: وأما الخصومة فلجاجة في الكلام ليستوفي به مقصودًا من مال أو غيره، وتارة يكون ابتداءً وتارة يكون اعتراضًا، والمرء لا يكون إلا اعتراضًا. هذا كلام الغزالي وقال النووي: (اعلم أن الجدال قد يكون بحق، وقد يكون بباطل).

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿مَا تُجَادِلُ فِيءَ آيَتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤].

(١) صفوة التفسير (١٣٣).

(٢) الأذكار (٣٣٠-٣٣١) والإحياء (٣/ ١١٥-١١٧).

قال: فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً، وإن كان في مدافعة الحق، أو كان جدالاً بغير علم كان مذموماً، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمه، والمجادلة والجدال بمعنى واحد.

- قال بعضهم: ما رأيت شيئاً أذهب للدين، ولا أنقص للمروءة، ولا أشغل للقلب من الخصومة.

- فإن قلت: لا بد للإنسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه.

فالجواب - ما أجاب به الغزالي رحمه الله: اعلم أن الذم المتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل، وبغير علم، كوكيل المتقاضي، فإنه يتوكل في الخصومة قبل أن يعرف الحق في أي جانب هو فيخاصم بغير علم.

ويدخل في الذم أيضاً من يطلب حقه؛ لكنه لا يقتصر على قدر الحاجة؛ بل يظهر اللدد، والكذب، والإيذاء، والتسلط على خصمه.

وكذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذي، وليس له إليها حاجة في تحصيل حقه.

وكذلك من يحمل على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره.

فهذا هو المذموم.

وأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لد و إسراف وزيادة لجاح على الحاجة من غير قصد عناد، ولا إيذاء ففعله هذا ليس حراماً، ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلاً؛ لأن ضبط اللسان في الخصومة على جد الاعتدال متعذر، والخصومة توغر الصدور، وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر، ويحزن لمسرته، ويطلق لسانه في عرضه.

فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات، وأقل ما فيها اشتغال القلب، حتى إنه يكون في صلاته وخاطره متعلق بالحاجة والخصومة، فلا تبقى حاله على الاستقامة، والخصومة مبدأ الشر، وكذا الجدال والمراء.

فينبغي للإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا للضرورة لا بد منها.

- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة، ومن تركه وهو محق بني له في وسطها، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها» رواه أبو داود والترمذي واللفظ له وقال: حديث حسن. (٨٠/١)
- وجاء عن علي رضي الله عنه قال: (أن الخصومة لها قحم).
- قلت: القُحَم (بضم القاف وفتح الحاء المهملة): هي المهالك.

فصل

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه: إلا أوتوا الجدل» ثم قرأ: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۖ ﴾ [الزخرف: ٥٨]، رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهم، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. (٨١/١)
- وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المراء في القرآن كفر» رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه. (٨٢/١)
- [وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
- الألد: هو الشديد الخصومة، والخصم (بكسر الصاد المهملة): هو الذي يحج من يخاصمه]. (٨٢/١)
- وروي أن من جادل في خصومة - بغير علم - لم يزل في سخط حتى ينزع.
- وروي كذلك: كفى بك إثماً أن لا تزال مخاصماً.
- وجاء في الأثر: (أخوف ما أخاف عليكم: زلة عالم، وجدال منافق في القرآن، ودنيا تقطع أعناقكم).

فصل

يُكره التعجير في الكلام بالتشديد وتكلف السجع وبالفصاحة والتصنع بالمقدمات التي يعتادها المتفصّحون فكل ذلك من التكلف المذموم؛ بل ينبغي أن يقصد في مخاطبته لفظاً يفهمه صاحبه فهماً جلياً ولا يستثقله.

- رويناه في كتاب الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما يتخلل البقرة» قال الترمذي: حديث حسن.

- وروينا فيه أيضاً عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفقيهون» قال الترمذي: حديث حسن (٦٠٩). قال: والثرثار هو كثير الكلام، والمتشدد: من يتناول على الناس في الكلام ويبذو عليهم.

[والمتفهيق في أصله من الفهق وهو الامتلاء وهو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه، ويغرب به تكبراً وارتفاعاً وإظهاراً للفضيلة على غيره].

- واعلم أنه لا يدخل في الذم تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ؛ إذا لم يكن فيها إفراط وإغراب؛ لأن المقصود منها تهيج القلوب إلى طاعة الله تعالى، ولحسن اللفظ في هذا أثر ظاهر والله أعلم.

الكبيرة الثالثة عشرة عدم التنزه من البول وهو شعار النصارى

- قال الله تعالى: ﴿وَتِيَابُكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤].
- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير، أما أحدهما: فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٨٦/١)
- وقال رسول الله ﷺ: «عامة عذاب القبر في البول، فاستنزهوا من البول» رواه الدارقطني عن ابن عباس، من رواية أبي يحيى القتات وقال: إسناده لا بأس به، والقتات مختلف في توثيقه^(١). (٨٦/١)
- ثم إن من لم يترحم من البول في بدنه وثيابه؛ فصلاته غير مقبولة.
- وروى الحافظ أبو نعيم في الحلية^(٢) عن شفي بن ماتع مرفوعاً: (أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى: يسعون بين الحميم والجحيم، يدعون بالويل والثبور، يقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى؟)
- قال: فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجير أمعاءه، ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً ورجل يأكل لحمه، قال: فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ قال: فيقول: إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس، لم يجد لها فضلاً أو قال: وفاء، ثم يقال للذي يجير أمعاءه: ما بال الأبعد، قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ قال: فيقول: إن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول منه، ثم لا يغسله ثم يقال للذي يسيل قيحاً ودماً: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قَدَّعة^(٣)

(١) وقد خرجه الدارقطني من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «أكثر عذاب القبر من البول» وقال صحيح (١٢٨/١).

(٢) حلية الأولياء (١٦٧/١-١٦٨).

(٣) القَدَّع (بفتحين): الفحش من الكلام الذي يقبح ذكره - قاله في اللسان.

خبيثة يستلذها ويستلذ الرفث، ثم يقال للذي يأكل لحمة: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ قال: فيقول: إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس [بالغيبة] ^(١) ويمشي بالنميمة ^(٢) فنسأل الله العفو والعافية بمئه وكرمه إنه أرحم الراحمين.

موعظة

أيها العبد

تذكروا في مصارع الذين سبقوا... وتدبروا في عواقبهم أين انطلقوا؟ واعلموا أنهم قد تقاسموا وافترقوا... أما أهل الخير فسعدوا، وأما أهل الشر فشقوا، فانظر لنفسك قبل أن تلقى ما لقوا.

والمراء مثل هلال عند مطلعته	يبدو ضئيلاً لطيفاً ثم يتساق ^(٣)
يزداد حتى إذا ماتم أعقبه	كر الجديدين ^(٤) نقصاً ثم يمتحق ^(٥)
كان الشباب رداء قد بهجت به	فقد تطاير منه لليلي ^(٦) خرق
ومات مبتسم جدّ المشيب به ^(٧)	كالليل ^(٨) ينهض في أعجازه الأفق
عجبت والدمر لا تفنى عجائبه	من راكنين إلى الدنيا وقد صدقوا
وطالما نغصت ^(٩) بالفجع صاحبها	بطارق الفجع والتنغيص قد طرّقوا

-
- (١) الزيادة من رواية الترغيب.
(٢) وإسناده لين، وشفي بن ماتع مختلف في صحته، وقد ذكره البخاري وابن حبان في التابعين، قاله المنذري (٥٩٩/٣)
وهذا لفظ الزهد (٩٤) من الزيادات.
(٣) اتسق القمر: استوى وامتلاً، كذا في المعجم الوجيز.
(٤) كر الجديدين: تعاقب الليل والنهار.
(٥) المحاق: تناقص جرم القمر وضوؤه بعد انتهاء ليالي اكتماله.
(٦) اللي: بلل الثوب ببلّ رثّ وخلق.
(٧) جد المشيب به: أسرع الشيب به إلى حتفه.
(٨) كالليل: مشبهاً بالليل يكون ضوء النهار في أواخره.
(٩) نغصت: كدرت.

دار تعد بها الآجال مهلكة
يا للرجال لمخدوع بباطلها
أقول والنفس تدعوني لزخرفها
أين الذين إلى لذاتها جنحوا^(٣)
أمست مساكنهم قفراً معطلة
يا أهل لذة دار لا بقاء لها

وذو التجارب فيها خائف فرق^(١)
بعد البيان ومغرور بها يثق
أين الملوك ملوك الناس والسوق؟^(٢)
قد كان قبلهم عيش ومرتفق^(٤)
كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا
إن اغترارًا بظل زائل حمق

(١) فرق: خائف.

(٢) السوق: جمع سوقة وهم أوساط الناس.

(٣) جنحوا: مالوا.

(٤) مرتفق: ما يتنفع به.

الكبيرة الرابعة عشرة تعمد ترك الصلاة

- قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

قال المفسرون: المراد بذكر الله - في هذه الآية - الصلوات الخمس؛ فمن اشتغل بباله في بيعه، وشرائه، ومعيشته، وضييعته وأولاده عن الصلاة في وقتها؛ كان من الخاسرين.

وهكذا قال النبي ﷺ: «أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة؛ فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله» رواه الطبراني ولا بأس بإسناده. (١٤٣/١)

- وقال تعالى خبراً عن أصحاب الجحيم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ ١٥ ﴿قَالُوا لَكَ تَرْكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ ١٦ ﴿وَلَمْ تَكُ تَطْعِمُ الْمَسْكِينِ﴾ ١٧ ﴿وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ ١٨ ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ بَيِّنَاتٍ مِنَ الَّذِينَ﴾ ١٩ ﴿حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ﴾ ٢٠ ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾ [الدثر: ٤٢-٤٨].

- وقال النبي ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» خرجه الأربعة وصححه الترمذي وغيره. (١٩٤/١)

- وقال النبي ﷺ: «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة» خرجه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، وهذا لفظه. (١٩٤/١)

- وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله». (١٦٩/١)

- وفي معجم الطبراني الأوسط عن معاذ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تترك الصلاة متعمداً؛ فإن من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله»، ولا بأس بإسناده في المتابعات. (١٩٦/١)

- وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله» متفق عليه. (٤٤٠)

- وقال ﷺ: «من حافظ عليها كانت له نورًا، وبرهانًا، ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور، ولا برهان، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبي بن خلف» رواه أحمد بإسناد جيد. (١٩٧/١)

- وقال بعض العلماء رحمهم الله: وإنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة؛ لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بهاله، أو بملكه، أو بوزارته، أو بتجارته.

فإن اشتغل بهاله حُشِرَ مع قارون.

وإن اشتغل بملكه حُشِرَ مع فرعون.

وإن اشتغل بوزارته حُشِرَ مع هامان.

وإن اشتغل بتجارته حُشِرَ مع أبي بن خلف تاجر الكفار بمكة.

- ولما طعنَ عمر بن الخطاب ؓ قيل له: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: نعم، أما إنه لا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة، وصلى ﷺ وجرحه يثعب^(١) دماً^(٢).

- وقال عبد الله بن شقيق التابعي ؓ: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة، رواه الترمذي في كتاب الإيمان بإسناد صحيح. (٤١٠)

- وسئل علي ؓ عن امرأة لا تصلي، فقال: من لم يصل فهو كافر، رواه البخاري في تاريخه^(٣) وغيره^(٤). (١٩٧/١)

- وقال ابن مسعود ؓ: من لم يصل فلا دين له. (١٩٧/١)

- وقال ابن عباس ؓ: من ترك الصلاة فقد كفر. (١٩٧/١)

وهو قول إبراهيم النخعي، وأيوب السختياني.

(١) يثعب (يفتح فسكون ففتح) يجري كما في اللسان (ثعب).

(٢) أخرجه الأجرى في الشريعة (١٣٤) وقال في مجمع الزوائد (٢٩٥/١): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

(٣) ولا يذكر المتن (٣٩٣/٤).

(٤) ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان (رقم ١٢٦)، وقال الشيخ ناصر وهذا لا يصح عن علي وأعله براؤ فيه مجهول، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٨٩٨).

- وقال عون بن عبد الله: إن العبد إذا أدخل قبره سُئِلَ عن الصلاة أول شيء يُسأل عنه؛ فإن جازت له نظر فيما دون ذلك من عمله، وإن لم تجز له لم ينظر في شيء من عمله بعده.

- وقال ابن حزم: لا ذنب - بعد الشرك - أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها وقتل مؤمن بغير حق.

- وقد اختلف العلماء - رحمهم الله - في حكم تارك الصلاة فقال مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله: تارك الصلاة يقتل ضرباً بالسيف في رقبته [وقال بعض الشافعية: يُضرب بالخشب إلى أن يصلي أو يموت، وقال ابن شريح: ينخس بالسيف حتى يموت؛ لأنه أبلغ في زجره وأرجى لرجوعه، وقال أبو حنيفة وداود والمزني وغيرهم: يحبس حتى يموت أو يتوب، ولا يقتل]^(١) ثم اختلفوا في كفره إذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتها.

فقال إبراهيم النخعي، وأيوب السختياني، وعبد الله بن المبارك، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه: هو كافر، واستدلوا بقول النبي ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (١/ ١٩٤)، ويقول ﷺ: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة» رواه أحمد ومسلم. (١/ ١٩٤)

- وروى أنه أول ما يسود - يوم القيامة - وجوه تاركي الصلاة وأن في جهنم وادياً يقال له: للمم فيه حيّات: كل حية بثخن رقبة البعير، طولها مسيرة شهر، تلسع تارك الصلاة فيغلي سمها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه.

(١) مستفادة من كتاب الصلاة لابن القيم (٤).

حكاية

روي أن امرأة من بني إسرائيل جاءت إلى موسى عليه السلام فقالت: يا رسول الله إني أذنبت ذنباً عظيماً، وقد تبت منه إلى الله تعالى، فادع الله أن يغفر لي ذنبي ويتوب عليّ.

فقال لها موسى عليه السلام: وما ذنبك؟

قالت: يا نبي الله إني زنيت، وولدت ولداً فقتلته، فقال لها موسى عليه السلام: اخرجي يا فاجرة؛ لتنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك، فخرجت من عنده منكسرة القلب، فنزل جبريل عليه السلام وقال: يا موسى الرب تعالى يقول: لم رددت التائب؟ يا موسى أما وجدت شرّاً منها؟ قال موسى: يا جبريل ومن هو شر منها؟ قال: تارك الصلاة عامداً متعمداً.

فصل

في الزجر عن تأخير الصلاة عن وقتها

- قال الله تعالى: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً] [مريم: ٥٩-٦٠].

قال ابن عباس رضي الله عنه: ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية؛ ولكن أخروها عن أوقاتها. وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين رحمه الله: هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر، ولا يصلي العصر إلى المغرب، ولا يصلي المغرب إلى العشاء، ولا يصلي العشاء إلى الفجر، ولا يصلي الفجر حتى تطلع الشمس.

فمن مات وهو مُصَرّاً على هذه الحالة ولم يتب؛ وعده الله بغيّ وهو وادٍ في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه.

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٤-٥] أي: غافلون عنها متهاونون بها.

- وسُئل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن الذين هم عن صلاتهم ساهون، فقال: هو تأخير الوقت، أي: تأخير الصلاة عن وقتها.

سماهم مصليين؛ لكنهم لما تهاونوا بها وأخروها عن وقتها، وعدهم بويل وهو شدة العذاب، وقيل: هو وادٍ في جهنم لو سُيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب الله عليه ويندم على ما فرط.

- وقال تعالى في آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُوا أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].
- [وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلى رسول الله ﷺ الصلاة لوقتها الأخير حتى قبضه الله، خرجه الحاكم في المستدرك وصححه على شرط الشيخين^(١)].
- وسئل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: «أفضل العمل الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، والجهاد» رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح.
- وروى أنه من صلى الصلوات لوقتها وأسبغ لها وضوءها وأتم لها قيامها، وخشوعها، وركوعها، وسجودها؛ خرجت وهي بيضاء مسفرة تقول: حفظك الله كما حفظتني، ومن صلاها لغير وقتها ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها؛ خرجت وهي سوداء مظلمة تقول: ضيعك الله كما ضيعتني، حتى إذا كانت حيث شاء الله لُفَّت كما يُلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه^(٢).
- وعن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة: من تقدم قوماً وهم له كارهون، ورجل أتى الصلاة دباراً - والدبار أن يأتيها بعد أن تفوته - ورجل اعتبد محرره» رواه أبو داود وابن ماجه^(٣).
- وروى أنه من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً من أبواب الكبائر^(٤).
- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدي الله - عز وجل - فيأمر به إلى النار، فيقول: يا رب لماذا؟ فيقول الله تعالى: لتأخير الصلاة عن أوقاتها وحلفك بي كاذباً.
- فنسأل الله التوفيق والإعانة إنه جواد كريم، وأرحم الراحمين.

(١) ووافقه الذهبي (١/ ١٩٠).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط مرفوعاً، ورمز المنذري لضعفه (١/ ١٤٩).

(٣) في إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي وهو ضعيف، قاله المنذري كما في عون المعبود (٢/ ٣٠٤).

(٤) خرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٥) وأعله الذهبي بحسن بن قيس ضعيف.

حكاية عن بعض السلف

أنه أتى أختًا له ماتت فسقط كيس منه فيه مال في قبرها فلم يشعر به أحد حتى انصرف عن قبرها، ثم ذكره فرجع إلى قبرها فنبشه بعدما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نازًا، فرد التراب عليها ورجع إلى أمه باكيا حزينا، فقال: يا أماه أخبريني عن أختي وما كانت تعمل؟

قالت: وما سؤالك عنها؟ قال: يا أمي، رأيت قبرها يشتعل عليها نازًا.

قال: فبكت، وقالت: يا ولدي كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها.

فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها، فكيف حال من لا يصلي؟

فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها في أوقاتها إنه جواد كريم.

فصل

متى يؤمر الصبي بالصلاة؟

روى أبو داود في السنن أن رسول الله ﷺ قال: «مُرُوا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، واضربوه عليها ابن عشر سنين» حديث حسن رواه أبو داود والترمذي، وفي رواية: «مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» حديث حسن رواه أبو داود بإسناد حسن. (١٤٨)

قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله: هذا الحديث يدل على إغلاظ العقوبة له إذا بلغ تاركًا لها، وكان بعض أصحاب الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - يحتج به في وجوب قتله إذا تركها متعمدًا بعد البلوغ، ويقول: إذا استحق الضرب وهو غير بالغ فيدل على أنه يستحق بعد البلوغ من العقوبة ما هو أبلغ من الضرب، وليس بعد الضرب شيء أشد من القتل.

فصل

في عقوبة من ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها

- قد روي في تفسير قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ [الماعون: ٤-٥]. أنه الذي ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها.

- وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ؓ أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد فصلّى ثم جاء فسلم عليه فقال له رسول الله ﷺ: «وعليك السلام ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ، فصلّى، ثم جاء فسلم فقال: «وعليك السلام ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ، فصلّى، ثم جاء فسلم فقال: «وعليك السلام ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ» فقال في الثانية أو التي تليها: علمني يا رسول الله فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راکعاً، ثم ارفع حتى تستوي قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تستوي قائماً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» (١/١٨٣)

- وروى الإمام أحمد عن أبي مسعود البصري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صُلبه في الركوع والسجود» ورواه أبو داود أيضاً، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح وفي رواية أخرى: «حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود».

(١/١٨١)

فهذا نص عن النبي ﷺ في أن من صلّى ولم يُقَمْ ظهره بعد الركوع والسجود كما كان فصلاته باطلة، فهذا فرض في الصلاة، وكذا الطمأنينة وهي أن يستقر كل عضو في موضعه.

- وثبت عنه ﷺ أنه قال: «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته» قالوا: يا رسول الله كيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها» صححه ابن خزيمة والحاكم^(١).

- وروى الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينظر الله إلى

(١) وأقره الذهبي (١/١٨١).

عبد لا يقيم ضلّبه بين ركوعه وسجوده» وإسناده جيد. (١٨٣/١)

- وقال ﷺ: «تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعمائة لا يذكر الله فيها إلا قليلاً» رواه مسلم^(١).

- وروى الطبراني بإسناد حسن وابن خزيمة في صحيحه أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلي فقال رسول الله ﷺ: «لومات هذا على حاله هذه مات على غير ملة محمد ﷺ».

(١٨٢/١)

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة - وأشار بيده على أنفه - واليدين، والركبتين، والقدمين» متفق عليه، وفي رواية: «أمرت أن أسجد على سبع، ولا أكفت الشعر ولا الثياب: الجبهة والأنف، واليدين، والركبتين، والقدمين» رواه مسلم والنسائي^(٢).

فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعن ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته.

- وروي أنه: ما من مصلٍّ إلا ومَلَكٌ عن يمينه، ومَلَكٌ عن يساره؛ فإن أتمها عرجا بها، وإن لم يتمها ضربا بها على وجهه^(٣).

- وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: الصلاة مكيال فمن وُقِيَ وُقِيَ له، ومن طُفِفَ فقد علمتم ما قال الله في المطففين، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]. والمطفف: هو المنقص للكيل، أو الوزن، أو الذرع، أو الصلاة، وعدهم الله بويل وهو وادٍ في جهنم تستغيث جهنم من حره، نعوذ بالله منه.

- وروى البخاري^(٤) أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه رأى رجلاً يصلي ولا يتم ركوع الصلاة

(١) صحيح مسلم (٤٣٤/١).

(٢) نيل الأوطار (٢٥٨/٢) والكفت: الجمع والضم، قال النووي: اتفق العلماء على النهي عن الصلاة وثوبه مشمر أو كمة أو نحوه، أو رأسه معقوص أو مردود شعره تحت عمامته أو نحو ذلك، فكل هذا منهي عنه باتفاق العلماء، وهو كراهة تنزيه، فلو صلى كذلك فقد أساء وصحت صلاته (٢٠٩/٤).

(٣) رواه الأصبهاني عن عمر بن الخطاب مرفوعاً، ورمز المنذري لضعفه (١٨٣/١).

(٤) صحيح البخاري (٢٠٠/١).

ولا سجودها فقال له حذيفة: ما صليت ولو ميتٌ مُتَّ على غير الفطرة التي فطر الله محمدًا ﷺ، وفي رواية النسائي^(١) أنه قال: منذ كم تصلي هذه الصلاة؟ قال: منذ أربعين سنة قال: ما صليت منذ أربعين سنة، ولو ميتٌ وأنت تصلي هذه الصلاة لمت على غير فطرة محمد ﷺ.

- وكان الحسن البصري يقول: يا ابن آدم أي شيء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك، وأنت أول ما تسأل عنها يوم القيامة.

كما ورد من قول النبي ﷺ: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة - من عمله - صلاته؛ فإن صلحت فقد أفلح وأنجح؛ وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة؟ ثم تكون سائر أعماله على هذا» رواه الترمذي وقال: حديث حسن. (٤١١)

فينبغي للعبد أن يستكثر من النوافل حتى يكمل به ما انتقص من فرائضه، وبالله التوفيق.

(١) سنن النسائي (٣/٥٨).

الكبيرة الخامسة عشرة ترك صلاة الجماعة من غير عذر

- قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ٤٣ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿٤٢﴾ [القلم: ٤٢-٤٣].

وذلك يوم القيامة يغشاهم ذل الندامة، وقد كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود.

وقال إبراهيم التيمي: يعني إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة.

وقال سعيد بن المسيب: كانوا يسمعون (حي على الصلاة، حي على الفلاح) فلا يجيبون وهم أصحاب سالمون.

وقال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين تخلفوا عن الجماعة.

فأي وعيد أشد وأبلغ من هذا لمن ترك الصلاة في الجماعة مع القدرة على إتيانها؟

- وفي الصحيحين عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطب يحتطب، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم أمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة في الجماعة؛ فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»، وفي رواية لمسلم أيضاً من حديث أبي هريرة: «لقد هممت أن أمر فتيتي فيجمعوا لي حزماً من حطب، ثم آتي قوماً يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم».

(١٥٦/١)

ولا يتوعد بحرق بيوتهم عليهم بالنار إلا على ترك واجب مع ما في البيوت من الذرية والمتاع، وفي هذا الحديث والآية التي قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر.

- وعن أبي هريرة ؓ قال: أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال: يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصل في بيته فرخص له فلما ولى دعاه، فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» قال: نعم، قال: «فأجب» رواه مسلم. (٤٠٦)

- وروى أبو داود وابن خزيمة في صحيحه عن عمرو بن أم مكتوم ؓ قال: قلت: يا رسول الله أنا ضرير شاسع الدار ولي قائد لا يلايني، فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال: «تسمع النداء؟» قال: نعم، قال: «ما أجدر لك رخصة». وفي رواية لأبي داود

بإسناد جيد فقال رسول الله ﷺ: «تسمع حي على الصلاة حي على الفلاح فحيها»^(١) قوله (فحيها) أي: تعال وأقبل، قوله (شاسع الدار) أي بعيد الدار (لا يلايمني) أي لا يوافقني.

فهذا رجل ضرير البصر شكاً ما يجد من المشقة في مجيئه إلى المسجد، وليس له قائد يقوده إلى المسجد، ومع هذا لم يُرخض له النبي ﷺ في الصلاة في بيته، فكيف بمن يكون صحيح البصر سليماً لا عذر له؟

- وقد روى أبو داود في سننه، وابن حبان في صحيحه عن ابن عباس رضيهما الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر - قالوا: وما العذر؟ قال: «خوف أو مرض - لم تقبل منه الصلاة التي صلى» يعني في بيته.

ولهذا لما سُئل ابن عباس رضيهما الله عنهما عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلي في جماعة، ولا يجمع، فقال: إن مات على هذا فهو في النار.

- وقال أبو هريرة رضي الله عنه: لأن تمتلئ أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير له من أن يسمع النداء ولا يجيب.

- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد، قيل: ومن جار المسجد؟ قال: من يسمع الأذان.

- وقال أيضاً: من سمع النداء فلم يأت له تجاوز صلاته رأسه إلا من عذر.

- وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (من سره أن يلقي الله غداً مسلماً؛ فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادي بهن، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف) (١٥٠/١). يعني: يتكأ عليهما من ضعفه؛ حرصاً على فضلها؛ وخوفاً من الإثم في تركها.

(١) وحسنه النووي في رياض الصالحين (٤١٧).

- [وقال ابن المنذر: رويانا عن غير واحد من أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: مَنْ سَمِعَ النداء ثم لم يجب من غير عذر فلا صلاة له، منهم ابن مسعود، وأبو موسى الأشعري.

ومن كان يرى أن حضور الجماعات فرض: عطاء، وأحمد بن حنبل، وأبو ثور، وقال الشافعي ﷺ: لا أرخص لمن قدر على صلاة الجماعة في ترك إتيانها إلا من عذر.

- وقال الخطابي -بعد ذكر حديث ابن أم مكتوم-: وفي هذا دليل على أن حضور الجماعة واجب، ولو كان ذلك ندباً لكان أولى من يسعه التخلف عنها أهل الضرورة والضعف، ومن كان مثل حال ابن أم مكتوم.

- وكان عطاء بن أبي رباح يقول: ليس لأحد من خلق الله في الحضر والقرية رخصة إذا سَمِعَ النداء في أن يدع الصلاة، وقال الأوزاعي: لا طاعة للوالد في ترك الجمعة والجماعات^(١).

فصل

- وفضل صلاة الجماعة عظيم.

كما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. أنهم المصلون الصلوات الخمس في الجماعات.

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ [يس: ١٢]. أي: خطاهم.

- وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رُفِعَتْ له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يُجَدِّث: اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة». (٤٠٦)

- وقال ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟» قالوا: بلى يا

(١) الزيادة من الترغيب (١٥٧/١).

رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط فذلكم الرباط» . رواه مسلم (٤٠٥)

- ويكون اعتناؤه بحضور صلاة العشاء والفجر أشد.

فإن النبي ﷺ قال: «ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً» متفق عليه. (٤٠٨)

- وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا إذا فقدنا الإنسان في صلاة العشاء والصبح أسأنا به الظن. يعني: أن يكون قد نافق، أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه على شرط الشيخين^(١).

- كان الربيع بن خيثم قد سقط شقه في الفالج^(٢) فكان يخرج إلى الصلاة متوكئاً على رجلين، فيقال له: يا أبا محمد قد رخص لك أن تصلي في بيتك؛ أنت معذور، فيقول: هو كما تقولون؛ ولكن أسمع المؤذن يقول: حي على الصلاة، حي على الفلاح، فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفاً أو حبواً فليفعل.

- وقال حاتم الأصم: فاتتني مرة صلاة الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف إنسان!!

لأن مصيبة الدين عن الناس أهون من مصيبة الدنيا.

- وكان بعض السلف يقول: ما فاتت أحداً صلاة الجماعة إلا بذنب أصابه.

- وقال ابن عمر: خرج عمر يوماً إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر: إن الله وإن إليه راجعون، فاتتني صلاة العصر في الجماعة، أشهدكم أن حائطي على المساكين صدقة؛ ليكون كفارة لما صنع عمر رضي الله عنه.

والحائط: البستان فيه النخل.

(١) وأقره الذهبي (١/٢١١).

(٢) مرض يحدث في أحد شقي البدن طولاً فيبطل إحساسه وحركته (٥٧٨) المصباح.

حكاية

عن عبيد الله بن عمر القواريري -شيخ البخاري ومسلم- قال: لم تكن تفوتني صلاة العشاء في الجماعة قط، فنزل بي ليلة ضيف فشغلت بسببه، وفاتتني صلاة العشاء في الجماعة فخرجت أطلب الصلاة في مساجد البصرة فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد فرجعت إلى بيتي، وقلت: قد ورد في الحديث أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، فصليت العشاء سبعاً وعشرين مرة، ثم نمت، فرأيت في المنام كأنني مع قوم على خيل وأنا أيضاً على فرس ونحن نستبق، وأنا أركض فرسي، فلا ألحقهم. فالتفت إليّ أحدهم فقال: لا تتعب فرسك فلست تلحقنا.

قلت: ولم؟ قال: لأننا صلينا العشاء في جماعة وأنت صليت وحدك.

فانتبهت وأنا مغموم حزين لذلك.

فنسأل الله المعونة والتوفيق إنه جواد كريم.

الكبيرة السادسة عشرة الإصرار على ترك صلاة الجمعة

- [قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ أي: يا معشر المؤمنين المصدقين بالله ورسوله، إذا سمعتم المؤذن ينادي لصلاة الجمعة ويؤذن لها ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أي: فامضوا إلى سماع خطبة الجمعة وأداء الصلاة واتركوا البيع والشراء ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فإن نفع الآخرة أجل وأبقى ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ العلم القويم^(١) [الجمعة: ٩].

- وعن حفصة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «رواح الجمعة واجب على كل محتلم»^(٢) أي: على كل بالغ.

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة: «لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم» رواه مسلم. (٢٥٩/١)

- وعن أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «ليستهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن» الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» رواه مسلم (٤٢٦-٤٢٧). ودعهم (بفتح الواو وسكون الدال) تركهم.

- وعن أبي الجعد الضمري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من ترك ثلاث مجامع تهاوناً بها طبع الله على قلبه» حسنه الترمذي، وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم^(٣). (٢٥٩/١)

- وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من ترك الجمعة ثلاث مجامع متواليات فقد نبذ الإسلام وراء ظهره. رواه أبو يعلى موقوفاً بإسناد صحيح. (٢٦١/١)

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

(١) صفوة التفاسير (٣/ ٣٨٠).

(٢) رواه النسائي، قال الشوكاني: رجال إسناده رجال الصحيح إلا عياش بن عياش وقد وثقه العجلي (٣/ ٢٢٧).

(٣) وأقره الذهبي (١/ ٢٨٠)، وقال في الكياف وتبيين المحارم: وإسناده قوي (١٦٩).

الكبيرة السابعة عشرة لبس الحرير والذهب للرجال

- في الصحيحين عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة». وهذا عام في الجند وغيرهم.

لقوله ﷺ: «حُرِّمَ لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لإناثهم» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. (٣٣٤)

- وعن حذيفة بن اليمان ؓ قال: نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديبا، وأن نجلس عليه، أخرجه البخاري. (٣٣٤)

- فمن استحل لبس الحرير من الرجال فهو كافر.

وإنما رخص فيه الشارع ﷺ لمن به حكمة، أو جرب، أو غيره وللمقاتلين عند لقاء العدو، فعن أنس ؓ قال: رخص رسول الله ﷺ للزبير، وعبد الرحمن بن عوف ؓ في لبس الحرير لحكمة كانت بهما. متفق عليه. (٣٣٤)

- وأما لبس الحرير للزينة في حق الرجال فحرام بإجماع المسلمين سواء كان قباء^(١) أو قبطياً^(٢) أو كلوته^(٣)، وكذلك إذا كان الأكثر حريراً كان حراماً.

وكذلك الذهب لبسه حرام على الرجال، سواء كان خاتماً أو حياصة^(٤)، أو سقط سيف، حرام لبسه وعمله^(٥).

(١) قال في المعجم الوجيز (٤٨٩): القَبَاءُ: ثوب يلبس فوق الثياب، أو القميص ويتمنطق عليه.

(٢) القبطية: ثياب كتان بيض رفاق تُعْمَلُ بمصر. اللسان (قبط)

(٣) جمعها كلوتات: غطاء الرأس: طاقية صغيرة تلبس وحدها وبعمامة.

(٤) نوع من الخزام كان يسمى قديماً بالمنطقة، وكان دائماً من الفضة أو من الذهب.

(٥) يجوز للرجل تحلية آلات الحرب بالفضة خاصة وذلك في السيف، والرمح، والسكين، أما التحلية بالذهب فحرام في جميع ذلك قليلاً كان أو كثيراً، ويحرم على الرجل لبس الذهب والتحلي به مطلقاً، أما اتخاذ أنف أو سن فيجوز للحاجة اهـ مختصراً (١٦٦) مستند الإجماع.

وقد رأى النبي ﷺ في يد رجل خاتماً من ذهب فتزعه وقال: «يعمد أحدكم إلى جمره من نار فيجعلها في يده» رواه مسلم.

(١٠٤/٣)

وكذلك طراز^(١) الذهب وكلوثة الزركش^(٢) حرام على الرجال.

- واختلف العلماء في جواز إلباس الصبي الحرير والذهب، فرخص فيه قوم ومنع منه آخرون لعموم قوله ﷺ عن الذهب والحرير: «إن هذين حرام على ذكور أمتي» رواه أبو داود بإسناد حسن.

(٣٤٤)

فدخل الصبي في النهي وهذا مذهب الإمام أحمد وآخرين رحمهم الله.

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

(١) طرز الثوب أي وشاه وزخرفته: جعل له طرازاً، فطراز الذهب: زخرفة من ذهب تكون في الثوب. وراجع المصباح والمعجم الوجيز.

(٢) غطاء للرأس: طاقية صغيرة مطرزة بالذهب.

الكبيرة الثامنة عشرة

تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء

- في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال) رواه البخاري وأبو داود. (١٠٥/٣)

- وفي رواية للبخاري: (لعن رسول الله ﷺ المختئين من الرجال والمترجلات من النساء) والمخنت (بفتح النون وكسرها): من فيه انخناث، وهو التكسر والتثني كما يفعله النساء.

(١٠٥/٣)

والمترجلة: التي تشبه بالرجال في لبسهم وحديثهم.

- وفي رواية: لعن الله الرجل من النساء وإسناده حسن^(١).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل).

(٥٨١)

رواه أبو داود بإسناد صحيح^(٢)

- فإذا لبست المرأة زي الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة فقد شابهت الرجال في لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله، ولزوجها إذا أمكنها من ذلك أي رضي به ولم ينهها؛ لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية لقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا قُورًا أَنْفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُورُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ﴾ [التحریم: ٦]. أي: أدبهم، وعلموهم، ومروهم بطاعة الله، وانهوهم عن معصية الله، كما يجب عليكم ذلك في حق أنفسكم.

ولقول النبي ﷺ: «كلكم راع ومستول عن رعيته، الرجل راع في أهله ومستول عن رعيته» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٨٣/٣)

(١) وذكره في الكبائر وتبيين المحارم (١٠١، ١٠٢).

(٢) الكبائر وتبيين المحارم (١٠٢).

- وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك الرجال حين أطاعت النساء»
خرجه الحاكم وقال: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه^(١).

- وقال الحسن: والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله تعالى في النار.

- وقال ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا» رواه مسلم وغيره.
(١٠١/٣)

قوله (كاسيات): أي من نعم الله، (عاريات) من شكرها.

وقيل: هو أن تلبس المرأة ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها.

ومعنى (مائلات) قيل: عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه.

(مميلات): أي يعلمن غيرهن الفعل المذموم.

وقيل (مائلات): متبخرات مميلات لأكتافهن.

وقيل (مائلات): يمشطن المشطة الميلاء، وهي مشطة البغايا.

و(مميلات): يمشطن غيرهن تلك المشطة.

(رءوسهن كأسنمة البخت) أي يكبرنها، ويعظمونها بلف عصاة أو عمامة أو نحوهما.

- وعن نافع قال: كان ابن عمر وعبد الله بن عمرو عند الزبير بن عبد المطلب إذ أقبلت امرأة تسوق غنماً متنكبة قوساً، فقال عبد الله بن عمر: أرجل أنت أم امرأة؟ فقالت: امرأة، فالتفت إلى ابن عمر و فقالت: «إن الله تعالى لعن على لسان نبيه المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء»^(٢).

- ومن الأفعال التي تلعن عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب

(١) وأقره الذهبي (٢٩١/٤) وعزاه في المقاصد الحسنة (٤٥٦) للمسند.

(٢) المرفوع من هذه الرواية صحيح وقد ذكر في أول الكبيرة، وقد أخرج الرواية بهذا السياق بدر بن الهيثم القاضي (٣٢٨) جمهرة الأجزاء الحديثية، وأفاد محققه أن في إسناده من لا يعرف، والله أعلم.

وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت، ولبسها الصباغات والأزر والحريير والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام، إلى غير ذلك إذا خرجت.

- وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه، ويمقت فاعله في الدنيا والآخرة، وهذه الأفعال قد غلبت على أكثر النساء.

قال عنهن النبي ﷺ: «واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء» رواه مسلم^(١).

وقال ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء» رواه مسلم^(٢).

فنسأل الله أن يقينا فتنتهن وأن يصلحهن وإيانا بمنه وكرمه.

موعظة

ابن آدم

كأنك بالموت وقد فجأك وهجم ... وألحقك بمن سبقك من الأمم.

ونقلك إلى بيت الوحدة والظلم ... ومن ذلك إلى عسكر الموتى بخيمة بين الخيم.

مفرقاً من مالك ما اجتمع، ومن شملك ما انتظم، ولا تدفعه بكثرة الأموال ولا بقوة الخدم ونُدمت على التفريط غاية الندم، فيا عجباً لعين تنام وطالبها لرينم.

متى تحذر مما توعد وتهدد؟ ... ومتى تُضرم نار الخوف في قلبك وتتوقد؟

إلى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تتجدد؟

إلى متى لا يهولك زجر الواعظ وإن شدد؟

إلى متى أنت بين الفتور والتواني تتردد؟

متى تحذر يوماً فيه الجلود تنطق وتشهد؟

متى تترك ما يفنى فيما لا ينفد؟

متى تهب بك في بحر الوجد ريح الخوف والرجاء؟ ... متى تكون في الليل قائماً إذا سجا؟

(١) صحيح مسلم (١٧/٥٣).

(٢) صحيح مسلم (١٧/٥٤).

أين الذين عاملوا مولا هم وأنفردوا؟
وقدموا إلى بابه في الأسحار ووفدوا
لقد ساروا وتحلّفت وفاتك ما وجدوا
يا نائم الليل كم ترقد
من نام حتى ينقضي ليله
فقل لذوي الأبواب أهل التقى

وقاموا في الدجى وركعوا وسجدوا؟
وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا؟
وبقيت في أعقابهم وإن لم تلحق بعد
قم يا حيي قد دنا الموعد
لم يبلغ المنزل أو يجهد
قنطرة العرض لكم موعد

الكبيرة التاسعة عشرة

إسبال الإزار والثوب واللباس والسر اويل تعزراً وعجباً وفخراً وخيلاء

- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾. أي: لا تمشي متبخترًا متكبرًا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]؛ أي: لأن الله يكره المتكبر الذي يرى العظمة لنفسه ويتكبر على عباد الله، المتبختر في مشيته، والفخور الذي يفتر على غيره^(١).
- وقال النبي ﷺ: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار» رواه البخاري عن أبي هريرة ؓ. (٣٢٨)
- وعنه قال عليه الصلاة والسلام: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطرًا» رواه مالك والبخاري ومسلم. (٩٨/٣)
- وعن أبي ذر الغفاري ؓ عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» رواه مسلم وغيره. (٩٨/٣)
- المسبل: هو الذي يسبل إزاره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون إلى قدميه.
- وفي الحديث أيضًا عن رسول الله ﷺ قال: «بيننا رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم. مرجل: أي ممشط. (١٩/٤)
- وقال عليه الصلاة والسلام: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء» رواه مالك والبخاري ومسلم عن ابن عمر ؓ. (٩٨/٣)

(١) صفوة التفاسير (١٠٧٨).

- وقال عليه الصلاة والسلام: «الإسبال في الإزار والقميص والعمامة: من جرَّ شيئاً خيلاً لم ينظر الله إليه يوم القيامة» رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح^(١). (٣٢٩)
- وقال عليه الصلاة والسلام: «إزرة المسلم إلى نصف الساق ولا حرج -أو لا جناح- فيما بينه وبين الكعنين، ما كان أسفل من الكعنين فهو في النار» رواه أبو داود بإسناد صحيح^(٢). (٣٣٢)
- هذا عام في سراويل والثوب والحبة والقباء والفرجية وغيرها من اللباس، فنسأل الله العافية.
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما رجل يصلي مسبل إزاره قال له رسول الله ﷺ: «اذهب فتوضأ» فذهب فتوضأ ثم جاء فقال: «اذهب فتوضأ» فقال له رجل: يا رسول الله، ما لك أمرته أن يتوضأ؟ ثم سكت عنه قال: «إنه كان يصلي وهو مسبل إزاره، وإن الله لا يقبل صلاة رجل مسبل» رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط مسلم^(٣). (٣٣٠)
- ولما قال ﷺ: «من جرَّ ثوبه خيلاً لم ينظر الله إليه يوم القيامة» فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله إن إزاري يسترخي إلا أن أتعاheadه، فقال له رسول الله ﷺ: «إنك لست ممن يفعله خيلاً» رواه البخاري. (٣٢٨)
- اللهم عاملنا بلطفك الحسن الجميل، برحمتك يا أرحم الراحمين.

(١) الكبائر وتبيين المحارم (١٤٣).

(٢) الكبائر وتبيين المحارم (١٤٣).

(٣) كذا قال النووي لكن قال المنذري عن رجل في إسناده: أبو جعفر المدني إن كان محمد بن علي بن الحسين فروايته عن أبي هريرة مرسلة، وإن كان غيره فلا أعرفه (٣/١٠٠) وهو في الكبائر وتبيين المحارم (١٤٣-١٤٤).

الكبيرة العشرون

اللطم والنياحة وشق الثوب وحلق الرأس وتنتفه والدعاء بالويل والشبور عند المصيبة

- رويننا في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية». (٥٨٨)
- وروينا في صحيح البخاري ومسلم عن أبي بردة قال: وجع أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله، فأقبلت تصيح برنة فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً، فلم أفاق قال: أنا بريء ممن برئ منه رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة والحالقة والشاقة.
- الصالقة: التي ترفع صوتها بالنياحة.
- والحالقة: التي تحلق شعرها، وتنتفه عند المصيبة.
- والشاقة: التي تشق ثيابها عند المصيبة.
- (٥٨٨)
- وكل ذلك حرام باتفاق العلماء، وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود، وخمش الوجه، والدعاء بالويل والشبور.
- وعن أم عطية رضي الله عنها قالت: أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة أن لا ننوح. رواه البخاري. (٥٨٩)
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت» رواه مسلم. (١٧٦/٤)
- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: أغمي على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته تبكي: واجبله، وا كذا، وا كذا؛ تُعَدِّدُ عليه، فقال حين أفاق: ما قلت شيئاً إلا قيل لي: أنت كذلك؟ أخرجه البخاري. (١٧٦/٤)
- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «الميت يعذب في قبره بما نيح عليه».
- (١٧٦-١٧٥/٤)

- عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من ميت يموت، فيقوم باكيهم فيقول واجبله واسيده أو نحو ذلك، إلا وكَلَّ به ملكان يلهزانه: أهكذا أنت؟» أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب. اللهمز: هو الدفع بجميع اليد في الصدر. (١٧٦/٤)
- وقال ﷺ: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» رواه مسلم وابن ماجه. (١٧٧/٤)
- وقال ﷺ: «وإنما نهيت عن صوتين أحقن فاجرين: صوت عند نعمة: هو ولعب ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة: خمس وجوه وشق جيوب ورنه» رواه الترمذي وقال حديث حسن^(١).
- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة. رواه أبو داود وليس في إسناده من ترك. (١٧٧/٤)
- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مزمار عند نعمة، ورنه عند مصيبة» رواه البزار ورواته ثقات.
- وروي أن هذه النوائح يُجعلن يوم القيامة صفين في جهنم: صف عن يمينهم وصف عن يسارهم، فينبحن على أهل النار كما تنبح الكلاب.
- وعن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره فمال عليهن ضرباً حتى بلغ النائحة فضر بها حتى سقط خمارها وقال: اضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها، إنها لا تبكي بشجوكم، إنها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم إنها تؤذي موتاكم في قبورهم وأحياكم في دورهم؛ لأنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به، وتأمّر بالجزع وقد نهى الله عنه.
- واعلم أن النياحة: رفع الصوت بالنذب، والنذب تعديد النائحة بصوتها محاسن الميت، وقيل: هي البكاء عليه مع ذكر محاسنه.

(١) إغائة اللهفان (٢٧٢/١) وراجع سنن الترمذي (٣١٩/٣).

فصل

وإنما كان للنائحة هذا العذاب واللعنة؛ لأنها تأمر بالجزع، وتنهى عن الصبر، والله ورسوله قد أمرا بالصبر والاحتساب، ونهى عن الجزع والسخط.

- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

قال عطاء عن ابن عباس يقول: إني معكم أنصركم ولا أخذلكم.

- وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَنَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

- وقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ أي: لنعاملنكم معاملة من يبتلى؛ لأن الله يعلم عاقبة الأمور، فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم العاقبة، ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلى، فمن صبر أثابه على صبره، ومن لم يصبر لم يستحق الثواب.

- وقول الله: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ قال ابن عباس: يعني خوف العدو، ﴿وَالْجُوعِ﴾ يعني المجاعة والقحط، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ يعني الخسران والنقصان في المال وهلاك المواشي، ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ بالموت والقتل، والمرض والشيب، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ يعني الجوائح، وأن لا تخرج ثمرة كانت تخرج. ثم ختم الآية بتبشير الصابرين، ليدل على أن من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى، فقال تعالى: ﴿وَنَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾. ثم نعتهم فقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ نالتهم نكبة مما ذكر، ولا يقال فيما أصيب بخير مصيبة، ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي: عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: إقرار بالهلاك والفناء ومعنى الرجوع إلى الله: الرجوع إلى انفراد الحكم إذ قد ملك في الدنيا قوم الحكم، فإذا زال حكم العباد رجع الأمر إلى الله عز وجل، وقوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ الصلاة في الأصل الدعاء ومن الله تعالى التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على

كثرتها وتنوعها، ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي لطف وإحسان^(١) ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعْتِدُونَ﴾ يريد الذين اهتموا للترجيح، وقيل: إلى الجنة والثواب.

- وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: نعم العبدلان، ونعمت العلاوة^(٢)، ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ فهذان العبدلان ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعْتِدُونَ﴾ فهذه العلاوة.

- وقال سعيد بن جبير: لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تُعط الأنبياء قبلهم ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ولو أعطيه الأنبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ يقول: ﴿يَتَأَسَّفُ عَلَى يُونُسَ﴾ [يوسف: ٨٤].

- قال العلماء: ويحرم رفع الصوت بإفراط بالبكاء، وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام.

روينا في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد سعد بن عبادة، ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى القوم بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكوا فقال: «ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا أو يرحم» وأشار إلى لسانه صلى الله عليه وسلم (٣٦٤).

- وروينا في صحيحيهما عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع إليه ابن ابنته وهو في الموت، ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء». (٣٦٤)

- وروينا في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ابنه إبراهيم رضي الله عنه وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «يا ابن عوف إنها رحمة» ثم أتبعها بأخرى فقال: «إن العين لتدمع

(١) تفسير البيضاوي (٣٨).

(٢) العدل (بكسر العين): نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير والجمع أعدل وعدول كما في اللسان (عدل).
والعلاوة (بكسر العين): ما يحمل على البعير وغيره، وهو ما وضع بين العدلين قيل: علاوة كل شيء ما زاد عليه كما في اللسان (علا).

والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم محزونون» (٣٦٤)

- وأما الأحاديث الصحيحة: أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه: فليست على ظاهرها وإطلاقها، بل هي مؤولة.

واختلف العلماء في تأويلها على أقوال: أظهرها والله أعلم أنها محمولة على أن يكون له سبب في البكاء، إما أن يكون أوصاهم به، أو غير ذلك.

- ويجوز قبل الموت، وبعده، ولكن قبله أولى للحديث الصحيح: فإذا وجبت فلا تبكين باكية.

وقد نص الشافعي والأصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه، ولا يحرم وتأولوا حديث: «فلا تبكين باكية» على الكراهة والله أعلم.

فصل

في التعزية

- عن عمرو بن حزم عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة» رواه ابن ماجه^(١).

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص^(٢) أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة عليها السلام: «ما أخرجك يا فاطمة من بيتك؟» قالت: أتيت يا رسول الله أهل هذا الميت، فرحمت إليهم ميتهم أو عزيتهم به. رواه أبو داود والنسائي، وفي إسناده ربيعة بن سيف من تابعي أهل مصر، فيه مقال لا يقدر في حسن الإسناد.

(١٨١/٤)

- وروي: «من عزى مصابا فله مثل أجره».

- وروي كذلك: «أن من عزى ثكلى كسي بردا من الجنة».

- واعلم - رحمك الله - أن التعزية هي التصبير، وذكر ما يسلي صاحب الميت، ويخفف

(١) قال البوصيري (١/٥١١): في إسناده قيس أبو عمار، ذكره ابن حبان في الثقات وقال الذهبي في الكاشف: ثقة، وقال البخاري: فيه نظر، وبأبي رجالة على شرط مسلم اهـ قلت: فإسناده حسن إن شاء الله. وقد حسن النووي إسناده في الأذكار (١٣٥).

حزنه، ويهون مصيبيته وهي مستحبة لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهي داخلة في قول الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [المائدة: ٢]. وهذا أحسن ما يستدل به في التعزية.

واعلم أن التعزية وهي الأمر بالصبر مستحبة قبل الدفن وبعده.

قال أصحاب الشافعي: [يدخل وقت التعزية] من حين يموت الميت، وتبقى بعد الدفن إلى ثلاثة أيام.

قال أصحابنا: وتكره التعزية بعد ثلاثة أيام لأن التعزية تسكن قلب المصاب.

والغالب: سكون قلبه بعد الثلاثة، فلا يجدد له الحزن.

هكذا قاله الجماهير من أصحابنا.

وقال أبو العباس من أصحابنا: لا بأس بالتعزية بعد ثلاثة أيام، بل تبقى أبداً وإن طال الزمان.

قال النووي^(١) رحمه الله: والمختار أنها لا تُفعل بعد ثلاثة أيام إلا في صورتين استثناهما أصحابنا: وهما إذا كان المعزي أو صاحب المصيبة غائبا حال الدفن واتفق رجوعه بعد ثلاثة أيام.

- والتعزية بعد الدفن أفضل منها قبله، لأن أهل الميت مشغولون بتجهيزه، ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر.

هذا إذا لم ير منهم جزءاً، فإن رآه قدم التعزية ليسكنهم، والله أعلم.

- ويكره الجلوس للتعزية، يعني أن يجتمع أهل الميت في بيت ليقصدهم من أراد التعزية [بل ينبغي أن ينصرفوا في حوائجهم، ولا فرق بين الرجال والنساء في كراهة الجلوس لها].

- ولفظ التعزية مشهور.

(١) قال النووي: وأما لفظ التعزية فلا حَجَر فيه، فبأي لفظ عزاه حصلت واستحب أصحابنا أن يقول في تعزية المسلم بالمسلم: أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لمتك. وفي تعزية المسلم بالكافر: أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك، وفي تعزية الكافر بالمسلم: أحسن الله عزاءك وغفر لمتك. وفي تعزية الكافر بالكافر: أخلف الله عليك، اهـ الأذكار (١٢٧).

وأحسن ما يعزى به: ما رويناه في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: أرسلت إحدى بنات النبي صلى الله عليه وسلم إليه تدعوه وتخبره أن صبيًا لها أو ابناً في الموت فقال صلى الله عليه وسلم للرسول: «ارجع إليها فأخبرها: أن الله تعالى ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب» وذكر تمام الحديث. (٣٦٣)

- قال النووي رحمه الله: فهذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام المشتمة على مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه، والآداب والصبر على النوازل كلها، والهموم والأسقام ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ما أخذ» أن العالم كله ملك لله، فلم يأخذ ما هو لكم، بل أخذ ما هو له عندكم في معنى العارية.

وقوله «وله ما أعطى»: ما وهب لكم ليس خارجاً عن ملكه، بل هو له سبحانه، يفعل فيه ما يشاء «وكل شيء عنده بأجل مسمى» يعني: فلا تجزعوا، فإن من قبضه فقد انقضى أجله المسمى، فمحال تأخيره أو تقديمه عنه، فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم، والله أعلم.

- وقال علي رضي الله عنه للأشعث بن قيس: إنك إن صبرت إيماناً واحتساباً، وإلا سلوت كما تسلو البهائم.

- وكتب حكيم إلى رجل قد أصيب بمصيبة: إنك قد ذهب منك ما رزئت به، فلا يذهبن عنك ما عوضت به، وهو الأجر.

- وقال آخر: العاقل يصنع أول يوم من أيام المصيبة ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام، قلت: قد علم أن عمر الزمان يسلي المصاب، فلذلك أمر الشارع بالصبر عند الصدمة الأولى.

- وبلغ الشافعي رضي الله عنه أن عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعاً شديداً، فبعث إليه الشافعي رحمه الله يقول: يا أخي عز نفسك بما تعزي به غيرك، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك، واعلم أن أمضى المصائب فقد سرور وحرمان أجر، فكيف إذا اجتمع مع اكتساب وزر؟

فتناول حظك يا أخي إذا قرب منك قبل أن تطلبه وقد نأى عنك. ألهمك الله عند المصائب صبراً، وأحرز لنا ولك بالصبر أجراً.

وكتب إليه يقول:

إني معزيك لا أني على ثقة من الحياة، ولكن سنة الدين
فما المعزي بياقي بعد ميته ولا المعزى ولو عاشا إلى حين

- وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بابه:

أما بعد، فإن الولد على والده ما عاش حزنٌ وفتنةٌ، فإذا قدم فصلا ورحمة، فلا تحزن
على ما فاتك من حزنه وفتنته، ولا تضع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته.

- وقال موسى بن المهدي لإبراهيم بن سلمة وعزاه بابه: أسرك وهو بليّة وفتنة،
وأحزنك وهو صلاة ورحمة.

- وعزى رجل رجلاً فقال: إن من كان لك في الآخرة أجراً خيراً من كان في الدنيا
سروراً وفرحاً.

- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه دفن ابناً له ثم ضحك عند القبر فقيل له: أتضحك عند
القبر؟ فقال: أردت أن أرغم الشيطان.

- وعن ابن جريج رحمه الله قال: من لم يتعزّز عند مصيبتيه بالأجر والاحتساب سلا كما
تسلو البهائم.

- وعن حميد بن الأعرج قال: رأيت سعيد بن جبير رحمه الله يقول في ابنه ونظر إليه: إني
أعلم خير خلة فيك، قيل: ما هي؟ قال: يموت فأحتسبه.

- وعن الحسن البصري رحمه الله أن رجلاً حزن على ولد له وشكا ذلك إليه، فقال
الحسن: كان ابنك يغيب عنك؟ قال: نعم، كانت غيبته أكثر من حضوره، قال: فاتركه
غائباً، فإنه لم يرغب عنك غيبةً كان الأجر لك فيها أعظم من هذه، فقال: يا أبا سعيد هونت
عني وجدي على ابني.

- ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه في وجعه فقال: يا بني كيف تجدك؟ قال: أجدني في
الحق، قال: يا بني لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أكون في ميزانك؟ قال: يا أبت لأن
يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب.

- ومات ابن الإمام الشافعي فأشدد يقول:

وما الدهر إلا هكذا فاصبر له رزية مال أو فراق حبيب

- [وقدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد، وكان من أحسن الناس وجهًا، فدخل يومًا على الوليد في ثياب وشى^(١) وله غدирتان وهو يضرب بيده، فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش، فعانه^(٢) فخرج من عنده متوسنًا^(٣)، فوقع في اصطبل الدواب، فلم تزل الدواب تطأه بأرجلها حتى مات^(٤)].

- ووقعت في رجل عروة الأكلة^(٥) فقطعها من الساق ولم يمسه أحد، وهو شيخ كبير، ولم يدع ورده تلك الليلة إلا أنه قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾. وتمثل بهذه الأبيات:

لعمري ما أهويت كفي لريبة ولا نقلتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دنني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلم أني لم تصبني مصيبة من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي

وقال عليه السلام: اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت، وإن كنت أخذت فقد أبقيت، أخذت عضواً وأبقيت أعضاء، وأخذت ابناً وأبقيت أبناء.

- وقدم على الوليد في تلك الليلة رجل أعمى من بني عبس، فسأله عن عينيه، فقال: بت ليلة في بطن واد، ولم أعلم في الأرض عبسياً يزيد ماله على مالي، فطرقنا سيل، فذهب بما كان لي من مال وأهل وولد غير بعير وصبي، وكان البعير صعباً فند (أي شرد) فاتبعته،

(١) وشيت الثوب من باب وعد رقمته ونقشته فهو موشى (٨٢٦)، المصباح.

والخائنك واش يشي الثوب وشياً، وشيه: حسنه، ووشاه: نمنمه ونقشه وحسنه، اللسان (وشن).

(٢) العين: أن تصيب الإنسان بعين، وعان الرجل بعين عينا فهو عائن، يقال: أصابت فلاناً عين إذا نظر إليه عدو أو حسود فأثرت فيه فمرض بسببها كما في اللسان (عين).

(٣) وسن الرجل فهو وسن، أي غشي عليه، كما في اللسان (وسن).

(٤) الزيادة من عدة الصابرين (٩١).

(٥) الأكلة (مقصورة): داء يقع في العضو فيأكل منه، اللسان (أكل).

فما جاوزت الصبي بيسير حتى سمعت صوت فجاء الصبي^(١) فرجعت [إليه]^(٢) فإذا رأس [الذئب]^(٣) في بطنه [يأكله]^(٤) فقتلته، ثم اتبعت البعير لأخذه فنفحني^(٥) برجله فأصاب وجهي فحطمه وأذهب عيني، فأصبحت لا أهل لي ولا مال ولا ولد ولا بعير، فقال الوليد: انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن في الأرض من هو أشد منه بلاءً.

- وذكر أن عثمان ؓ لما ضُربَ جعل يقول والدماء تسيل على لحيتي: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، اللهم إني أستعين بك عليهم وأستعينك على جميع أموري وأسألك الصبر ما بليتني).

- وقال المدائني: (رأيت بالبادية امرأة لم أرَ جلدًا أنضر منها ولا أحسن وجهًا منها فقلت: تالله إن فعل هذا بك الاعتدال والسرور، فقالت: كلا والله إن لبدع أحزان وخلف هموم وسأخبرك: كان لي زوج، وكان لي منه ابنان، فذبح أبوهما شاة في يوم أضحى والصبيان يلعبان، فقال الأكبر للأصغر، أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة؟ قال: نعم، فذبحه، فلما نظر إلى الدم جزع، وفزع نحو الجبل، فأكله الذئب، فخرج أبوه في طلبه، فتاه فمات عطشًا، فأفردني الدهر، فقلت لها: وكيف أنت والصبر؟ فقالت: لو دام لدمت له، ولكنه كان جرحًا فاندمل.

فصل

- وروى مسلم عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة ؓ: (إنه قد مات لي ابنان فه أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟ قال: نعم، صغارهم دعاميص^(١) الجنة، يتلقى أحدهم أباه - أو قال: أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال: بيده - كما أخذ أنا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى - أو قال: فلا ينتهي - حتى يُدخله الله وأباه الجنة).

- وعن معاوية بن قرة بن إياس عن أبيه ؓ: (أن رجلاً كان يأتي النبي ﷺ ومعه ابن له،

(١) الزيادة من الزواجر (٢١٥)، وكتاب التعازي (٤٥).

(٢) نفخت الدابة تنفخ نفحًا، وهي نفوح: رمت برجلها ورمت بحدّ حافرها ودفعت، كما في اللسان (نفح).

(٣) دعاميص: واحدها دُعموص، أي: صغار أهلها، وأصل الدُعموص دويبة تكون في الماء لا تفارقه، أي إن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها، قاله النووي (١٦/١٨٢).

فقال النبي ﷺ: «أتجبه؟» قال: نعم يا رسول الله أحبك الله كما أحبه، ففقدته النبي ﷺ، فقال: «ما فعل فلان بن فلان؟» قالوا: يا رسول الله مات، فقال النبي ﷺ لأبيه: «ألا تحب أن لا تأتي بابًا من أبواب الجنة، إلا وجدته ينتظرك؟» فقال رجل: يا رسول الله أله خاصة أم لكلنا؟ قال: «بل لكلكم» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، والنسائي: (٩٢/٣)

- وعن معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة من الولد إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهما»، فقالوا: يا رسول الله أو اثنان؟ قال: «أو اثنان»، قالوا: أو واحد، قال: «أو واحد»، ثم قال: «والذي نفسي بيده إن السقط ليجر أمه بسرره^(١) إلى الجنة إذا احتسبته» رواه أحمد والطبراني، وإسناد أحمد حسن أو قريب من الحسن. (٩٢/٣)

- عن ابن عباس رضيهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة».

فقال عائشة: فمن كان له فرط من أمتك؟ قال: «ومن كان له فرط يا موفقة» قالت: فمن لم يكن له فرط من أمتك قال: «فأنا فرط أمتي، لن يصابوا بمثلي» رواه الترمذي^(٢).

- وعن وكيع قال: كان لإبراهيم الحربي ابنٌ، وكان له إحدى عشرة سنة، حفظ القرآن وتفقه من الفقه والحديث شيئاً كثيراً، فمات، فجئت أعزّيه، قال لي: كنت أشتهي موت ابني هذا، قلت: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا، قد أنجب وحفظ القرآن وتفقه الفقه والحديث!! قال: نعم، رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، وكان صبياناً في أيديهم قلال ماء يستقبلون الناس يسقونهم، وكان اليوم يوماً حارّاً؛ شديداً حره، قال: فقلت لأحدهم اسقني من هذا الماء، قال: فنظر إليّ وقال لي: لست أنت أبي، فقلت: ومن أنتم؟ قال: نحن الصبيان الذين متنا في الإسلام وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء، قال: فلهذا تمنيت موته.

(١) هو ما تقطعه القابلة، وما بقي بعد القطع فهو السرة.

(٢) سنن الترمذي (٣٦٧/٣) وقال حديث حسن غريب، وأحمد (٣٩/٥) المسند، وصححه الشيخ شاكراً.

حكاية

- روى مالك بن دينار (رحمه الله تعالى) أنه سئل عن سبب توبته فقال: (كنت في أول أمري مكباً على اللهو وشرب الخمر، فاشتريت جاريةً اتسرى بها، وولدت لي بتاً، فأحببتها حباً شديداً، إلى أن دبت ومشت، فكنت إذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتني عليه فأهرقته^(١) بين يدي، فلما بلغت من العمر ستين ماتت فأكمدني حزنها.

قال: فلما كان ليلة النصف من شعبان بئ وأنا ثملٌ من الخمر، فرأيت في النوم كأن القيامة قد قامت، وخرجت من قبري وإذا بتين قد تبعني يريد أكلي، (والتين الحية العظيمة)، قال: فهربت منه فتبعني، وصار كلما أسرعت يهرع خلفي، وأنا خائف منه، فمررت في طريقي على شيخ نقي الثياب، ضعيف، فقلت: يا شيخ بالله أجرتني من هذا التين الذي يريد أكلي وإهلاكه، فقال: يا ولدي أنا شيخ كبير، وهذا أقوى مني، ولا طاقة لي به، ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه.

قال: فأسرعت في الهرب وهو ورائي، فأشرفت على طبقات النار، وهي تفور، فكدت أن أهوي فيها، وإذا قائل يقول: لست من أهلي فرجعت هارباً والتين في أثري، فأشرفت على جبل مستنير، وفيه طاقاتٌ، وعليها أبوابٌ وستورٌ، وإذا بقائل يقول: أدركوا هذا البائس قبل أن يدركه عدوه، ففتحت الأبواب ورفعت الستور، وأشرفت على منها أطفال بوجوه كالأقمار، وإذا ابنتي معهم، فلما رأيتني نزلت إلى كفة من نور، وضربت بيدها اليمنى إلى التين فولن هارباً، وجلست في حجري، وقالت: يا أبت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

فقلت: يا بنية، وأنتم تعرفون القرآن؟ قالت: نحن أعرف به منكم.

قلت: يا بنية، ما تصنعون ههنا؟

قالت: نحن من مات من أطفال المسلمين أسكننا ههنا إلى يوم القيامة ننتظركم تقدمون علينا.

فقلت: يا بنية ما هذا التين الذي يطاردني ويريد إهلاكه؟

(١) فأهرقته - هرق (بالفتح) هرقاً: صبّه، الوجيز (٦٤٨).

قالت: يا أبت ذلك عملك السوء قوّيته فأراد إهلاكك.

قلت: ومن ذلك الشيخ الضعيف الذي رأيته؟

قالت: ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء، فتب إلى الله ولا تكن من الهالكين.

قال: ثم ارتفعت عني واستيقظت، فتبت إلى الله من ساعتى.

- فانتظر رحمك الله إلى بركة الذرية إذا ماتوا صغارًا ذكورًا كانوا أو إناثًا، وإنما يحصل للوالدين النفع بهما في الآخرة إذا صبروا واحتسبوا، وقالوا الحمد لله، إنا لله وإنا إليه راجعون، فيحصل لهم ما وعد الله تعالى [على ذلك من الصلوات والرحمة].

فصل

- عن سابط الجمحي قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب»^(١).

- وعن عائشة ~~رضي~~ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله عنه بها حتى الشوكة يشاكها» رواه مسلم. (١٤٨/٤)

- وفي الحديث: «وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر» متفق عليه (٢٥)

- وعن أم سلمة ~~رضي~~ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيرًا منها: إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيرًا منها».

قالت: فلما توفي أبو سلمة، قلت: من خير من أبي سلمة صاحب رسول الله ﷺ؟ ثم عزم الله لي^(٢) فقلتها، قالت: فتزوجت رسول الله ﷺ. رواه مسلم^(٣).

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو بردة عمرو بن يزيد، وثقه ابن حبان وضعفه غيره (٢/٣)، وقال المناوي: له شواهد (٢٨٦/١).

(٢) قال القاضي عياض: معناه: خلق لي عزما وقوة وتوطين نفس على ذلك قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، أي القوة (٢/٨٠)، مشارق الأنوار.

(٣) مسلم (١٣٣/٢).

- وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر فقال: «اتقي الله واصبري» فقالت: إليك عني؛ فإنك لم تُصَبِّ بمصيبتي - ولم تعرفه - فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأنت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى».

(٣٠)

أي: إنما يحمل الصبر عند مفاجأة المصيبة، وأما فيما بعد، فيقع السلو طبعًا.

- وفي صحيح مسلم^(١) عن أنس قال: مات ابن لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، قال: فجاء، فقربت إليه عشاءً فأكل وشرب، فقال: ثم تصمت له أحسن ما كان تصنع قبل ذلك، فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك، قال: فغضب، وقال: تركتني حتى تلطخت ثم أخبرتني بابني، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بها، قال: فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في غابر ليلتكما» فذكر الحديث.

- وقال رسول الله ﷺ: «إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد».

(١٧٠/٤)

رواه الترمذي وحسنه، وابن حبان في صحيحه.

- وعن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن - عندي - جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة» رواه البخاري.

(٣٠)

- وروي (أن من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقاوة ابن آدم سحقته بما قضى الله) رواه الترمذي مرفوعًا وضعفه^(٢).

(١) صحيح مسلم (١٩٠٩/٤).

(٢) سنن الترمذي (٤٥٦/٤).

- روي: أنه ما أصاب رجلاً من المسلمين بلية فما فوقها إلا لإحدى خصلتين: إما ليغفر الله له من الذنوب ذنباً لم يكن ليغفر له إلا بمثل ذلك، أو يبلغ من الكرامة كرامة لم يكن ليبلغها إلا بمثل ذلك.

- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إذا قبض ملك الموت عليه السلام روح المؤمن قام على الباب، ولأهل البيت ضجة، فمنهم الصاكة وجهها، ومنهم الناشرة شعرها ومنهم الداعية بويلها، فيقول ملك الموت عليه السلام: مم هذا الجزع، ولم هذا الفزع؟ فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمراً، ولا ذهبت لأحد منكم برزق، ولا ظلمت لأحد منكم شيئاً.

فإن كانت شكايتكم وسخطكم عليّ، فإني والله مأمور، وإن كان على ميتكم؛ فإنه مقهور، وإن كان على ربكم، فأنتم به كافرون، وإن لي بكم عودة بعد عودة، حتى لا أبقى منكم أحداً.

- وعن الشعبي أن شريحاً قال: إني لأصاب المصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات، أحمده إذ لم يكن أعظم منها، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني.

- وأما إذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالويل والثبور أو لطم خدّاً أو شق جيباً أو نشر شعراً أو حلقة أو قطعه أو نتفه فله السخط من الله تعالى وعليه اللعنة؛ رجلاً كان أو امرأة.

- وقد روي أيضاً أن الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر، وقد روي أن من أصابته مصيبة فخرق عليها ثوباً أو لطم أو شق جيباً أو تنف شعراً فكأنها أخذ رمحاً يريد أن يحارب ربه.

وقد تقدم أن الله عز وجل لا يعذب ببكاء العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا -يعني ما يقوله صاحب المصيبة بلسانه يعني من الندب والنياحة-

وقد تقدم أن الميت يُعذب في قبره بما نيح عليه؛ إذا قالت النائحة: واعضداه، واناصره، واكاسياه، جُبد الميت، وقيل له: أنت عضدها؟ أنت ناصرها؟ أنت كاسيها؟!

فالنوح حرام؛ لأنه مهيج للحزن، ودافع عن الصبر، وهو مخالف للتسليم للقضاء، والإذعان لأمر الله تعالى.

حكاية

قال صالح المري: كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر، فنمت، وإذا بالقبور قد شققت، وخرج الأموات منها، وجلسوا حلقة حلقة، ونزلت عليهم أطباق مغطاة، وإذا فيهم شاب يعذب بأنواع العذاب من بينهم، قال: فتقدمت إليه، وقلت: يا شاب، ما شأنك تعذب بين هؤلاء القوم؟ فقال: يا صالح، بالله عليك بلغ ما أمرك به، وأدّ الأمانة، وارحم غربتي، لعل الله عز وجل أن يجعل لي على يديك مخرجاً، إني لما مت ولي والدة جمعت النوادب والنوائح يندبن عليّ، وينحن كل يوم، فأنا معذب بذلك، النار عن يميني وعن شمالي وخلفي وأمامي لسوء مقال أمي، فلا جزاها الله عني خيراً، ثم بكى حتى بكيت لبكائه، ثم قال: يا صالح، بالله عليك، اذهب إليها فهي في المكان الفلاني وعلم لي المكان، وقل لها: لم تعذبن ولدك يا أماء، ربيتني ومن الأسواء وقتيني، فلما مت في العذاب رميتني، يا أماء: لو رأيته: الأغلال في عنقي، والقيد في قدمي، وملائكة العذاب تضربني وتنهرني، فلو رأيت سوء حالي لرحمتني، وإن لم تتركي ما أنت عليه من الندب والنياحة الله بيني وبينك يوم تشقق سماء عن سماء، ويبرز الخلائق لفصل القضاء.

قال صالح: فاستيقظت فرعاً ومكثت في مكاني قلقاً إلى الفجر، فلما أصبحت دخلت البلد ولم يكن لي هم إلا الدار التي لأم الصبي الشاب، فاستدلت عليها فأتيتها، فإذا الباب مسود، وصوت النوادب والنوائح خارج من الدار، فطرقت الباب، فخرجت إلى عجوز، فقالت ما تريد يا هذا؟ فقلت: أريد أم الشاب الذي مات، فقالت: وما تصنع بها، هي مشغولة بحزنها، فقلت: أرسلها إليّ معي رسالة من ولدها، فدخلت فأخبرتها، فخرجت: أم عليها ثياب سود، ووجهها قد اسود من كثرة البكاء واللطم، فقالت لي: من أنت؟ قلت: أنا صالح المري، جرى لي البارحة في المقابر مع ولدك كذا وكذا، رأيته في العذاب وهو يقول: يا أمي ربيتني ومن الأسواء وقتيني، فلما مت في العذاب رميتني، وإن لم تتركي ما أنت عليه، الله بيني وبينك يوم تشقق سماء عن سماء، فلما سمعت ذلك غشي عليها وسقطت إلى الأرض، فلما أفاقت بكت بكاء شديداً، وقالت: يا ولدي يعز علي، ولو علمت ذلك بحالك ما فعلت وأنا تائبة إلى الله تعالى من ذلك ثم دخلت وصرفت النوائح ولبست غير تلك الثياب، وأخرجت إلي كيساً فيه دراهم كثيرة وقالت: يا صالح تصدق

بهذه عن ولدي، قال صالح: فودعتها ودعوت لها، وانصرفت وتصدقت عن ولدها بتلك الدراهم، فلما كان ليلة الجمعة الأخرى، أتيت إلى المقابر على عادتي، فتمت قرأت أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وجلسوا على عادتهم، وأتتهم الأطباق، وإذا ذلك الشاب ضاحك فرح مسرور، فجاءه أيضًا طبق فأخذه، فلما رأي جاء إلي فقال: يا صالح، جزاك الله عني خيرًا، خفف الله عني العذاب، وذلك بترك أُمِّي ما كانت تفعل وجاءني ما تصدقت به عني، قال صالح: فقلت: وما هذه الأطباق، فقال هذه هدايا الأحياء لأمواتهم من الصدقة والقراءة والدعاء ينزل عليهم كل ليلة جمعة يقال له: هذه هدية فلان إليك، فارجع إلى أُمِّي، وأقرئها مني السلام، وقل لها جزاها الله عني خيرًا، قد وصل إلي ما تصدقت به عني، وأنت عندي عن قريب فاستعدي، قال صالح: ثم استيقظت وأتيت بعد أيام إلى دار أُم الشاب وإذا بنعش موضوع على الباب، فقلت لمن هذا، فقالوا لأُم الشاب، فحضرت الصلاة عليها ودُفنت إلى جانب ولدها بتلك المقبرة، فدعوت لها وانصرفت.

فنسأل الله أن يتوفانا مسلمين، ويلحقنا بالصالحين، ويعصمنا من النار، إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

الكبيرة الحادية والعشرون

منع الزكاة

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا أَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا مَخَّلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

- وقال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: ٦-٧].

- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِئْسَ لَهُمْ بَعْدَآبُ الْآبِرِ ۝ يَوْمَ نَحْمِي عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَتَكَوَّىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ أَنْ تَنْفُسُكُمُ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

وإنما خصَّ الحباه، والجنوب، والظهور بالكي؛ لأن الغني البخيل إذا رأى الفقير عيس وجهه، وزوى ما بين عينيه^(١) وأعرض بجنبه، فإذا قرب منه ولم يظهره.

فعوقب بكي هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل.

- وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجنبه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار».

قيل: يا رسول الله فالإبل؟

قال: «ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها -ومن حقها حلبها يوم وردها- إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت، لا يفقد فصيلًا واحدًا تطؤه أخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مرَّ عليه أولها رد عليه آخرها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار».

قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟

(١) رَوَى الشَّيْخُ: طَوَاهُ وَجَمَعَهُ وَقَبَضَهُ، كَذَا فِي الْمَعْجَمِ الرَّجِيزِ (٢٩٧).

قال: «ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ليس فيه عقصاء، ولا جلهاء، ولا عصباء تنطحه بقرونها وتطوؤه بأظلافها، كلما مر عليه أو لاهها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» متفق عليه، وهذا لفظ مسلم. (٤٤٢)

القاع: المكان المستوي من الأرض.

والقرقر (بقافين مفتوحتين): الأملس.

والظلف (للبقر والغنم): بمنزلة الحافر للفرس.

والعقصاء: هي الملتوية القرن.

والجلحاء: هي التي ليس لها قرن.

والعصباء: المكسورة القرن. (٢٦٧/١)

- وقال ﷺ: «وأما أول ثلاثة يدخلون النار: فأمر مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى في ماله، وفقير فخور» صححه ابن حبان وابن خزيمة. (٢٦٨/١)

- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: (من كان له مال يبلغه حج بيت الله تعالى ولم يحج، أو تجب فيه الزكاة ولم يزكَّ سأل الرجعة عند الموت).

فقال له رجل: اتق الله يا ابن عباس، فإننا يسأل الرجعة الكفار.

فقال ابن عباس: سأتلو عليك بذلك قرآناً:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ ﴾ ، (أي: أؤدي زكاة مالي). ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] أي: أحج.

قيل: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مائتي درهم وجبت فيه الزكاة.

قيل: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته مُثِّلَ له يوم

القيامة شجاعاً أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني شذقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا أَنٰتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠] أخرجه البخاري.

(٢٦٩/١)

والشجاع: هو الحية، وقيل الذكر خاصة.

والأقرع منه: الذي ذهب شعر رأسه من طول عمره.

- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس بخمس».

قيل: يا رسول الله ما خمس بخمس؟

قال: «ما نقض قوم العهد إلا سُلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا منعوا الزكاة إلا حُبس عنهم القطر، ولا طففوا المكيال إلا حُبس عنهم النبات وأُخذوا بالسنين» رواه الطبراني في الكبير - وسنده قريب من الحسن وله شواهد.

والسنين: جمع سنة وهي العام المقحط الذي لم تنبت الأرض فيه شيئاً سواء وقع قطر

(٢٧١/١)

أو لم يقع.

- وعن ابن مسعود قال: (لا يكوئ رجل بكنز فيمس درهم درهماً، ولا دينار ديناراً،

يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حذته) رواه الطبراني في الكبير موقوفاً

(٢٧١/١)

بإسناد صحيح.

ولا تجب الزكاة في الحلي المباح إذا كان معدداً للاستعمال؛ فإن كان معدداً للقيمة أو الكراء

وجبت فيه الزكاة.

موعظة

قل للذين شغلهم في الدنيا غرورهم: إنما في غد ثبورهم.

ما نفعهم ما جمعوا: إذا جاء محذورهم.

يوم يُحْمَى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم، وجنوبهم، وظهورهم؛

فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم؟!

يوم يحْمَى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم.

أخذ المال إلى دار ضرب العقاب، فجعل في بودقة ليحمي ليقوى العذاب فصيح

صفائح؛ كي يعم الكي الإهاب.

ثم جيء بمن عن الهدى قد غاب يسعى إلى مكان لا مع قوم يسعى نورهم.

ثم يحْمَى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم، وجنوبهم، وظهورهم.

إذا لقيهم الفقير لقي الأذى.

فإن طلب منهم شيئاً طار منهم لب الغضب كالجذئ^(١).

فإن لطفوا به قالوا: أعتككم ذا، وسؤال هذا لذا.

ولو شاء ربك لأغنى المحتاج وأعوز ذا.

ونسوا حكمة الخالق في غنى ذا وفقر ذا.

وا عجباً كم يلقاها من غم إذا ضمتهم قبورهم!

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾.

سيأخذها الوارث منهم من غير تعب.

ويسأل الجامع من أين اكتسب ما اكتسب؟

إلا أن الشوك له وللوارث الرطب.

(١) الجذئ (بضم الجيم وفتح الذال) جمع جذوة وهي الجمرة، راجع المصباح (١/١١٦).

أين حرص الجامعين؟ أين عقولهم؟!

﴿يَوْمَ نَحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكُوتٍ يَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾
لورأيتهم في طبقات النار

يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار

وقد غلت اليمين مع اليسار، لما بخلوا مع الإيسار.

ولورأيتهم في الجحيم يسقون من الحميم، وقد ضج صبورهم.

﴿يَوْمَ نَحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكُوتٍ يَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾
كم كانوا يوعظون في الدنيا وما فيهم من يسمع!

كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفرع!

كم انبثوا بمنع الزكاة وما فيهم من يدفع!

فكأنهم بالأموال وقد انقلب شجاعاً أقرع.

فما هي عصا موسى ولا طورهم.

﴿يَوْمَ نَحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكُوتٍ يَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾

حكاية

روي عن محمد بن يوسف الفريابي قال: خرجت أنا وجماعة من أصحابي في زيارة أبي سنان عليه السلام فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده قال: قوموا بنا لنزور جارا لنا مات أخوه ونعزيه فيه.

فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه.

فجلسنا نسليه ونعزيه، وهو لا يقبل تسلياً ولا تعزية.

فقلنا: أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه؟

قال: بلى، ولكن أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخي من العذاب.

فقلنا له: هل أطلعك الله على الغيب؟ قال: لا.

ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس، جلست عند قبره فإذا بصوت

من قبره يقول: أه أقعدوني وحيداً أقاسي العذاب قد كنت أصلي، قد كنت أصوم.

قال: فأبكاني كلامه، فنبشت عنه التراب؛ لأنظر حاله فإذا القبر يشتعل عليه نارا، وفي

عنقه طوق نار، فحملتني شفقة الأخوة ومددت يدي لأرفع الطوق عن رقبتة، فاحترقت

أصابعي ويدي.

ثم أخرج إلينا يده، فإذا هي سواء محترقة.

قال: فرددت عليه التراب وانصرفت، فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه؟

فقلنا: فما كان أخوك يعمل في الدنيا؟

قال: كان لا يؤدي الزكاة من ماله، قال: فقلنا: هذا تصديق قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ

الَّذِينَ يَبْتَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ

يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وأخوك عجل له العذاب في قبره إلى يوم القيامة.

فنسأل الله العفو والعافية إنه جواد كريم.

الكبيرة الثانية والعشرون جباية المكوس

- والمكَّاس^(١) داخل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٢) [الشورى: ٤٢].
- وهو من أكبر أعوان الظلمة، بل هو من الظلمة أنفسهم؛ فإنه يأخذ ما لا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق.
- ومن أين للمكَّاس يوم القيامة أن يؤدي للناس ما أخذ منهم، إنما يأخذون من حسناته إن كان له حسنات.
- وهو داخل في قول النبي ﷺ: «أندرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس - فينا - من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعْطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فُتيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم؛ فطرحَتْ عليه ثم طرح في النار» رواه مسلم.
- وفي حديث المرأة التي طَهَّرَتْ نفسها بالرجم: «لقد تابَت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له» رواه مسلم^(٣).
- المكَّاس: من فيه شبه من قاطع الطريق، وهو من اللصوص.
- وقد رُوي: «لا يدخل الجنة صاحب مكس».
- وما ذاك إلا لأنه يتقلد مظالم العباد.
- وجابي المكس، وكاتبه، وشاهده، وآخذه: من جندي وشيخ وصاحب رواية شركاء في الوزر، آكلون للسحت والحرام.

(١) المكس: النقص والظلم؛ ودراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية.

(٢) انظر تفسير هذه الآية في الكبيرة الثالثة والخمسين.

(٣) صحيح مسلم (٣/١٣٢٤).

- وصح أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبِتَ مِنْ سَحْتٍ، النَّارُ أُولَى بِهِ» رواه الطبراني في الأوسط عن كعب بن عجرة ورجاله ثقات^(١).
والسُّحْت: كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار.

موعظة

أين من حصَّن الحصون المشيدة واحترس، وعمرَّ الحداثق، فبالغ وغرس، ونصب لنفسه سرير العز وجلس، وبلغ المنتهى ورأى الملتبس، وظن -في نفسه- اليقاع؛ ولكن خاب الظن في النفس!؟

أزعجه -والله- هازم اللذات واختلس، ونازله بالقهر، فأنزله عن الفرس، ووجه به إلى دار البلاء فانطمس، وتركه في ظلام ظلمة من الجهل والدنس، فالعاقل من أفاد بأيامه، فإن العواقب في خلس.

شعر:

وتأمل الليث والأعمار تختلس	تبنى وتجمع والآثار تندرس
لا بد ما ينتهي أمر وينعكس	ذا اللب فكر فما في العيش من طمع
كانوا إذا الناس قاموا هيبة جلسوا	أين الملوك، وأبناء الملوك ومن
تحشى ودونهم الحجاب والحرس	ومن سيوفهم في كل معترك
صرعى وصاروا يطن الأرض وانطمسوا	أضحوا بمهلكة في وسط معركة
ماتوا فهم جثث في الرمس قد حبسوا	وعمهم جدث وضمهم حدث
ومات ذكرهم بين الورى ونسوا	كأنهم قط ما كانوا وما خلقوا
أيدي اللي بهم والدود يفرس	والله لو عاينت عيناك ما صنعت

(١) الجامع الأزهر (٣/ ١٢٢).

لعاينت منظرًا تشجى القلوب له
 من أوجه ناضرات حار ناظرها
 وأعظم باليات ما بها رمق
 والسسن ناطقات زانها أدب
 حتام يا ذا النهى لا ترعوي سفها
 موعظة

يا من يرحل في كل يوم مرحله
 ما يتنفع بالندير، والندر متصله
 وكتابه قد حوى حتى الخردله
 ولا يصغى إلى ناصح وقد عدله

ودروعه مخرقة والسهم مرسله

وتور الهدى قد بدا
 وهو يؤمل البقا
 قد انعكف بعد الشيب
 كن كيف شئت
 ونتمم جلدك فلا
 فيا عجبًا من فتور مؤم
 ولكن ما رآه ولا تأمله
 ويرى مصير من قد أمله
 على العيب بصبابة وولاه
 فبين يديك الحساب والزله
 بيد للديدان أن تأكله
 من موقن بالجزاء والمسأله

استيقن من غرور وبله

ويحك يا هذا من استدعاك وفتح منزله
 فبادر ما بقي من عمرك، واستدرك أوله
 فقد أولاك، لو علمت منزله
 فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمه

(١) البلس (بفتحين): من لا خير عنده أو عنده إيلاس وشر، القاموس. والمعنى: وأبصرت أمرًا فظيماً يتضاءل دونه الإيلاس وهذا الأمر موضح في قوله: من أوجه ... إلخ.

الكبيرة الثالثة والعشرون المن بالصدقة

- قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].
قال الواحدي: هو أن يمن بما أعطى.

وقال الكلبي: بالمن - على الله - في صدقته، والأذى لصاحبها.

- وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، ولا يزكهم، وهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمتفق سلعته بالحلف الكاذب» رواه مسلم. (٩٨/٣)

المسبل: هو الذي يسبل إزاره، أو ثيابه، أو قميصه، أو سراويله حتى تكون إلى القدمين؛ لأنه ﷺ قال: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار» خرجه البخاري عن أبي هريرة. (٩٧/٣)

- وفي الحديث أيضًا: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان عطاءه، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، والرجلة»^(١) رواه النسائي، والبزار واللفظ له بإسنادين جيدين. (٢٢٠/٣)

- وعن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب^(٢).

والخب: هو صاحب المكر والخديعة.

والمنان: هو الذي يعطي شيئاً أو يتصدق به، ثم يمن به.

- وورد: إياكم والمن بالمعروف؛ فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر.

- وسمع ابن سيرين رجلاً يقول لآخر: أحسنت إليك، وفعلت، وفعلت.

(١) الرَّجُلَةُ: المترجلة، يقال: امرأة رجلة، إذا تشبهت بالرجال في زيهم وهيئاتهم راجع. اللسان (رجل).

(٢) سنن الترمذي (٢٤٣/٤).

فقال له ابن سيرين: اسكت فلا خير في معروف إذا أحصي.

- وكان بعضهم يقول: من مَنَّ بمعروفه سقط شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره.

- وأنشد الشافعي رحمه الله تعالى:

لا تحملن من الأنعام	بأن يمنوا عليك منة
واختر لنفسك حظها	واصبر فإن الصبر جنة
من الرجال على القلوب	أشد من وقع الأسنة

- وأنشد أيضًا بعضهم فقال:

وصاحب سلفت منه إني يد	أبطا عليه مكافأتي فعاداني
لما تيقن أن الدهر حاربي	أبدى الندامة مما كان أولاني
أفسدت بالمن ما قدمت من حسن	ليس الكريم إذا أعطى بمنان

موعظة

يا مبادرًا بالخطايا ما أجهلك! إلى متى تغتر بالذي أمهلك، كأنه قد أهملك؟!!

فكأنك بالموت وقد جاء بك وأنهلك، وإذا الرحيل وقد أفزعك الملك.

وأسرك البلى بعد الهوى وعقلك، وندمت على وزر عظيم قد أثقلك.

يا مطمئنًا بالفاني ما أكثر زلللك!

ويا معرضًا عن النصح؛ كأن النصح ما قيل لك.

أين حبيبك الذي كان وأين انتقل؟

أما وعظك التلف في جسده والمقل؟

أين كثير المال، أين طويل الأمل؟

أما خلا وخده - في لحده - بالعمل؟!
أين من جرّ ثوبه الخيلاء غافلاً ورفل^(١)?
أما سافر به وإلى الآن ما وصل?
أين من تنعم في قصره، فكأنه في الدنيا ما كان، وفي قبره لم يزل.
أين من تفوق واحتفل?
غاب - والله - نجم سعوذه وأفل.
أين الأكاسرة، والجبابرة العتاة الأول?
ملك أمواهم سواهم والدنيا دول.

(١) رفل في ثيابه، يرفل: إذا أطاها وجرها متبخترًا، فهو رافل أم اللسان (رفل)

الكبيرة الرابعة والعشرون

منع فضل الماء (والمراد به ما زاد على الحاجة)

- قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ أي: قل لهم أخبروني إذا صار الماء غائرًا ذاهبًا في أعماق الأرض، بحيث لا يستطيعون إخراجَه ﴿ فَمَنْ يَأْتِكُمْ بَمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ [تبارك: ٣٠] أي: فمن الذي يخرجُه لكم حتى يكون ظاهرًا جاريًا على وجه الأرض؟ هل يأتيكم غير الله به؟

- وقال النبي ﷺ: «لا تمنعوا فضل الماء ل تمنعوا به الكلاء» متفق عليه من حديث أبي هريرة^(١).

- وقال النبي ﷺ: «من منع فضل مائه أو فضل كلته منعه الله عز وجل فضله يوم القيامة» أخرجه الإمام أحمد^(٢).

- وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بفلاة، يمنعه ابن السبيل، ورجل بايع رجلًا بسلعته بعد العصر فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه فأخذها، وهو على غير ذلك، ورجل بايع إمامًا لا يبایعه إلا للدنيا، فإن أعطاه منها ما يريد وقى له، وإن لم يعطه لم يف» أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة ؓ.

وزاد البخاري: «ورجل منع فضل مائه، فيقول الله له: اليوم أمتعتك فضلي، كما منعت فضل ما لم تعمل يداك».

(٣٠ / ٣)

(١) نيل الأوطار (٣٠٣/٥).

(٢) وفي إسناده محمد بن راشد الخزاعي، وهو ثقة، وقد ضعفه بعضهم لكن حديث أبي هريرة يشهد لصحته، أفاده الشوكاني (٣٠٤/٥).

الكبيرة الخامسة والعشرون

إفطار يوم من رمضان بلا عذر

- قال الله تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ أَلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴿ [البقرة: ١٨٣-١٨٤].

- وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان». (٤٣٩)

- ويروى عن أبي هريرة مرفوعًا: «من أفطر يومًا من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صوم الدهر كله وإن صامه» رواه الترمذي وغيره^(١).

- وعن ابن عباس رضيهما، وقال حماد بن زيد لا أعلمه إلا قد رفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «عزى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام، ومن ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة المكتوبة، وصوم رمضان» رواه أبو يعلى بإسناد حسن. (٧٥/٢)

- [وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بيننا أنا نائم أتاني رجلان فأخذا بضبعي^(٢)» فأتيا بي جبلاً وعراً، فقالا: اصعد؛ فقلت: إني لا أطيقه؛ فقالا: إنا سنسهله لك، فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل؛ فإذا أنا بأصوات شديدة فقلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار، ثم انطلقا بي فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيهم مشققه أشداقهم تسيل أشداقهم دمًا، قال: قلت: من هؤلاء؟ قيل: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم». رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما.

(١) في إسناده أبو المطوس: قال البخاري: لا أعرف له غير هذا الحديث، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بما انفرد به (٧٤/٣) الترغيب.

(٢) الضَّبْعُ: وسط العضد بلحمه، وقيل: ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه، تقول: أخذ بضبعه. أي: بعضديه اهـ اللسان (ضبع).

- وقد أوجب النخعي عن كل يوم فطر من رمضان ثلاثة آلاف يوم.

وقال سعيد بن المسيب: يجب في كل يوم ثلاثون يومًا.

وقال ربيعة شيخ الإمام مالك رحمه الله يجب في كل يوم اثنا عشر يومًا^(٢).

(١) وأخرجه الجاكم (٤٣٠/١) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
 (٢) الزواجر (٢٦٢)، وذهب أبو حنيفة ومالك والثوري وجماعة إلى أن من أفطر متعمدًا بأكل أو شرب أن عليه القضاء والكفارة: إما بعق رقبة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا.
 قال: ابن رشد: وذهب الشافعي وأحمد وأهل الظاهر إلى أن الكفارة إنما تلزم في الإفطار من الجماع فقط اهـ بداية المجتهد (٣٠٢/١).

الكبيرة السادسة والعشرون ترك الحج مع القدرة عليه

- قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ أي: فرض لازم على المستطيع حج بيت الله العتيق ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]
- أي: من ترك الحج فإن الله مستغن عن عبادته وعن الخلق أجمعين؛ وعبر عنه بالكفر تغليظاً عليه؛ قال ابن عباس: من جحد فريضة الحج فقد كفر والله غني عنه^(١).
- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من أطاق الحج فلم يحج، فسواء عليه مات يهودياً أو نصرانياً. رواه أبو بكر الإسماعيلي بإسناد صحيح^(٢).
- ومثل هذا الحديث لا يقال من قبل الرأي، فيكون في حكم المرفوع^(٣).
- وقال عمر رضي الله عنه أيضاً: لقد هممت أن أبعث رجلاً إلى هذه الأمصار فينظروا من له حجة^(٤) ولم يحج، فليضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين. رواه سعيد بن منصور بسند صحيح^(٥).
- وقال ابن عباس رضي الله عنه: ما من أحد لم يحج ولم يؤدّ زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت. فقيل له: إنما يسأل الرجعة الكفار!
- قال: وإن ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾
- فَقُولُوا رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ أي: أؤدي الزكاة ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] أي: الحج، قيل: فيم تحب الزكاة؟ قال: بهاتي درهم وقيمتها من الذهب.
- قيل: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة.
- وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: مات لي جازّ موسر لم يحج فلم أصل عليه.

(١) صفوة التفاسير (٢٠٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٨٦/١).

(٣) الزواجر (٢٦٧).

(٤) وجد فلان وجدًا وجددة: صار ذا مال راجع اللسان والمصباح.

(٥) الدر المنثور (٥٦/١) وتفسير ابن كثير (٣٨٦/١).

الكبيرة السابعة والعشرون

الذبح لغير الله عز وجل

مثل أن يقول: باسم الشيطان، أو الصنم أو باسم الشيخ فلان.

- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد الميتة والمنخقة إلى قوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾.

وقال الكلبي: ما لم يذكر اسم الله عليه أو يذبح لغير الله تعالى.

وقال عطاء: ينهى عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ يعني: وإن كل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق، أي خروج عن الحق والدين: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ وَخُونٌ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّدُواكُمْ﴾ أي: يوسوس الشيطان لوليه؛ فيلقي في قلبه الجدال بالباطل، وهو أن المشركين جادلوا المؤمنين في الميتة.

قال ابن عباس رضي الله عنه: أوحى الشيطان إلى أوليائه من الإنس: كيف تعبدون شيئاً لا تأكلون ما يقتل، وأنتم تأكلون ما قتلتم؟ فأنزل الله هذه الآية ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ يعني: في استحلال الميتة، ﴿إِنَّكُمْ لَكُفْرٌ كُونٌ﴾ [الأنعام: ١٢١] قال الزجاج: وفي هذا دليل على أن كل من أحل شيئاً حرم الله أو حرم شيئاً مما أحل الله فهو مشرك.

- فإن قيل: كيف أباحت ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية، والآية كالنص في التحريم؟

قلت: إن المفسرين فسروا ما لم يذكر اسم الله عليه - في هذه الآية - بالميتة، ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية.

وفي الآية أشياء تدل على أن الآية في تحريم الميتة، فمنها قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ ولا يفسق أكل ذبيحة المسلم التارك للتسمية.

ومنها قوله: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ وَخُونٌ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّدُواكُمْ﴾

والمناظرة إنما كانت في الميتة بإجماع من المفسرين لا في ذبيحة تارك التسمية من المسلمين.

ومنها قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ والشرك في استحلال الميتة، لا في استحلال الذبيحة التي لم يذكر الله عليها.

- وعن عائشة رضي الله عنها أن قومًا قالوا: يا رسول الله، إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا؟

فقال: «سموا عليه أنتم وكلوا» رواه البخاري والنسائي وغيرهما^(١).

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من ذبح فنسي أن يسمي، فليذكر اسم الله عليه، وليأكل، ولا يدعه للشيطان إذا ذبح على الفطرة. رواه البيهقي، وصححه ابن السكن^(٢).

- ورد في الأثر: اسم الله على فم كل مسلم^(٣).

(١) نيل الأوطار: (١٣٩/٨).

(٢) راجع سنن البيهقي (٢٤٠/٩) وتلخيص الحبير (١٥١/٤).

(٣) نيل الأوطار (١٣٩/٨).

الكبيرة الثامنة والعشرون

أكل الربا

- قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

- وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾

أي: لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذي قدمسه الشيطان وصرعه.
﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك الذي أصابهم ﴿يَأْتِيهِمْ قَالُوا إِنَّمَا آَلَبِيعٌ مِّثْلُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

أي: حلالاً، فاستحلوا ما حرم الله، فإذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين إلا أكلة الربا، فإنهم يقومون ويسقطون، كما يقوم المصروع كلما قام صرع؛ لأنهم لما أكلوا الربا الحرام - في الدنيا - أرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم يوم القيامة.

فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا، ويريدون الإسراع مع الناس فلا يقدرّون.

- وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم، وعلى شط النهر رجل بن يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمي الرجل بحجر في فيه فردّه حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان فقلت: ما هذا الذي رأيته في النهر؟ فقال الذي رأيته في النهر: أكل الربا» رواه البخاري (٤٨/٣ - ٤٩).

فجعل عذاب أكل الربا من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحة في نهر الدم ويلقم بالحجارة، وهي المال الحرام الذي جمعه في الدنيا، يكلف المشقة فيه، هذا العذاب له في البرزخ - قبل يوم القيامة - مع لعنة الله له كما صح عن رسول الله ﷺ أنه لعن أكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: «هم سواء» رواه مسلم. (٤٩/٣)

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه ذكر حديثاً عن النبي ﷺ، وقال فيه: «ما ظهر في قوم الزنا والربا إلا أحلّوا بأنفسهم عذاب الله» رواه أبو يعلى بإسناد جيد. (٥١/٣)

- وعن عبد الله بن حنظلة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية» رواه الطبراني في الكبير ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٥٠/٣)

- وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الربا اثنان وسبعون بابًا، أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة المراء في عرض أخيه» رواه الطبراني في الأوسط من رواية عمر بن راشد وقد وثق

فصح أنه باب من أعظم أبواب الربا.

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «الربا اثنان وسبعون حوبًا، أصغرها حوبًا كمن أتى أمه في الإسلام، ودرهم من الربا أشد من بضع وثلاثين زنية»

قال: «ويأذن الله بالقيام للبرِّ والفاجر يوم القيامة إلا أكل الربا، فإنه لا يقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس» خرجه ابن أبي الدنيا والبغوي. والحبوب: الإثم.

(٥٠/٣)

- وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: الزائد والمستزيد في النار؛ يعني الآخذ والمعطي فيه سواء: نسأل الله العافية!

وقال قتادة: إن أكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونًا.

وذلك علَّم لأكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف.

وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون في صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلهم على أكل الربا، كما مُسَّخ أصحاب السبت حين تحيلوا على إخراج الحيتان التي نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت، فحفروا حياضًا تقع فيها يوم السبت، فيأخذونها يوم الأحد، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير.

وهكذا الذين يتحيلون على الربا بأنواع الحيل، فإن الله لا تخفى عليه حيل المحتالين.

قال أيوب السخيتاني: يخادعون الله كما يخادعون صبيًّا!! ولو أتوا الأمر عيانًا كان أهون عليهم.

فصل

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا كان لك على رجل دين فأهدى لك شيئًا فلا تأخذه فإنه ربا.
 - وقال الحسن رحمه الله: إذا كان لك على رجل دين، فما أكلت من بيته فهو سحت.
 - وقال ابن مسعود رضي الله عنه أيضًا: من شفع لرجل شفاعه فأهدى إليه هدية فهي سحت. وتصديقه من قوله ﷺ: «ومن شفع لرجل شفاعه، فأهدى له عليها فقبلها فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا» أخرجه أبو داود ^(١).
- نسأل الله العفو العافية في الدين والدنيا والآخرة!!

(١) سيأتي تفريجه في الكبيرة السادسة والستين.

الكبيرة التاسعة والعشرون

أكل الحرام وتناوله على أي وجه كان

- قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]
أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل.
- قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني باليمين الباطلة الكاذبة، يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل. والأكل بالباطل على وجهين:
- أحدهما: أن يكون على جهة الظلم؛ نحو: الغصب، والخيانة، والسرقة.
- والثاني: على جهة الهزل واللعب، كالذي يؤخذ في القمار والملاهي ونحو ذلك.
- وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «إن رجلاً يتخوضون - في مال الله - بغير حق، فلهم النار يوم القيامة».
- (١١٨)
- وفي صحيح مسلم حين ذكر النبي ﷺ: «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأني يستجاب لذلك»؟!.
- (١١/٣)
- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه» قالوا: وما بوائقه؟
- قال: «غشه وظلمه، ولا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق به فيقبل منه، ولا يتفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث» رواه أحمد وغيره من طريق أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد، وقد حسنها بعضهم والله أعلم.
- (١٤-١٣/٣)
- وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت» رواه ابن حبان في صحيحه.
- (١٥/٣)

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراج، فجاء يوماً بشيء، فأكل منه أبو بكر.

فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟

فقال أبو بكر: وما هو؟

قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني لذلك، هذا الذي أكلت منه.

فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه. رواه البخاري

الخراج: شيء يفرضه المالك على عبده يؤديه إليه كل يوم مما يكتسبه وباقى كسبه يأخذه لنفسه. (١٧/٣)

- وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام» رواه أبو يعلى والبخاري وغيرهما بأسانيد بعضها حسن. (١٥/٣)

- وروى: أن الدنيا حلوة خضرة، من اكتسب فيها مالاً من حله وأنفقه في حقه أثابه الله عليه وأورده جنته.

ومن اكتسب فيها مالاً من غير حله وأنفقه في غير حقه أحله الله دار الهوان، ورُبَّ متخوض في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة. (١٥/٣)

- روي «أن من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أي باب أدخله النار».

- وروي أن من اشترى ثوباً بعشرة دراهم، وفيه درهم من حرام؛ لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه. (١٣/٣)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لأن يجعل أحدكم في فيه تراباً خيراً من أن يجعل في فيه حراماً.

- وقد روي عن يوسف بن أسباط رضي الله عنه قال: إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعم سوء؛ قال: دعوه يتعب ويجهد فقد كفاكم نفسه، إن اجتهداه مع أكل الحرام لا ينفعه.

ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيح من قوله ﷺ في: «الرجل مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟»

- وروى أن ملكًا على بيت المقدس ينادي كل يوم وكل ليلة: من أكل حرامًا لم يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً.

الصرف: النافلة، والعدل: الفريضة.

- وقال عبد الله بن المبارك: لأن أرد درهما من شبهة أحب إليّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة.

- وقال وهب بن الورد: لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام؟

- وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يقبل الله صلاة امرئ وفي جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه.

- وقال سفيان الثوري: من أنفق الحرام في الطاعة، كمن طهر الثوب بالبول، والثوب لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال.

- وقال عمر رضي الله عنه: كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام.

- وروى أن من حج ببال حرام فقال: لبيك - قال ملك: لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك.

- وعن بعض الصالحين أنه رآه بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟

قال: خيرًا، غير إني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردّها.

قال العلماء رحمهم الله: ويدخل في هذا الباب: المكّاس، والخائن، والزغلي، والسارق، والبطال، وأكل الربا وموكله، وأكل مال اليتيم، وشاهد الزور، ومن استعار شيئًا فجحدّه، وأكل الرشوة، ومنقص الكيل والوزن، ومن باع شيئًا فيه عيب فغطاه، والمقامر، والساحر، والمنجم، والمصور، والزانية، والناتحة، والعشيرة، والدلال إذا أخذ أجرته بغير إذن من البائع، ونخب المشتري بالزائد، ومن باع حرًا فأكل ثمنه.

فصل

عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بأعمال أمثال جبال تهامة بيضاء، فيجعلها الله هباء منثورا، قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، حلهم لنا، لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: أما هم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها» رواه ابن ماجة ورواته ثقات.

(١٧٨/٣)

فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى، إنه جواد كريم رءوف رحيم!!

موعظة

عباد الله ...

أما الليالي والأيام تهدم الآجال؟ أما مآل المقيم - في الدنيا - إلى الزوال؟
أما آخر الصحة يؤول إلى الاعتلال؟ أما غاية السلامة نقصان الكمال؟
أما بعد استقرار المنى هجوم الآجال؟ أما أنبتتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال؟
أما بانث لكم العبر وضربت لكم الأمثال؟

وعزیز ناعم ذل لله كل صعب المرتقى وغر المرام
فكساه بعد لين ملبس خشنا بالرغم منه في الرغام
ووجوه ناضرات بدلت بعد لون الحسن لو نأ كالقتام
وشموس طالعات أفلت بعد ذاك النور منها بالظلام
ومنيف شامخ بنيانه لين الأعطاف مهتز القوام
أف للندنيا فما شيمتها غير نقض العهد أو خفر الذمام
فاستمدوا الزاد تنجوا واعملوا صالحا من قبل تقويض الخيام

يا متعلقًا بزخرف يروق بقاؤه كلمح البروق.

يا مضيقًا في الهوى واجبات الحقوق ... تبارز الخالق، وتستحي من المخلوق؟

يا مؤثرًا أعلى العلالي سائرًا ذلك الفسوق ... ألا سترئ ذلك الفسوق؟

يا متوهمًا مهاد الهوى ... وهو في سجن الردى مرموق.
ابك على نفسك العليلة ... فإنك بالبكاء محقوق.
عجبًا لمن رأى فعل الموت لصحبه ... وأيقن بتلفه، وما قضى نجه!!
وسكن الإيمان بالآخرة في قلبه ... ونام غافلًا على جنبه.
ونسي جزاءه على جرمه وذنبه ... وأعرض إلى ربه من الهوى عن ربه.
كأنى به قد سقي كأس حمام يستغيث من شربه.
وأفرده الموت عن أهله وسربه.
ونقله إلى قبر ... ذل فيه بعد عجه.
فيا ذا اللب جز على قبره ... وعج به^(١).
لقد خرقت المواعظ المسامع ... وما أراه انتفع به السامع.
لقد بدا نور المطالع لكنه أعمى المطالع ...
ولقد بانت العبر بآثار الغير لمن اغتر بالمصارع ... فما بالها لا تسكب المدامع؟
يا عجبًا لقلب عند ذكر الحق غير خاشع ... لقد نشبت فيه مغالب المطامع!!
يا من شبيه قد أتى .. هل ترى ما مضى من العمر برجع؟
انتبه لما بقي وائته وراجع.
فالهل عظيم ... والحساب شديد ... والطريق شاسع.
إن عذاب ربك لواقع ... ما له من دافع.

(١) عج، يعج (بالكسر) ويعج (بالفتح) عجبًا وعجيبًا: صاح ورفع صوته (١/١٩٨) القاموس.

الكبيرة الثلاثون

نقص الكيل والذرع وما أشبه ذلك

- قال الله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّينَ﴾ [المطففين: ١] يعني: الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم في الكيل والوزن.

- وقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] يعني: يستوفون حقوقهم منها.

قال الزجاج: المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم، وكذلك إذا اتزنوا. وليرذكر (إذا اتزنوا)؛ لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن، فأحدهما يدل على الآخر ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣] أي: ينقصون في الكيل والوزن.

وقال الشدي: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وبها رجل يقال له: أبو جهينة له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر؛ فأنزل الله هذه الآية.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس بخمس». قالوا: يا رسول الله، وما خمس بخمس؟

قال: «ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا أنزل الله بهم الطاعون - يعني كثرة الموت - ولا طففوا المكيال إلا حبس عنهم النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر» رواه الطبراني في الكبير وسنده قريب من الحسن وله شواهد.

(٢٧١/١)

- وقوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: ٤] قال الزجاج: المعنى: لو ظنوا أنهم مبعوثون ما نقصوا في الكيل والوزن، ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٥] أي: يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ [المطففين: ٦] من قبورهم ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] أي: لأمره ولجزائه وحسابه، وقيل: يقومون بين يديه لفصل القضاء.

- وعن مالك بن دينار قال: دخلت على جار لي، وقد نزل به الموت، وهو يقول: جبلان من نار ... جبلان من نار

قال: قلت: ما تقول؟ قال: يا أبا يحيى كان لي مكيالان كنت أكيل بأحدهما وأكثال بالآخر.

قال مالك بن دينار: فقممت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر.

فقال: يا أبا يحيى، كلما ضربت أحدهما بالآخر، ازداد الأمر عظمًا وشدة، فمات في مرضه.

- والمطفف هو الذي ينقص الكيل والوزن مطففًا؛ لأنه لا يكاد يسرق إلا الشيء الطفيف وذلك ضرب من السرقة والخيانة وأكل الحرام، وقد وعد الله من فعل ذلك بويل وهو شدة العذاب، وقيل: واد في جهنم لو سُيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره.

- وقال بعض السلف: أشهد على كل كيال أو وزان بالنار؛ لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله.

- وقال بعضهم: دخلت على مريض، وقد نزل به الموت، فجعلت ألقنه الشهادة، ولسانه لا ينطق بها، فلما أفاق قلت له: يا أخي مالي ألقنك الشهادة، ولسانك لا ينطق بها.

قال: يا أخي لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها.

فقلت له: بالله أكنت تزن ناقصًا، قال: لا والله ولكن ما كنت أقف مدة لأختبر صحة ميزاني.

فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه، فكيف حال من يزن ناقصًا.

- وقال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع، فيقول: (أتق الله، وأوف الكيل والوزن؛ فإن المطففين يوقفون حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم).

وكذا التاجر إذا شد يده في الذراع وقت البيع، وأرخى وقت الشراء.

- وكان بعض السلف يقول: ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السموات والأرض، ويوح لمن يشتري الويل بحبة يأخذها زائدة.

فنسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم.

الكبيرة الحادية والثلاثون

أكل مال اليتيم وظلمه

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

أي: إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب، فإنما يأكلون نارا تتأجج في بطونهم يوم القيامة.
قال السدي - رحمه الله تعالى -: يحشر أكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة، ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه، كل من رآه يعرفه أنه أكل مال اليتيم.

- وقال تعالى في شأن أموال اليتامى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾ [النساء: ٦]
أي: مبادرة قبل بلوغهم.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦].
قال العلماء: فكل ولي ليتيم إذا كان فقيراً فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحه، وتنمية ماله فلا بأس عليه، وما زاد على المعروف فسحت حرام.
وقد ذكر ابن الجوزي - في تفسيره - في الأكل بالمعروف أربعة أقوال:
أحدها: أنه الأخذ على وجه القرض.

والثاني: الأكل بقدر الحاجة من غير إسراف.

والثالث: أنه أخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملاً.

والرابع: أنه الأخذ - عند الضرورة - فإن أيسر قضاء، وإن لم يوسر فهو في حل.

وفي البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما.

- وفي صحيح مسلم عنه ﷺ قال: «كافل اليتيم له أو لغيره: أنا وهو كهاتين في الجنة»، وأشار الراوي وهو مالك بن أنس بالسبابة والوسطى.

كفالة اليتيم: هي القيام بأمره، والسعي في مصالحه من طعامه وكسوته، وتنمية ماله، إن كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى.

وقوله - في الحديث - «له أو لغيره» أي: سواء كان اليتيم قرابة أو أجنبيًا منه.

فالقرباة مثل: أن يكفله جده، أو أخوه، أو أمه، أو عمه، أو زوج أمه، أو خاله، أو غيره من أقاربه، والأجنبي من ليس بينه وبينه قرابة.

- وعن ابن عباس رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «من قبض يتيمًا من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة ألبته إلا أن يعمل ذنبًا لا يغفر» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. (٢٣٠/٣)

- [وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من يفتح باب الجنة، إلا أني أرى امرأة تبادرنى، فأقول لها: ما لك، ومن أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لي» رواه أبو يعلى وإسناده حسن إن شاء الله.] (٢٣١/٣)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شكّا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال: «امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. (٢٣١/٣)

حكاية

وحكي عن بعض السلف قال: كنت - في بداية أمري - مكبًا على المعاصي وشرب الخمر، فظفرت يومًا بصبي يتيم فقير فأخذته وأحسنت إليه وأطعمته وكسوته، وأدخلته الحمام، وأزلت شعته وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر، فبت ليلة بعد ذلك، فرأيت في النوم أن القيامة قامت، ودعيت إلى الحساب، وأمرني إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصي فسحبني الزبانية ليمضوا بي إلى النار، وأنا بين أيديهم حقير ذليل مجرونني سحبًا إلى النار.

وإذا بذلك اليتيم قد اعترضني بالطريق، وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربي حتى أشفع له إلى ربي؛ فإنه قد أحسن إليّ وأكرمني.

فقال الملائكة: إننا لم نؤمر بذلك.

وإذا النداء من قبل الله - تعالى - يقول: خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعه

اليتم وإحسانه إليه.

قال: فاستيقظت وتبت إلى الله - عزَّ وجلَّ - وبذلت جهدي في إيصال الرحمة إلى الأيتام.

- ولهذا قال أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ: «خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء إليه، وأحب عباد الله إلى الله - تعالى - من اصطنع صنعاً إلى يتيم أو أرملة».

- وروي أن الله - تعالى - أوحى إلى داود عليه السلام يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم، وكن للأرملة كالزوج الشفيق، واعلم كما تزرع كذا تحصد.
معناه: أنك كما تفعل، كذلك يفعل معك.

أي لا بد أن تموت، ويبقى لك ولد يتيم أو امرأة أرملة.

- وقال داود عليه السلام في مناجاته: إلهي ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك؟
قال: جزاؤه أن أظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي.

معناه: ظل عرشي يوم القيامة.

حكاية أخرى

- أن بعض العلويين - كان نازلاً ببلخ من بلاد العجم - وله زوجة علوية، وله منها بنات، وكانوا في سعة ونعمة؛ فمات الزوج، وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة.
فخرجت بيناتها إلى بلدة أخرى خوف شدة الأعداء، واتفق خروجها في شدة البرد، فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها في بعض المساجد المهجورة ومضت تحتال لهم في القوت، فمرت بجمعين: جمع على رجل مسلم، وهو شيخ البلد، وجمع على رجل مجوسي، وهو ضامن البلد.

فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له، وقالت: أنا امرأة علوية، ومعى بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة، وأريد الليلة قوتهم.
فقال لها: أقيمي عندي البينة أنك علوية شريفة.

فقال: أنا امرأة غريبة ما في البلد من يعرفني، فأعرض عنها.
فمضت من عنده منكسرة القلب، فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسي فشرحت له

حالتها، وأخبرته أن معها بنات أيتامًا، وهي امرأة شريفة غريبة، وقصّت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم.

فقام وأرسل بعض نسائه، وأتوا بها وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام، وألبسهن أفخر اللباس، وباتوا عنده في نعمة وكرامة.

قال: فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت وقد عُقد اللواء على رأس النبي ﷺ، وإذا القصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت، وفيه قباب اللؤلؤ والمرجان، فقال: يا رسول الله، لمن هذا القصر؟ قال: لرجل مسلم موحد، فقال: يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد. فقال رسول الله ﷺ: لما قصدتك المرأة العلوية قلت: أقيمي عندي البينة أنك علوية، فكذا أنت أقم عندي البينة أنك مسلم؛ فانتبه الرجل حزينًا على رده المرأة خائبة، ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنها، حتى دل عليها أنها عند المجوسي، فأرسل إليه فأتاه. فقال له: أريد منك المرأة الشريفة العلوية وبناتها. فقال: ما إلى هذا من سبيل وقد لحقني من بركاتهم ما لحقني. قال: خذ مني ألف دينار وسلمهن إليّ، فقال: لا أفعل، فقال: لا بد منهن، فقال: الذي تريده أنت أنا أحق به، والقصر الذي رأيته في منامك خُلِق لي، أتدل عليّ بالإسلام؟ فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية، ورأيت مثل الذي رأيت في منامك، وقال لي رسول الله ﷺ: العلوية وبناتها عندك؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: القصر لك، ولأهل دارك، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة، خلّقك الله مؤمنًا في الأزل، قال: فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله، فانظر رحمك الله إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة في الدنيا.

- ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله».

قال للراوي: وأحسبه قال: «وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر».

والساعي عليهم: هو القائم بأمورهم ومصالحهم ابتغاء وجه الله تعالى. (٣/ ٢٣٢)

وفقنا الله لذلك بمنه وكرمه، إنه جواد كريم رءوف غفور رحيم.

الكبيرة الثانية والثلاثون أذى الجار

- ثبت في الصحيحين - من حديث أبي هريرة - أن رسول الله ﷺ قال: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن»، قيل من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه» أي: غوائله وشروره.

وفي رواية لمسلم: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه».

- وسئل رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟

فذكر ثلاث خلال وقال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك، وأن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، وأن تزاني حليلة جارك» متفق عليه. (٣/ ١٩٤-١٩٥)

- وفي الحديث الصحيح: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره» متفق عليه. (٣/ ٢٣٣)

- والجيران ثلاثة:

جار مسلم قريب: له حق الجوار، وحق الإسلام، وحق القرابة.

وجار مسلم: له حق الجوار، وحق الإسلام.

والجار الكافر: له حق الجوار.

- وكان ابن عمر رضيهما له جارٌ يهودي، فكان إذا ذبح الشاة، يقول: «احملوا إلى جارنا اليهودي منها».

- وروي: (أن الجار الفقير يتعلق بالجار الغني يوم القيامة، ويقول: يا ربِّ سل هذا لـ أغلق عني بابه، ومنعني فضله).

- وينبغي للجار أن يتحمل أذى الجار، فهو من جملة الإحسان إليه.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملت به دخلت الجنة! قال: «كن محسنًا»، قال: كيف أعلم أني محسن؟

قال: «سل جيرانك، فإن قالوا: إنك محسن فأنت محسن، وإن قالوا إنك مسيء فأنت

مسيء» ذكره البيهقي من رواية أبي هريرة^(١).

- وروي: (من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله، فليس ذلك بمؤمن، وليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه).

- وعن المقداد بن الأسود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «ما تقولون في الزنا؟» قالوا: حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر من أن يزني بامرأة جاره».

قال: «ما تقولون في السرقة؟» قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام، قال: «لأن يسرق الرجل من عشرة آيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره» رواه أحمد واللفظ له ورواته ثقات.

- وفي سنن أبي داود - من رواية أبي هريرة - ؓ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره فقال له: «اذهب فاصبر» فأثاه مرتين، أو ثلاثاً.

فقال: «اذهب فاطرح متاعك في الطريق» ففعل، فجعل الناس يمرون ويسألونه فيخبرهم خبر جاره، فجعلوا يلعنونه: فعل الله به وفعل، وبعضهم يدعو عليه، فجاء إليه جاره، فقال: ارجع فإنك لن ترى مني شيئاً تكرهه.

وصححه ابن حبان، والحاكم على شرط مسلم^(٢).

- وينبغي أن يحتمل أذى جاره، وإن كان ذمياً.

فقد روي عن سهل بن عبيد الله التستري ؓ أنه كان له جارٌ ذميٌّ، وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت في دار سهل بثق، فكان سهل يضع كل يوم جفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف المجوسي، ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد، فمكث ؓ على هذا الحال زماناً طويلاً إلى أن حضرت سهلاً الوفاة، فاستدعى جاره المجوسي، وقال له: ادخل ذلك البيت وانظر ما فيه، فدخل فرأى ذلك البثق والقدر يسقط منه في الجفنة، فقال: ما

(١) وخرجه الحاكم في المستدرک (٣٧١ / ١) وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي.

(٢) وأقره الذهبي (١٦٦ / ٤) وراجع عمدة التفسير (٢٤ / ٤).

هذا الذي أرى؟

قال سهل: هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت، وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل، ولولا أنه حضرني أجلي، وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيري لذلك، وإلا لم أخبرك، فافعل ما ترى.

فقال المجوسي: أيها الشيخ أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمان طويل، وأنا مقيم على كفري؟ مد يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ثم مات سهل رحمته.
فنسأل الله أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال، وأن يحسن عاقبتنا إنه جواد كريم رءوف رحيم.

الكبيرة الثالثة والثلاثون أذى المسلمين وشتيمهم

- قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ أي: يؤذون أهل الإيـمان بغير ما فعلوه، وبغير جناية واستحقاق للأذى ﴿فَقَدْ أَحْضَمُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨] أي: فقد حملوا أنفسهم البهتان، والكذب، والزور، والذنب الواضح الجلي^(١).

- وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: يا من اتصفتم بالإيمان وصدقتم بالله ورسوله ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: لا يهزأ جماعة بجماعة، ولا يسخر أحد من أحد، فقد يكون المستهزأ به خيراً عند الله من المستهزئ ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ أي: ولا يسخر نساء من نساء فعسى أن تكون المحترقة منهن خيراً عند الله وأفضل من الساخرة ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: ولا يعيب بعضكم بعضاً، وإنما قال: أنفسكم: أن المسلمين كأنهم نفس واحدة: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَبِ﴾ أي: ولا يدع بعضكم بعضاً بلقب السوء.

﴿بِقِسِّ آلَاتِمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيْمَانِ﴾ أي: بشس أن يسمى الإنسان فاسقاً بعد أن صار مؤمناً ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١] أي: ومن لم يترك عن اللمز والتنايز والسخرية فأولئك هم الظالمون بتعريض أنفسهم للعذاب^(٢).

- وقال ﷺ: «عباد الله، وضع الله الحرج إلا من اقترض من عرض أخيه شيئاً فذلك الذي حرج وهلك» خـرجه الحاكم في المستدرک وصححه^(٣).

(١) صفوة التفاسير (١١٢٢).

(٢) صفوة التفاسير (١٤٠٠) بتصرف.

(٣) وأقره الذهبي (١٩٨/٤-١٩٩).

- وقال ﷺ: «إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء فحشه» رواه البخاري عن عائشة ومسلم^(١) واللفظ له.
- وفي الحديث: «كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» رواه الترمذي وقال: حديث حسن. (١٢١)
- وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يحره، ولا يخذله، والتقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم».
- وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٢٨٥ / ٣)
- وعن أبي هريرة ؓ قال: قيل لرسول الله ﷺ: إن فلانة تصلي الليل وتصوم النهار، وفي لسانها شيء تؤذي جيرانها؛ سليطة. قال: «لا خير فيها، هي في النار» صححه الحاكم^(٢).
- وفي الحديث أيضًا: «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم» صححه الحاكم^(٣).
- وقال رسول الله ﷺ: «من دعا رجلًا بكفر، أو قال: يا عدو الله - وليس كذلك - إلا حار عليه» رواه البخاري ومسلم.
- و حار (بالحاء المهملة والراء): أي رجع. (٢٨٤ / ٣)
- وعن أنس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» رواه أبو داود مسندًا ومرسلًا والمسند أصح^(٤).

(١) مسلم (٢٠٠٢/٤).

(٢) وأقره الذهبي (١٦٦/٤).

(٣) وأقره الذهبي (٣٨٥/١).

(٤) قاله العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١٣٩/٣).

فصل

في التهيب من الإفساد والتحريش بين المؤمنين وبين البهائم والدواب

- صح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم» رواه مسلم^(١).

فكل من حرّش بين اثنين من بني آدم، ونقل بينهما ما يؤذي أحدهما فهو نمام من حزب الشيطان من أشر الناس.

- كما قال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبراء العنت» رواه أحمد عن أسماء بنت يزيد، وفيه شهر بن حوشب وثقه غير واحد، وبقية رجاله رجال الصحيح^(٢) والعنت: المشقة.

- وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة نمام» متفق عليه من حديث حذيفة.

(٥٤٢)

والنمام: هو الذي ينقل الحديث بين الناس، أو بين اثنين بما يؤذي أحدهما، أو يوحش قلبه على صاحبه أو صديقه بأن يقول له: قال عنك فلان كذا وكذا، وفعل كذا وكذا، إلا أن يكون في ذلك مصلحة أو فائدة، كتحذيره من شر يحدث أو يترتب.

وأما التحريش بين البهائم والدواب والطيور وغيرها، فحرام؛ كمناقرة الديوك، ونطاح الكباش، وتحريش الكلاب بعضها على بعض، وما أشبه ذلك وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك، فمن فعل ذلك فهو عاصي لله ورسوله.

- ومن ذلك إفساد قلب المرأة على زوجها، والعبد على سيده.

لما روي أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا من خب امرأة على زوجها، أو عبداً على سيده» رواه أبو داود، والنسائي، وابن حبان في صحيحه بنحوه.

(٩٣/٣)

(١) صحيح مسلم (٢/٤١٦٦).

(٢) الجامع الأزهر (١/١٨٣).

خَبَبَ (بفتح الخاء المعجمة وتشديد الباء الموحدة الأولى) معناه: خدع وأفسد نعوذ بالله من ذلك.

فصل

في الترغيب في الإصلاح بين الناس

- قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]

قال مجاهد: هذه الآية عامة بين الناس، يريد أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال الخير وهو قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ ثم حذف المضاف^(١) ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ قال ابن عباس: بصلة الرحم وبطاعة الله، ويقال لأعمال البر كلها معروف؛ لأن العقول تعرفها.

قوله تعالى: ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ قال ابن جرير: وهو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين بما أباح الله الإصلاح بينهما ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة^(٢).

- وروى أم حبيبة ~~رضي الله عنها~~ أن النبي ﷺ قال: «كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله» رواه الترمذي، وابن ماجه، وابن أبي الدنيا، رواه ثقات^(٣). (١٠/٤)

- وروي أن رجلاً قال لسفيان: ما أشد هذا الحديث!

قال سفيان: ألسمعت إلى قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الآية، هذا هو بعينه^(٤).

(١) والتقدير: إلا نجوى من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس.

(٢) تفسير الطبري (٢٠١/٩).

(٣) وعبارة المنذري: وفي محمد بن يزيد كلام قريب لا يقدر، وهو شيخ صالح.

(٤) عزاه ابن كثير إلى ابن مردويه (٥٥٤/١) وراجع الدر المنثور (٢٤٢/٢)، الزهد (٢٢-٢٣).

- ثم أعلم الله - سبحانه - أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند الله .
- قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ أي: ثواباً لا حد له.
- وفي الحديث: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً، أو يقول خيراً» رواه البخاري.
- (٥٥١)
- وقالت أم كلثوم: ولرأسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث، تعني الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.
- وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شرٌّ، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناس معه من أصحابه. رواه البخاري^(١).
- وروي أن: «ما عمل شيء أفضل من مشي إلى الصلاة، أو إصلاح ذات البين وحلف جائز بين المسلمين».
- وروي كذلك: «أن من أصلح بين اثنين؛ أصلح الله أمره، وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة، ورجع مغفوراً له ما تقدم من ذنبه» وبالله التوفيق.
- اللهم عاملنا بلطفك، وتداركنا بعفوك يا أرحم الراحمين.

(١) البخاري (٢٣٩/٣).

الكبيرة الرابعة والثلاثون أذية أولياء الله

- قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ أي: يؤذون أهل الإيمان بغير ما فعلوه، وبغير جناية واستحقاق للأذى ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨] أي: فقد حملوا أنفسهم البهتان، والكذب، والزور، والذنب الواضح الجلي^(١).
- وقال تعالى: ﴿وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] أي: تواضع وألن جانبك لأتباعك المؤمنين^(٢).
- وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب» رواه البخاري.
- ومعنى آذنته: أعلمته بأي محارب له.
- وفي رواية: «فقد بارزني بالمحاربة».
- وفي الحديث أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها.
- فقال أبو بكر ؓ: أتقولون هذا الشيخ قريش وسيدهم؟
- فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم! لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك».
- فاتاهم فقال: يا إخوانه أغضبتكم؟ قالوا: لا؛ يغفر الله لك يا أخي. رواه مسلم.
- وقوله (مأخذها): أي لم تستوف حقها منه.

(١٣٥)

(١) صفوة التفاسير (١١٢٢).

(٢) صفوة التفاسير (٩٨٢).

فصل

في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾ [الكهف: ٢٨]

وهذه الآيات في تفضيل الفقراء.

وسبب نزولها: أن النبي ﷺ أول من آمن به الفقراء - وكذلك كل نبي أرسل، أول من آمن به الفقراء - فكان رسول الله ﷺ يجلس مع فقراء أصحابه، مثل سلمان وصهيب، وبلال وعمار بن ياسر رضي الله عنهم، فأراد المشركون أن يحتالوا عليه في طرد الفقراء لما سمعوا أن علامة الرسل أن يكون أتباعهم من الفقراء فجاء بعض رؤساء المشركين، فقالوا: يا محمد اطردهم الفقراء عنك، فإن نفوسنا تأنف أن تجالسهم، فلو طردتهم عنك لآمن بك أشراف الناس ورؤساؤهم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢]. فلما أيس المشركون من طردهم قالوا: يا محمد إن لم تطردهم فاجعل لنا يوماً ولهم يوماً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

أي: لا تتعدهم ولا تتجاوز بنظرك رغبة عنهم، وطلباً لصحبة أبناء الدنيا.

﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: لا تطع كلام الذين سألوك طرد المؤمنين فقلوبهم غافلة عن ذكر الله، وقد شغلوا عن الدين وعبادة ربهم بالدنيا ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ أي: سار مع هواه وترك أمر الله ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ قَرْطًا﴾ أي: كان أمره ضياعاً وهلاكاً ودماراً ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ [الكهف: ٢٩] ظاهره أمر، وحقيقته وعيد وإنذار.

ثم ضرب لهم مثل الغنى والفقر، بقوله: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢] وقوله: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٥]

فكان رسول الله ﷺ يعظم الفقراء ويكرمهم.

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة هاجروا معه، فكانوا في صُفَّة المسجد مقيمين متبتلين فسموا أصحاب الصُفَّة، فكان ينتمي إليهم من يهاجر من الفقراء حتى كثروا رضي الله عنهم.

هؤلاء شاهدوا ما أعد الله لأوليائه من الإحسان وعاینوه بنور الإیمان فلم یعلقوا قلوبهم بشيء من الأكوان.

بل قالوا: إیاک نعبد .. ولك نخضع ونسجد .. وبک نهتدی ونسترشد .. وعلیک نتوکل ونعتمد.

وبذکرک ننعیم ونفرح .. وفي میدان وذك نرتع ونسرح .. ولك نعمل ونکدح .. وعن بابک أبدا لا نبرح.

فحینئذ عمر لهم سبیلہ .. وخاطب فیهم رسوله فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

أي: لا تطرد قوماً أمسوا على ذکر ربهم یتقلبون، وإن أصبحوا فلبابه ینقلبون، لا تطرد قوماً المساجد مأواهم .. والله مطلوبهم ومولاہم .. والجوع طعامهم والسهر - إذا نام الناس - إدامهم .. والفقر والفاقة شعارهم .. والمسکنة والحیاء دثارهم: ربطوا خیل عزمهم على باب مولاہم .. وبسطوا وجوہهم فی محاریب نجواہم.

فالفقر عام وخاص، فالعام: الحاجة إلى الله تعالى، وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر، وهو معنی قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّمُ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

والخاص: وصف أولیاء الله وأحبائه: خلوا الیدين من الدنيا، وخلو القلب من التعلق بها، اشتغالا بالله - عز وجل - وشوقاً إلیه، وأنسا بالفراغ والخلو مع الله عز وجل.

اللهم أذقنا حلاوة مناجاتک، وأن تسلك بنا طریق مرضاتک، واقطع عنا کل ما یبعدنا من حضرتک ویسر لنا ما یسرته لأهل محبتک، واغفر لنا ولوالدینا وللمسلمین.

الكبيرة الخامسة والثلاثون الإضرار في الوصية

- قال الله تعالى: ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ أي: غير مدخل الضرر على الورثة، وهو أن يوصي بدين ليس عليه، يريد بذلك ضرر الورثة فمنع الله منه ﴿ وَصِيَّةٌ مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بالضرار وغيره ﴿ حَلِيمٌ ﴾ لا يعاجل بعقوبته ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ قال ابن عباس: يريد ما أحل الله من فرائضه في الميراث ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ في شأن الموارث ﴿ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [النساء: ١٣-١٤] قال مجاهد: فيما فرض الله من الموارث، وقال عكرمة عن ابن عباس: من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله ﴿ يُدْخِلْهُ نَارًا ﴾ وقال الكلبي: يعني يكفر بقسمة الله الموارث ويتعد حدوده استحلالاتاً ﴿ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [النساء: ١٢-١٤].

- وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار» ثم قرأ أبو هريرة ؓ: ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

- وقال ﷺ: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث» صححه الترمذي^(١).

- وروي أن «من قرأ بميراث وارثه قطع الله ميراثه من الجنة يوم القيامة».

(١) الترمذي (٤/٤٣٣)

الكبيرة السادسة والثلاثون الخيانة في الأمانة

- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْسِئَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

قال الواحدي رحمه الله: نزلت هذه الآية في أبي لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لما حاصروهم - وكان أهله وولده فيهم - فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقة، أي: إنه الذبيح، فلا تفعلوا فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله.

قال أبو لبابة: فما زالت قدماي من مكاني حتى عرفت أي خنت الله ورسوله.
وقوله: ﴿وَتَخُونُوا أَمْسِئَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عطف على النهي، أي: ولا تخونوا أماناتكم.

قال ابن عباس: الأمانات: الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفرائض، يقول: لا تنقضوها.

قال الكلبي: أما خيانة الله ورسوله: فمعصيته.
وأما خيانة الأمانة: فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه، إن شاء خانها وإن شاء أداها، لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنها أمانة من غير شبهة.

- وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].
أي: لا يرشد كيد من خان أمانته، يعني: أنه يفتضح في العاقبة بحرمان الهداية.
وقال رحمه الله: «آية المتافق ثلاث: إذا حدث كذب، إذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (٤/٤٣).

- وعن أنس رضي الله عنه قال: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له» رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط^(١) وابن حبان في صحيحه.

(٤٤/٤)

- والخيانة قبيحة في كل شيء وبعضها شرٌّ من بعض، وليس من خانك في فلس، كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم.

- وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك» حسنه الترمذي وغيره^(٢).

- وفي الحديث أيضًا: «يطبع المؤمن على كل خلة إلا الخيانة والكذب» رواه أبو يعلى والبزار عن سعد بن أبي وقاص مرفوعًا، ورجاله رجال الصحيح^(٣).

- وقال رسول الله ﷺ: «يقول الله: أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خانهُ خرجت من بينهما» رواه أبو داود وصححه الحاكم^(٤). (٣١/٣)

- ومن دعاء النبي ﷺ أنه كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئس البطانة» رواه أبو داود بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة. (٥١٩)

- وقال عليه الصلاة والسلام: «وأهل النار خمسة...» فذكر أصنافًا إلى أن قال: «والخائن الذي لا يخفى^(٥) له طمع - وإن دق - إلا خانهُ» رواه مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي^(٦).

(١) قال الهيثمي (٩٦/١): وفيه أبو هلال: وثقه ابن معين، وغيره، وضعفه النسائي وغيره.

(٢) نقله المناوي (٢٢٣/١) ونقل قول الهيثمي في بعض طرقه: رجاله ثقات.

(٣) الجامع الأزهر (٣/٣١٧٩).

(٤) وأقره الذهبي (٥٢/٢).

(٥) أي: لا يظهر.

(٦) صحيح مسلم (٤/٢١٩٨).

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (القتل في سبيل الله يُكفّر الذنوب كلها إلا الأمانة، قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة، وإن قتل في سبيل الله، فيقال: أَدَّ أمانتك فيقول: أي رب كيف وقد ذهب الدنيا؟ فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية فينطلق به إلى الهاوية، وتمثل له أمانته، كهيتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها، فيهو في أثرها حتى يدركها، فيحملها على منكبيه، حتى إذا ظن أنه خارج زَلَّتْ عن منكبيه فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين).

ثم قال: (الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة، وأشياء عددها، وأشدُّ ذلك الودائع) رواه أحمد والبيهقي موقوفًا.

وذكر عبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب الزهد أنه سأل أباه عنه فقال: إسناده جيد^(١).

(٤٢/٤)

- وقد روي: «إن أول ما يرفع من الناس الأمانة: وآخر ما يبقى الصلاة، ورُبَّ مصلٍّ لا خير فيه».

فاللهم عاملنا بلطفك، وتداركنا بعفوك

(١) ساقه مرفوعًا بإسناده إلى ابن أبي الدنيا الحافظ ابن كثير في النهاية (٨٨/٢) وقال: إسناده جيد، ولم يروه أحمد ولا من الستة أحد.

موعظة

عباد الله ...

ما أشرف الأوقات وقد ضيعتموها! ... وما أجهل النفوس وقد أطمعتموها!

وما أدق السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها؟! ...

وما أحفظ الصحف بالأعمال فتدبروا ما أودعتموها.

قبل الرحيل عن القليل ... والمناقشة عن النقيير والفتيل.

قبل أن تنزلوا بطون اللحد ... وتصيروا طعاماً للدد ... في بيت بابه مسدود.

ولو قيل للعاصي ما تختار؟ ... لقال: أعود ولا أعود.

أين أهل الديار من قوم نوح؟ ثم عاد من بعدهم وثمود

بينما القوم في السمارق والاستـ تبرق أفضت إلى التراب الخدود

وصحيح أضحى يعود مريضاً وهو أدنى للموت عن يعود

الكبيرة السابعة والثلاثون النميمة

- وهي نقل الحديث بين الناس على جهة الإفساد بينهم، هذا بيانها.
وأما حكمها: فهي حرام بإجماع المسلمين.
- وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة.
- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَالٍ﴾ كثير الحلف بالحق والباطل، والذي يكثر الحلف مستهيناً بعظمة الله ﴿مُهِينٌ﴾ أي فاجر حقير ﴿هَمَّازٌ﴾ أي مغتاب يأكل لحوم الناس بالطنن والعيب ﴿مُشَاءٌ بِتَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١] أي: يمشي بالنميمة بين الناس^(١).
- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة نام» (٣/ ٢٩٤)
- وفي الحديث أن رسول الله ﷺ مرَّ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر: فكان يمشي بالنميمة».
- ثم أخذ جريدة رطبة فشققها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة، فقالوا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ فقال: «لعلهما أن يخفف عنهما ما لم ييبسا» رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس^(٢).
- وقوله: «وما يعذبان في كبير» أي: ليس بكبير تركه عليهما، أو ليس بكبير في زعمهما، ولهذا قال في رواية أخرى: «بلى إنه كبير».
- وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه» متفق عليه.

(٥٤٤)

(١) صفوة التفاسير (١٥٩١).

(٢) البخاري (٦٤/١) ومسلم (٢٤٠/١) والنسائي (١٠٦/٤) واللفظ له.

- وعن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة» رواه أبو داود بسند حسن^(١).
- وروي أنه «من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار» ومعنى «من كان ذا لسانين» أي: يتكلم مع هؤلاء بكلام، وهؤلاء بكلام، وهو بمعنى صاحب الوجهين.
- قال الإمام أبو حامد الغزالي^(٢) رحمه الله: النميمة إنها تطلق - في الغالب - على من ينم قول الغير إلى المقول فيه، كقوله: فلان يقول فيك: كذا، وليست النميمة: مخصوصة بذلك. بل حدّها: كشف ما يكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه، أو المنقول إليه أو ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز، أو الإيحاء، أو نحوها.
- وسواء أكان المنقول من الأقوال أو الأعمال، وسواء كان عيباً أو غيره.
- فحقيقة النميمة: إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه.
- وينبغي للإنسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس، إلا ما في حكايته فائدة لمسلم، أو دفع معصية.
- قال: وكل من حملت إليه نميمة، وقيل له: قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ستة أمور:
- الأول: أن لا يصدقه؛ لأن النمام فاسق، وهو مردود الخبر.
- الثاني: أن ينهاء عن ذلك، وينصحه، ويقبح فعله.
- الثالث: أن يبغضه في الله - عز وجل - فإنه بغيض عن الله، والبغض في الله واجب.
- الرابع: أن لا يظن في المنقول عنه السوء لقوله تعالى: ﴿أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

(١) قاله العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٣/ ١٥٤).

(٢) الإحياء (٣/ ١٥٢) والأذكار (٣٠٩).

الخامس: أن لا يحمل ما حكى له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهى المنام عنه، فلا يحكي نميمته.

وقد جاء أن رجلاً ذكر لعمر بن عبد العزيز رجلاً بشيء، فقال عمر: يا هذا إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنْهُ﴾ [الحجرات: ٦] وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنَمٍ﴾ [القلم: ١١] وإن شئت عفونا عنك.

فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبداً.

- ورفع إنسان رقعة إلى صاحب بن عباد رحمته يحثه فيها على أخذ مال يتيم وكان له مال كثير، فكتب على ظهر الرقعة:

النميمة قبيحة، وإن كانت صحيحة، والميت رحمه الله، واليتيم جبره الله والمال ثمرة الله، والساعي لعنه الله.

- وقال الحسن البصري: من نقل إليك حديثاً فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك.

- وهذا مثل قول الناس: من نقل عليك نقل عنك، فاحذره.

- وقال ابن المبارك: ولد الزنا لا يكتم الحديث.

أشار به إلى أن كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنا استنباطاً من قول الله تعالى: ﴿عُقِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ [القلم: ١٣] والزنيم: الدعي.

- وروي أن بعض السلف الصالحين زار أخاً له، وذكر له عن بعض إخوانه شيئاً يكرهه، فقال له: يا أخي أطلت الغيبة، وأتيتني بثلاث جنائيات: بغضت إلي أخي، وشغلت قلبي بسببه، واتهمت نفسك الأمانة.

- وجاء رجل إلى علي بن الحسن رحمتهما فقال: إن فلاناً شتمك، وقال عنك كذا وكذا فقال: اذهب بنا إليه فذهب -معه- وهو يرى أن ينتصر لنفسه، فلما وصل إليه قال: يا أخي إن كان ما قلت في حقك فغفر الله لي وإن كان ما قلت في باطلاً فغفر الله لك.

- وقيل في قوله تعالى: ﴿حَمَالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] يعني: امرأة أبي هب أنها كانت تنقل الحديث بالنميمة.

سمى النميمة حطباً؛ لأنها سبب العداوة، كما أن الحطب سبب لاشتعال النار.

- ويقال: عمل النمام أضر من عمل الشيطان؛ لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة.

حكاية

روي أن رجلاً رأى غلاماً يباع، وهو ينادى عليه: ليس به عيب إلا أنه نمام فقط فاستخف بالعيب واشتراه، فمكث -عنده- أياماً، ثم قال لزوجته سيده: إن سيدي يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى، وقال: إنه لا يحبك، فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه، فإذا نام فخذني الموسي واحلقي شعرات من تحت لحيته، واتركي الشعرات معك، فقالت في نفسها: نعم. واشتغل قلب المرأة، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها.

ثم جاء إلى زوجها، وقال: سيدي، إن سيدي -زوجتك- قد اتخذت لها صديقاً ومحباً غيرك ومالت إليه، وتريد أن تتخلص منك، وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن لر تصدقني فتناوم لها الليلة، وانظر كيف تحيي إليك، وفي يدها شيء تريد أن تذبحك به، وصدقه سيده.

فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسي لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها، فقال في نفسه: والله صدق الغلام بما قال.

فلما وضعت المرأة الموسي وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسي منها وذبحها به؛ فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه، فوقع القتال بين الفريقين، بشؤم ذلك العبد المشنوم.

فلذلك سمي الله النمام فاسقاً في قوله تعالى: ﴿يَتْلِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكَ فَاسِقٌ مِّنْهُمْ فَنَبِّئْهُمْ أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِهِمْ نَارٌ فَمَا تَصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ مُذْمُومِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

موعظة

يا من أسره الهوى، فما يستطيع له فكاًكاً ...

يا غافلاً عن التلف وقد أدركه إدراكاً

يا مغروراً بسلامته، وقد نصب له الموت إشراكاً ...

تفكر في ارتحالك، وأنت على حالك، فإن لم تبك فتباكى ...

بكيت فما تبكي شباب صباح	كفاك نذير الشيب فيك كفاك
ألم تر أن الشيب قد قام ناعياً	مكان الشباب الغض ثم نعاك
ألم تر يوماً مر إلا كأنه	بإهلاكه للهالكين عناك
ألا أيها الفاني وقد حان حينه	أتطمع أن تبقى فلست هناك
ستمضي ويبقى ما تراه كما ترى	فينساك ما خلفته هو ذاك
تموت كما مات الذين نسيهم	وتنسى ويهوي الحي بعد هواك
كأنك قد أقصيت بعد تقرب	إليك وإن باك عليك بكاك
كان الذي يحشو عليك من الثرى	يريد بما يحشو عليك رضاك
كان خطوب الدهر لم تجر ساعة	عليك إذ الخطب الجليل أتاك
ترى الأرض كم فيها رهون دفينة	غلقت فلم يقبل هن فكاكا

الكبيرة الثامنة والثلاثون رضا المطلق بالتحليل وطوعية المرأة المطلقة عليه ورضا الزوج المحلل به

- صح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لعن المحلل والمحلل له» رواه الترمذي، وصححه^(١).

قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم: منهم عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن عمر، وهو قول الفقهاء من التابعين.

ورواه الإمام أحمد في مسنده، والنسائي في سننه -أيضاً- بإسناد صحيح.

- وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «هو المحلل، لعن الله المحلل والمحلل له» رواه ابن ماجه بإسناد صحيح^(٢).

- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن المحلل، فقال: «لا، إلا نكاح رغبة، لا نكاح دلسة، ولا استهزاء بكتاب الله -عز وجل- حتى يذوق العسيلة» رواه أبو إسحاق الجوزجاني^(٣).

(١) سنن الترمذي (٣/٤١٩-٤٢٠).

(٢) ابن ماجه (١/٦٢٣).

(٣) قال شيخ الإسلام في (إقامة الدليل) ورواه ابن شاهين في غرائب السنن، والدلسة: من التدليس، وهو الكتمان والتغطية للعيوب، والمدايسة المخادعة، ويقال: فلان لا يدالسك، أي: لا يخادعك، ولا يخفي عليك الشيء، فكانه يأتيك به في الظلام، والدلس (بالتحريك): الظلمة. وذلك لأن من قصد التحليل فقد دلس مقصودة الذي يبطل العقد، وكتم النية الردية. بمنزلة المخادع المدلس الذي يكتم الشر ويظهر الخير.

وإسناد هذا الحديث جيد إلى إبراهيم بن إسماعيل، فإنه قد اختلف فيه ... إلى أن قال: قال أبو أحمد بن عدي: هو صالح في باب الرواية، ويكتب حديثه على ضعفه، وهذا الذي قاله ابن عدي: عدل من القول، فإن في الرجل ضعفاً لا محالة، وضعفه إنما هو من جهة الحفاظ وعدم الإتقان لا من جهة التهمة، وله عدة أحاديث بهذا الإسناد روى منها الترمذي وابن ماجه فمثل هذا يكتب للاعتبار به (٣/١٩٥) الفتاوى الكبرى.

- وجاء رجل إلى ابن عمر رضي الله عنه فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً، فتزوجها أخ له من غير مؤامرة منه، ليحلها لأخيه، هل تحل للأول؟ قال: (لا، إلا نكاح رغبة، كنا نعد هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ) صححه الحاكم على شرط البخاري ومسلم^(١).
- وأما الآثار عن الصحابة والتابعين:
- فقد روى الأثرم وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (لا أوتي بمحلل ولا محلل له إلا رجمتها).
- وسئل عمر بن الخطاب عن تحليل المرأة لزوجها فقال: (ذلك السفاح).
- وعن عبد الله بن شريك العامري قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنه وقد سئل عن رجل طلق ابنة عم له، ثم ندم ورغب فيها، فأراد أن يتزوجها ليحلها له فقال ابن عمر: (كلاهما زان، وإن مكثا عشرين سنة، أو نحو ذلك، إذا كان يعلم أنه يريد أن يحللها).
- وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه سأله رجل فقال: ابن عمي طلق امرأته ثلاثاً ثم ندم، فقال: (ابن عمك عصي ربه فأندمه، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجاً) فقال: كيف ترى في رجل يحللها؟ فقال: (من يخادع الله يخدعه).
- وقال ابراهيم النخعي: (إذا كان نية أحد الثلاثة: الزوج الأول، أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل، فنكاح الآخر باطل، ولا تحل للأول).
- قال الحسن البصري: (إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد).
- وقال سعيد بن المسيب -إمام التابعين- في رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول فقال: (لا تحل).
- ومن قال بذلك مالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان الثوري، والإمام أحمد.
- وقال إسماعيل بن سعيد: سألت الإمام أحمد عن الرجل يتزوج المرأة، وفي نفسه أن يحللها لزوجها الأول، ولم تعلم المرأة بذلك؟

(١) وأقره الذهبي (١٩٩/٢)

فقال: (هو محلل، وإذا أراد بذلك الإحلال فهو ملعون).

- ومذهب الشافعي ~~هذه~~: إذا شرط التحليل في العقد بطل العقد؛ لأنه عقد بشرط قطعه دون غايته فبطل كنكاح المتعة.

وإن وجد الشرط - قبل العقد - فالأصح الصحة.

وإن عقد كذلك ولم يشرط في العقد، ولا قبله: لم يفسد العقد.

وإن تزوجها على أنه إذا أحلها طلقها ففيه قولان:

أصحهما: أنه يبطل، ووجه البطلان: أنه شرط يمنع صحته دوام النكاح فأشبهه التأقيت وهذا هو الأصح عند الرافعي.

ووجه الثاني: أنه شرط فاسد قارن العقد، فلا يبطل كما لو تزوجها بشرط أن لا يتزوج عليها ولا يسافر بها والله أعلم.

فنسأل الله أن يوفقنا لما يرضيه، ويحببنا معاصيه، إنه جواد كريم غفور رحيم.

موعظة

لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها ... وأخرجوا قلوبهم بالنفر عن ظلام شكلها.

التقطوا أيام السلامة فغنموا ... وتلذذوا بكلام مولاهم فاستسلموا لأمره وسلموا.

وأخذوا مواهبه بالشكر وسلموا.

هجروا - في طاعته - لذيد الكرى ... وهربوا إليه من جميع الورى.

وآثروا طاعته إيثار من علم ودرى .. ورضوا فلم يعترضوا على ما جرى.

وباعوا أنفسهم، فباعوا نعم البيع وباعوا نعم الشراء.

سلموا إليه لما أسلموا الروح ... وخدموه والصدور لخدمته مشروح.

وقرعوا بابه، وإذا الباب مفتوح ... وواصلوا البكا فالجفن بالدمع مقروح.

وقاموا بالأسحار قيام من يبكي وينوح ... وصبروا على مقطعات الصوف ولبس

المسوح.

وراضوا أنفسهم، فإذا المذموم ممدوح ... تعرفهم بسيماهم، عليهم آثار الصدق تلوح.
قد عبقوا بنشر أنسه برائحة ارتياحهم تفوح.
من طيب الثنا روائح لهم بكل مكان تستنشق.
ممسكة النفحات إلا أنها وحشية لسواهم لا تعبق.

الكبيرة التاسعة والثلاثون

التصوير في الثياب والحيطان والحجر والدراهم وسائر الأشياء سواء كانت من شمع أو عجين أو حديد أو نحاس أو صوف أو غير ذلك والأمر بإتلافها

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِمًّا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

قال عكرمة: هم الذين يصنعون الصور.

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم» خرج في الصحيحين. (٥٤/٤)

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر، وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه، ثم تناول الستر فهتكه، وقال: «يا عائشة أشد الناس عذاباً - عند الله - يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله».

قالت: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين، خرج في الصحيحين^(١). (٥٤/٤)
الqram (بكسر القاف): وهو الستر، والسهوة (كالصفة) تكون بين يدي البيت (قيل: هي الطاق النافذ في الحائط).

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً، فتعذبه في جهنم» خرج في الصحيحين. (٥٥/٤)

- وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صور صورة في الدنيا كُلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ» خرج في الصحيحين كذلك. (٥٩٤)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟ فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة» خرج في الصحيحين. (٥٩٤)

(١) مختصر البخاري (٥٧/٤)، مختصر مسلم (٣٦٤).

- وعنه قال ﷺ: «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصر بهما، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق به يقول: إني وكلت بثلاثة: بمن جعل مع الله إلهاً آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصورين».

رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

عُنُق (بضم العين والنون): أي طائفة وجانب من النار. (٥٦/٤)

- وقال رسول الله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة» مخرج في الصحيحين [عن أبي طلحة]. (٥٥/٤)

- وفي سنن أبي داود عن علي بن أبي طالب ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة، ولا جنب، ولا كلب». (٥٦/٤)

وقال الخطابي رحمه الله تعالى: قوله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب، ولا صورة، ولا جنب» يريد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة، دون الملائكة الذين هم الحفظة؛ فإنهم لا يفارقون الجنب وغير الجنب.

وقد قيل: إنه لم يرد الجنب الذي أصابته الجنابة، فأخر الاغتسال إلى أوان حضور الصلاة؛ ولكنه الذي يجنب ولا يغتسل، يتهاون بالغسل ويتخذة عادة، فإن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد.

وفي هذا تأخير الاغتسال عن أول وقت وجوبه.

وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب من غير أن يمس ماء^(١).

وأما الكلب فهو أن يقتني كلباً لا لزرع، ولا لضرع، ولا صيد، فأما إذا اضطر إليه فلا حرج للحاجة إليه في بعض الأمور، أو لحراسة داره إذا اضطر إليه، فلا حرج عليه إن شاء الله^(٢).

(١) عزاه في المتفق إلى أبي داود والترمذي، وفي تصحيحه اختلاف بين أهل الصنعة، نقله الشوكاني (٢١٧/١)، وقد روى أحمد بإسناد رجاله رجال الصحيح عن أم سلمة قالت كان رسول الله ﷺ يجنب ثم يتب ثم ينام، كما في مجمع الزوائد (٢٧٥/١).

(٢) يعني على الأصح في مذهب الشافعي؛ لأنه في معنى الثلاثة المنصوص عليها، فيقاس عليها الوجه الثاني: المنع من اتخاذه، وهو مذهب الحنابلة للحديث الصحيح؛ ولأنه ليس في معنى المنصوص عليها فقد يحتمل اللص لإخراجه بشيء يطعمه إياه ثم يسرق المتاع وراجع: المهذب (٢٦١/١)، المغني (١٩١/٤)، فتح الباري (٥/٥).

وأما الصور فهي كل مصوّر من ذوات الأرواح، سواء كانت لها أشخاص منتصبية أو كانت محقوثة في سقف أو جدار، أو موضوعة في نمط، أو منسوجة في ثوب أو مكان، فإن قضية العموم تأتي عليه فليجتنب، وبالله التوفيق^(١).

- ويجب إتلاف الصور لمن قدر على إتلافها وإزالتها.

روى مسلم في صحيحه عن حيان بن حصين، قال: قال لي علي بن أبي طالب عليه السلام: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع صورة إلا طمسستها، ولا قبراً مشرقاً إلا سويته (٥٩٥)، فنسأل الله التوفيق لما يجب ويرضى، إنه جواد كريم.

(١) معالم السنن (٧٥/١) وفيه اختلاف ولعل مرجعه اختلاف النسخ.

الكبيرة الأربعون نشوز المرأة على زوجها

- قال الله تعالى: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَعْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]
قال الواحدي رحمه الله تعالى: النشوز - ههنا - معصية الزوج، وهو الترفع عليه بالخلاف.

وقال عطاء: هو أن لا تتعطر له وتمنعه نفسها، وتتغير عما كانت تفعله من الطواعية: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ بكتاب الله، وذكرهن ما أمرهن الله به، ﴿وَأَعْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ قال ابن عباس: هو أن يوليها ظهره - في الفراش - ولا يكلمها.
وقال الشعبي ومجاهد: هو أن يهجر مضاجعتها، فلا يضاجعها.

﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ ضرباً غير مبرح، وقال ابن عباس: أدباً مثل اللكزة^(١).
وللزواج أن يتلافى نشوز امرأته بما أذن الله له مما ذكره الله في هذه الآية ﴿فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ﴾ فيما يلتمس منهن ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ﴾ قال ابن عباس: فلا تتجنوا عليهن العلل.
- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح».

وفي رواية لها: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها، فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها، حتى يرضى عنها».
وفي رواية لها والنسائي: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح».
(٧٨/٣)

- وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا تقبل لهم صلاة، ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه، فيضع يده في أيديهم والمرأة الساخط عليها

(١) لكزه (بفتح اللام والكاف والزاي)، لكزاً: ضربه بجمع كفه في صدره. المعجم الوجيز (٥٦٣).

- زوجها حتى يرضى، والسكران حتى يصحو» رواه ابن حبان وابن خزيمة في صحيحهما.
(٧٩-٧٨/٣)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه» أخرجه البخاري.
(٧٧/٣)

ومعنى (شاهد): أي حاضر، غير غائب.

وذلك في صوم التطوع، فلا تصوم حتى تستأذنه؛ لأجل وجوب حقه وطاعته.

- وقال ﷺ: «لو كنت امرأةً أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

- وعن عمة حصين بن محصن وذكرت زوجها للنبي ﷺ فقال: «فكيف أنت له؟ فإنه جنتك ونارك» رواه أحمد والنسائي بإسنادين جيدين.
(٧٤/٤)

- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الله -تبارك وتعالى- إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغني عنه» رواه النسائي والبخاري بإسنادين: رواة أحدهما رواة الصحيح.
(٧٨/٣)

- وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أيا امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة» رواه ابن ماجه، والترمذي وحسنه، وصححه الحاكم^(١).
(٧٣/٣)

- وروي «أن أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعْلِها».

- وروي كذلك «أن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره لعنها كل ملك في السماء، وكل شيء مرت عليه غير الجن والإنس حتى ترجع».

- فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها، وتجتنب سخطه، ولا تمتنع منه متى أرادها لقول النبي ﷺ: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته؛ فلتأته وإن كانت على التنور» رواه الترمذي وقال: حديث حسن والنسائي وابن حبان في صحيحه.
(٧٨/٣)

(١) وأقره الذهبي (١٧٣/٤).

قال العلماء: إلا أن يكون لها عذر من حيض أو نفاس، فلا يحل لها أن تجيئه ولا يحل للرجل -أيضاً- أن يطلب ذلك منها في حال الحيض والنفاس، ولا يجامعها حتى تغتسل، لقول الله تعالى: ﴿فَاعْتَرِلُوا الْيَسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، أي: لا تقربوا جماعهن حتى يطهرن.

قال ابن قتيبة ﴿يَطْهُرْنَ﴾: ينقطع عنهن الدم، ﴿فَإِذَا تَطْهُرْنَ﴾: أي اغتسلن بالماء والله أعلم.

لما روي أن «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(١).

وفي حديث آخر: «لعن الله الذين يأتون النساء في محاشهن» رواه الطبراني من رواية عبد الصمد بن الفضل^(٢).

والنفاس مثل الحيض إلى الأربعين: فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا أراد إتيانها في حال الحيض والنفاس، وتطيعه فيما عدا ذلك.

- وينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج، فلا تتصرف في نفسها، ولا في ماله إلا بإذنه، وتقدم حقه على حقها، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها، وتكون مستعدة لمتعته بها، بجميع أسباب النظافة، ولا تفتخر عليه بجهلها، ولا تعيبه بقبح إن كان فيه.

- قال الأصمعي: دخلت البادية، فإذا امرأة حسناء لها بعل قبيح، فقلت لها: كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثل هذا؟

فقالت: اسمع يا هذا، لعله أحسن فيما بينه وبين الله خالقه فجعلني جزاءه ولعلي أسأت؛ فجعله عقوبتي.

- وقالت عائشة ~~رضي الله عنها~~: يا معشر النساء، لو تعلمن بحق أزواجهن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها.

(١) أعله المنذري بجهالة حكيم الأثرم والانقطاع بين أبي تيممة وأبي هريرة (٢٠١/٣).

(٢) قال المنذري: لا بأس به، لرأى فيه جرْحاً، ونقل المناوي عن الذهبي نحوه (١٠٢/٢).

- وروى أن «نساءكم في الجنة: كل ودود ولود، إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها، قالت: هذه يدي في يدك، لا أكتحل بغمض^(١) حتى ترضى».

- ويجب على المرأة -أيضًا- دوام الحياء من زوجها، وغض طرفها قدامه، والطاعة لأمره والسكوت عند كلامه، والقيام عند قدومه، والابتعاد عن جميع ما يسخطه، القيام معه عند خروجه، وعرض نفسها عليه عند نومه، وترك الخيانة له في غيبته في فراشه وماله وبيته.

ويجب عليها أن تحرص على طيب الرائحة وتعاهد الفم بالسواك وبالمسك والطيب ودوام الزينة بحضرته، وتركها لغيبته، وإكرام أهله وأقاربه، وترى القليل منه كثيرًا.

فصل

في فضل المرأة الطائعة لزوجها، وشدة عذاب العاصية

- ينبغي للمرأة الخائفة من الله تعالى أن تجتهد لطاعة الله وطاعة زوجها، وتطلب رضاه جهدها فهو جنتها ونارها.

- لقول النبي ﷺ: «أيما امرأة ماتت، وزجها عنها راضٍ دخلت الجنة» حسنه الترمذي وصححه الحاكم. (٧٣/٣)

- وفي الحديث أيضًا: «إذا صلت المرأة خمسها، وحضنت فرجها، وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت» رواه ابن حبان في صحيحه. (٧٣/٣)

- وروى أنه يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير في الهواء، والحيتان في الماء، والملائكة في السماء، والشمس والقمر ما دامت في رضا زوجها.

وأيما امرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وأيما امرأة كلحت في وجه زوجها فهي في سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه.

وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها؛ لعنتها الملائكة حتى ترجع.

(١) قال في الوجيز: ما اكتحل عيني بغمض (بضم فسكون): لراحم (٥٢٩).

- وقال النبي ﷺ: «اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء» وذلك بسبب قلة طاعتهن لله ورسوله، ولأزواجهن، وكثرة تبرجهن.

والتبرج: إذا أرادت الخروج لبست أفخر ثيابها، وتجملت وتحسنت، وخرجت تفتن الناس بنفسها، فإن سلمت هي بنفسها لم يسلم الناس منها.

- ولهذا قال النبي ﷺ: «المرأة عورة، وإنها إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان» رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح.

وأعظم ما تكون المرأة [قرباً] من الله ما كانت في بيتها.

- وفي الحديث أيضاً: «النساء عورة وإن المرأة لتخرج من بيتها، وما بها بأس، فيستشرفها الشيطان، فيقول: إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبته، وإن المرأة لتلبس ثيابها، فيقال: أين تريدن؟ فتقول: أعود مريضاً، أو أشهد جنازة، أو أصلي في مسجد، وما عبت امرأة ربها مثل أن تعبد في بيتها» رواه الطبراني، وإسناد هذه [الرواية] حسن. (١٣٦/١)

قوله: «فيستشرفها الشيطان» أي: يتصعب ويرفع بصره إليها ويهم بها؛ لأنها قد تعاطت سبباً من أسباب تسلطه عليها، وهو خروجها من بيتها.

فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها، وما التمسست المرأة رضا الله بمثل أن تقعد في بيتها، وتعبد ربها وتطيع بعلمها.

- وروي عن علي عليه السلام أنه قال لزوجته فاطمة رضي الله عنها: يا فاطمة، ما خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى الرجال ولا يروها.

- وكان علي عليه السلام يقول: ألا تستحيون! ألا تغارون! يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم، وينظرون إليها.

- وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال النبي ﷺ: «احتجبا منه» فقلنا: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا؟ فقال النبي ﷺ: «أفعميا وان أنتما؟! ألستما تبصرانه؟!» رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. (٥٧٩)

فكما أنه ينبغي للرجل أن يغض طرفه عن النساء، فكذلك ينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال كما تقدم من قول فاطمة رضي الله عنها: إن خير ما للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يروها.

فإن اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها، ولأجل حمام ونحوه مما لا بد لها منه، فلتخرج بإذن زوجها غير متبرجة في ملحفة وسخة وفي ثياب بيتهاء، وتغض طرفها في مشيتها، وتنظر إلى الأرض لا يميناً ولا شمالاً، فإن لم تفعل ذلك، وإلا كانت عاصية.

- وقد حكى أن امرأة كانت من المتبرجات في الدنيا، كانت تخرج من بيتها متبرجة، فماتت فرآها بعض أهلها في المنام، وقد وردت على الله - عز وجل - في ثياب رقاق، فهبت ريح فكشفتها فأعرض الله عنها، وقال: خذوا بها ذات الشمال إلى النار، فإنها كانت من المتبرجات في الدنيا.

- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخیل، يوشك أن يفارقك إلينا» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. (١٤٣)

فصل

وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه؛ فالزوج -أيضاً- مأمور بالإحسان إليها واللفظ بها والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره، وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقوله تعالى: ﴿وَعَايِشُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

ولقول النبي ﷺ: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوانٍ عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً.

ألا إن لكم على نساءكم حقاً، ولنساءكم عليكم حقاً، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن» رواه ابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. (٧٣/٣)

وقوله ﷺ: «غوان» أي: أسيرات، جمع عانية، وهي الأسيرة، شبه رسول الله ﷺ المرأة - في دخولها - تحت حكم الرجل بالأسير.

- وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله» رواه ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها.
(٤٢/٤)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم، خياركم لنسائهم» رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
(٧٢/٣)

- وجاء في الأثر: «أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه».

وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون)

- وقد روي أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه يشكو سوء خلق زوجته، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها، وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل راجعاً، وقال: إن كان هذا حال عمر مع شدة وصلابته، وهو أمير المؤمنين فكيف حالي؟ فخرج عمر فرآه مولياً عن بابه، فناده، وقال: ما حاجتك يا رجل؟

فقال: يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتي، واستطالتها عليّ فسمعت زوجتك كذلك فرجعت، وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟ فقال عمر: يا أخي إني احتملتها لحقوق لها عليّ؛ إنها طبخة لطعامي خبازة لحبزي، غسالة لثيابي، مرضعة لولدي، وليس ذلك كله بواجب عليها، ويسكن قلبي بها عن الحرام، فأنا احتملتها لذلك، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، وكذلك زوجتي، قال عمر: فاحتملها يا أخي، فإنها هي مدة يسيرة.

حكاية

وحكي أن بعض الصالحين كان له أخ في الله، وكان من الصالحين يزوره في كل سنة مرة، فجاء لزيارته فطرق الباب، فقالت امرأته: من؟ فقال: أخو زوجك في الله، جئت لزيارته، فقالت: راح يحتطب لا رده الله ولا سلمه، وفعل به وفعل، وجعلت تنمذم عليه، فبينما هو واقف على الباب وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسد وهو يسوقه بين يديه فجاء فسلم على أخيه ورحب به ودخل المنزل وأدخل الحطب، وقال للأسد: اذهب بارك الله فيك ثم أدخل أخاه والمرأة على حالها تنمذم وتأخذ بلسانها وزوجها لا يرد عليها، فأكل مع أخيه شيئاً ثم ودعه وانصرف وهو متعجب من صبر أخيه على تلك المرأة.

قال: فلما كان العام الثاني جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت امرأته: من بالباب؟ قال: أخو زوجك فلان في الله، فقالت: مرحباً بك وأهلاً وسهلاً اجلس فإنه سيأتي إن شاء الله بخير وعافية.

قال: فتعجب الرجل من لطف كلامها وأدبها، إذ جاء أخوه وهو يحمل الحطب على ظهره فتعجب أيضاً لذلك، فجاء فسلم عليه ودخل الدار وأدخله، وأحضرت المرأة طعاماً لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف فلما أراد أن يفارقه قال: يا أخي أخبرني عما أريد أن أسألك عنه قال: وما هو يا أخي؟

قال: العام الأول أتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تزدم كثيراً ورأيتك قد أتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الأسد، وهو مسخر بين يديك، ورأيت العام كلام المرأة لطيفاً ولا تنمذم، ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب؟

قال: يا أخي توفيت تلك المرأة الشرسة، وكنت صابراً على خلقها وما يبدو منها، كنت معها في تعب وأنا أحتملها كأف الله قد سخر لي الأسد الذي رأيت يحمل عني الحطب بصبري عليها، واحتالي لها، فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة، وأنا في راحة معها، فانقطع عني الأسد فاحتجت أن أحمل الحطب على ظهري لأجل راحتني مع هذه المرأة المباركة الطائعة.

فنسأل الله أن يرزقنا الصبر على ما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

الكبيرة الحادية والأربعون الديانة والقيادة بين الرجال والنساء

- قال تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣].

أفادت هذه الآية: أن الفاسق الخبيث -الذي من شأنه الزنا والفسق- لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء، وإنما يرغب في فاسقة خبيثة مثله أو في مشركة، والفاسقة الخبيثة لا يرغب في نكاحها الصالحاء من الرجال، وإنما يرغب فيها الفسقة والمشركون^(١).

وأفادت تحريم نكاح الزانية؛ لأن الله أخبر أن من نكحها فهو إما زان أو مشرك، فإنه إما أن يلتزم حكمه سبحانه ويعتقد وجوبه عليه أو لا، فإن لم يلتزمه ولم يعتقد أنه مشرك، وإن التزمه واعتقد وجوبه وخالفه فهو زان، ثم صرح بتحريمه فقال: ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣]^(٢).

- عند عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه والديوث، ورجلة النساء» إسناده صحيح، رواه النسائي، والبزار وصححه الحاكم^(٣).
(١٠٦/٣)

- وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا: الديوث والرجلة من النساء ومدمن الخمر» قالوا: يا رسول الله، أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟ قال: «الذي لا يبالي من دخل على أهله».

قلنا: فما الرجلة من النساء؟ قال: «التي تشبه بالرجال» رواه الطبراني، ورواته ليس فيهم مجروح.

(١) أفاد الرازي ونقله في صفة التفسير (٩٢٢).

(٢) قرره ابن القيم في زاد المعاد (٧/٤).

(٣) وأقره الذهبي (٧٢/١)، ونقله المناوي (٣٢٧/٣)، ونقل تصحيحه عنه في الكبائر أيضًا، وهو في الكبائر وتبيين المحارم (١٠١/١٠٠).

- وقال المصنف رحمه الله تعالى: فمن كان يظن بأهله الفاحشة، ويتغافل لمحبتة فيها أو لأن لها عليه دينًا وهو عاجز أو صداقًا ثقیلاً، أو له أطفال صغار فترفعه إلى القاضي وتطلب فرضهم، فهو دون من يعرس عليها، ولا خير فيمن لا غيرة له [والقَوَّادة التي لا تزال بالحرّة حتى تصير بغياً، عليها وزران]، فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة، إنه جواد كريم.

موعظة

أيها المشغول بالشهوات الفانيات... متى تستعد لمات آت؟
حتى متى لا تجتهد في لحق القوافل الماضية؟
أتطمع وأنت رهين الوساد في لحاق السادات؟... هيهات هيهات هيهات.
يا آملاً في زعمه اللذات... احذر هجوم هازم اللذات، احذر مكائده، فهي كوامن في عدة الأنفاس واللحظات.

تمضي حلاوة ما كنتمت وبعدها تبقى عليك مرارة التبعات
يا حسرة العاصين يوم معادهم لو أنهم سبقوا إلى الجنات
لو لم يكن إلاّ الحياء من الذي ستر العيوب لأكثروا الحسرات

يا من صحيفته بالذنوب قد حُفَّت.. وموازينه بكثرة الذنوب قد خَفَّت.

أما رأيت أكفاء عن مطامعها كفت؟.. أما رأيت عرائس آحاد إلى اللحد قد زفت؟

أما عانيت أبدان المترفين، وقد أدرجت في الأكفان ولُفَّت؟

أما عانيت طور الأجسام في الأرحام؟

ومتى تنتبه لخلاص نفسك أيها الناعس؟

متى تعتبر بربع غيرك الدارس؟.. أين الأكاسرة الشجعان الفوارس؟

وأين المنعمون بالجوارى والطباء الخنس الكوانس؟

أين المتكبرون ذوو الوجوه العوايس؟

أين من اعتاد سعة القصور؟.. حبس في القبور في أضيق المحابس.

أين الرافل في أثوابه؟ عرى في ترابه عن الملابس.
أين الغافل في أمله وأهله؟.. عن أجله سلبته أكف الخالس^(١).
أين جامع الأموال؟.. سلب المحروس وهلك الحارس.
حق لمن علم مكر الدنيا أن يهجرها.. ولمن جهل نفسه أن يزرها.
ولمن تحقق نقلته أن يذكرها.. ولمن غمر بالنعماء أن يشكرها.
ولمن دعا إلى دار السلام أن يقطع مفاوز الهوى ليحضرها.

(١) الخلس: الأخذ في نهضة ومخاطلة، والمراد الموت الذي يخلص الإنسان روحه (اللسان).

الكبيرة الثانية والأربعون قذف المحصنات

- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٢٣ ﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [النور: ٢٣-٢٤].

- وقال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٤].

بيّن الله تعالى أن من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة أنه ملعون في الدنيا والآخرة، وله عذاب عظيم، وعليه في الدنيا الحد ثمانون جلدة، وتسقط شهادته، وإن كان عدلاً.

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات...» فذكر منها: «قذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

- والقذف: أن يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة: يا زانية، أو يا باغية، أو يا قحبة، أو يقول لزوجها: يا زوج القحبة، أو يقول لولدها: يا ولد القحبة، أو يا ابن القحبة، أو يقول لبنتها: يا بنت الزانية، أو يا بنت القحبة؛ فإن القحبة عبارة عن الزانية.

- فإذا قال ذلك أحد من رجل أو امرأة لرجل أو امرأة، كمن قال لرجل: يا زاني، أو قال لصبي حر: يا علق، أو يا منكوح وجب عليه الحد ثمانون جلدة، إلا أن يقيم بينة بذلك.

والبينه - كما قال الله - أربعة شهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة، أو ذاك الرجل، فإن لم يقيم بينة جلده إذا طالبته بذلك التي قذفها، أو إذا طالبه بذلك الذي قذفه.

- وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريته؛ بأن قال لمملوكه: يا زاني، أو لجاريته: يا زانية، أو يا باغية، أو يا قحبة.

لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال»

(٢٨٩/٣)

- وكثير من الجهال واقعون في هذا الكلام الفاحش الذي عليهم فيه العقوبة في الدنيا والآخرة.

- ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»؛ قوله: «ما يتبين فيها»، أي: ما يتفكر هل هي خير أو شر؟، و«يزل»: يهوي.

- وعن عبد الله بن مسعود س قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أكثر خطأ ابن آدم في لسانه» رواه الطبراني، ورواه رواية الصحيح، وأبو الشيخ في الثواب، والبيهقي بإسناد حسن. (٨/٤)

- وفي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً، أو ليصمت» متفق عليه. (٥٣٢)

- وعن ثوبان ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن ملك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته» رواه الطبراني في الأوسط والصغير وحسن إسناده. (٣/٤)

- وعن ابن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذي» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. (٥٥٣)

والفاحش: ذو الفحش والخنأ من قول وفعل، وهو كل ما يشتد قُبْحُه من الذنوب والمعاصي.

والبذي: هو الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام.

وقانا الله وإياكم شر أَلَسْتَنَا بَمَنْه وكرمته إنه جواد كريم.

فائدة:

قال المصنف في الصغرى: وأما من قذف أم المؤمنين عائشة ~~رضي~~ بعد نزول براءتها من السباء، فهو كافر مكذب للقرآن؛ فيقتل^(١).

(١) هذه الفائدة زيادة من الكبائر وتبين المحارم (٨٣).

الكبيرة الثالثة والأربعون

اللعن

- قال النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود. (٥٥٦)
- وقال ﷺ: «لعن المؤمن كقتله» رواه البخاري ومسلم. (٥٥٣)
- وفي صحيح مسلم عن أبي الدرداء ؓ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يكون اللعانون شفعاء، ولا شهداء يوم القيامة».
- وفيه أيضًا: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام: «لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا».
- وعن ابن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذي» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. (٥٥٣)
- وعن أبي الدرداء ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا لعن شيئًا سعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض، فتغلق أبوابها، ثم تأخذ يمينًا وشمالًا، فإذا لم تجد مساعًا، رجعت إلى الذي لعن فإن كان أهلًا لذلك، وإلا رجعت إلى قائلها» رواه أبو داود. (٥٥٣)
- وقد عاقب النبي ﷺ من لعنت نأقتها بأن سلبها إياها.
- قال عمران بن حصين: (بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقه فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «خذوا ما عليها، ودعوها فإنها ملعونة».
- قال عمران: فكأنني أراها الآن تمشي بين الناس ما يعرض لها أحد) رواه مسلم. (٥٥٤)
- وعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «إن أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه» رواه البزار بإسنادين أحدهما قوي.
- وعن عمرو بن قيس، قال: إذا ركب الرجل دابته قالت: اللهم اجعله بي رفيقًا رحيماً فإذا لعنها قالت: على أعصانا لله ورسوله لعنة الله عز وجل.

فصل

في جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين المعروفين

- قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]
- وقال: ﴿ثُمَّ نَبْهِلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].
- وثبت عن رسول الله ﷺ أنه: «لعن آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه» رواه مسلم. (٤٩/٣)
- وأنه قال: «لعن الله المحلل والمحلل له» رواه ابن ماجه بإسناد صحيح.
- وأنه: «لعن الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (١١٤/٣)
- و(الواصلة): هي التي تصل شعرها؛ و(المستوصلة): هي التي يوصل لها.
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لعنت الواصلة والمستوصلة والمتنمصة والواشمة من غير داء. رواه أبو داود وغيره. (١١٤/٣)
- و(النامصة): هي التي تنتف الشعر من الحاجبين، و(المتنمصة): التي يُفَعَلُ بها ذلك.
- وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ: «لعن الخامسة وجهها، والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثبور»^(١) رواه ابن ماجه، وابن حبان في صحيحه. (١٧٩/٤)
- وعن أبي موسى أنه ﷺ: «لعن من حلق، أو خرق، أو سلق» رواه أحمد والنسائي^(٢).
- قوله (من حلق): أي رأسه، أو لحيته لمصيبة، (أو سلق) بالتخفيف، أي: رفع صوته بالعويل والندب، (أو خرق)، أي: ثوبه^(٣).

(١) قال في الزوائد: إسناده صحيح (١/٥٠٥).

(٢) أحمد (٤/٤٠٥)، والنسائي (٤/٢١) وقد ذكر الذهبي هذا الحديث في أصل الكتاب بلفظ أنه صلى الله عليه وسلم لعن الصالقة والحالقة والشاقة. وكأنه -رحمه الله- ذكر الحديث بالمعنى.

(٣) وكل هذه الأفعال مشعرة بعدم الرضا بالقضاء والسخط فامتنعت لذلك (٢/١٧١) إحكام الأحكام.

- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ملعون من سب أباه، ملعون من سب أمه، ملعون من ذبح لغير الله، ملعون من غيّر تخوم الأرض، ملعون من كمه أعمى عن طريق، ملعون من وقع على بهيمة، ملعون من عمل بعمل قوم لوط» خرّجه الإمام أحمد^(١).
- [وأنه ﷺ قال: «لعن الله العاق لوالديه» رواه الطبراني، وصححه الحاكم^(٢) وإسناده حسن].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعون من أتى امرأته في دبرها» خرّجه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه^(٣).

- ولعن النائحة ومن حولها:

فعن أبي سعيد الخدري قال: لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة. رواه أبو داود وليس في إسناده من ترك.
(١٧٧/٤)

- ولعن السارق:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لعن الله السارق: يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده».

قال الأعمش: (كانوا يرون أنه بيض الحديد، والحبل: كانوا يرون أن منها ما يساوي دراهم) رواه البخاري ومسلم وأحمد^(٤).

- ولعن من سب الصحابة:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، لعن الله من سب أصحابي» رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير علي بن سهل وهو ثقة^(٥).

(١) قال الشيخ شاكر (٣/٢٦٦): إسناده صحيح.

(٢) المستدرک (٤/١٥٣).

(٣) مختصر السنن (٣/٧٧-٧٩).

(٤) نيل الأوطار (٧/١٢٤).

(٥) مجمع الزوائد (١٠/٢١).

- ولعن المخثن من الرجال والمترجلات من النساء، وراكب الفلاة وحده:
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله ﷺ مخثني الرجال الذين يتشبهون بالنساء، والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال، وراكب الفلاة وحده) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا طيب بن محمد، وفيه مقال، والحديث حسن. (١٠٦/٣)
- ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال:
فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) رواه البخاري وغيره. (١٠٥/٣)
- ولعن المرأة تلبس لبسة الرجل، والرجل يلبس لبسة المرأة:
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل) رواه أبو داود بإسناد صحيح. (٥٨١)
- ولعن من سل سخيمته على الطريق، يعني: يتغوط على طريق الناس:
فعن حذيفة بن أسيد أن النبي ﷺ قال: «من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم» رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن. (٨٣/١)
- ولعن من أشار إلى أخيه بحديدة:
فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي، وإن كان أخاه لأبيه وأمه» رواه مسلم. (٢٩١/٣)
- ولعن مانع الصدقة، يعني: الزكاة:
فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (آكل الربا وموكله وشاهده، إذا علماه، والواشمة والموتشمة، ولاوي الصدقة، والمترد أعرابياً بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد ﷺ يوم القيامة) رواه ابن خزيمة^(١).
- ولعن من أخفر مسلماً، يعني: خذله ولم ينصره، ومن انتسب إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه:

(١) صحيح ابن خزيمة (٨/٤)، قال الشيخ ناصر: إسناده حسن لغيره.

فعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً ولا صرفاً».

«ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً ولا صرفاً» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٨٨/٣)

- ولعن من كوى دابة في وجهها:

فعن ابن عباس رضيهما: أن النبي ﷺ مر على حمار قد وسم في وجهه، فقال: «لعن الله الذي وسمه في وجهه» رواه مسلم.

ورواه الطبراني بإسناد جيد، مختصراً أن رسول الله ﷺ: «لعن من يسم الوجه».

(٦٥/٣)

- ولعن المرأة إذا باتت هاجرة فراش زوجها حتى ترجع، ولعنها إذا باتت وزوجها عليها ساخط:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت، فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح» رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

(٧٨/٣)

- لعن المرأة إذا خرجت بغير إذن زوجها:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المرأة إذا خرجت من بيتها، وزوجها كاره، لعنها كل ملك في السماء، وكل شيء مرت عليه، غير الجن والإنس، حتى ترجع» رواه الطبراني في الأوسط^(١) ورواه ثقات إلا سويد بن عبد العزيز.
(٧٩/٣)

- ولعن تارك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إذا أمكنه:

(١) قال الهيثمي (٣/١٣٠): وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك، وقد وثقه دحيم وغيره، وبقيّة رجاله ثقات.

فعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إن من كان قبلكم من بني إسرائيل إذا عمل فيهم العامل الخطيئة فنهاه الناهي تعذيراً، فإذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه كأنه لم يره على خطيئة بالأمس؛ فلما رأى الله تعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم؛ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر، ولتأخذن على أيدي المسيء، ولتأطرنه على الحق أطراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ويلعنكم كما لعنهم» رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح^(١). قوله: «لتأطرنه»، أي: تعطفوه عليه.

- ولعن الوالي إذا لم يكن فيه رحمة:

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ على بيت فيه نفر من قريش، فأخذ بعضادتي الباب، فقال: «هل في البيت إلا قرشي؟»، فقالوا: لا إلا ابن أخت لنا، قال: «ابن أخت القوم منهم»، ثم قال: «إن هذا الأمر في قريش ما إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا قسموا أقسطوا، ومن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» رواه الطبراني في الأوسط، ورواته ثقات. (١٥٥/٣)

- ولعن الشافع والمشفع في حد من حدود الله إذا بلغ الحاكم:

فروى عن عروة بن الزبير عن أبيه قال: لقي الزبير سارقاً، فشفع فيه، ف قيل له: حتى تبلغه الإمام.

فقال: (إذا بلغ الإمام فلعن الله الشافع والمشفع كما قال رسول الله ﷺ) رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه أبو غزية محمد بن موسى الأنصاري ضعّفه أبو حاتم وغيره، وعبد الرحمن بن أبي الزناد ضعيف^(٢).

- ولعن الراشي والمرتشي في الحكم، والرائش يعني: الساعي بينهما:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي في الحكم)

(١) مجمع الزوائد (٧/٢٦٩).

(٢) مجمع الزائد (٦/٢٥٩) قال الحافظ: وهو عند ابن أبي شيبة بسند حسن عن الزبير موقوفاً (١٢/٧٢) فتح الباري.

رواه الترمذي وحسنه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم، وزادوا: «... والرائش».

(١٤٣/٣)

- ولعن ناكح الأم وابنتها:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ملعون من جمع بين امرأة وابنتها» رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح إلا محرز بن هارون التيمي... قد حسن له الترمذي، ومشاه بعضهم.

وروى الإمام أحمد بسند صحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل فقال: يا محمد إن الله لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومبتاعها، وساقها، ومسقاها» وصححه ابن حبان، والحاكم^(١).

- ولعن المصورين:

فعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: (نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب وثنم الدم، ونهى عن الواشمة والموشومة، وأكل الربا وموكله، ولعن المصور) خرّجه البخاري^(٢).

- ولعن من كتم العلم:

ففي التنزيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَاهْتَدَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مَا يَبْنِيهِ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

- ولعن المتبتلين من الرجال؛ الذين يقولون: لا تزوج، والمتبتلات من النساء، ولعن - راكب القلاة وحده:

فعن أبي هريرة قال: (لعن رسول الله ﷺ خثي الرجال؛ الذين يتشبهون بالنساء، والمترجلات من النساء المتشبهين بالرجال، والمتبتلين من الرجال؛ الذين يقولون: لا

(١) رواه الحاكم (٣٦/١) وصححه وأقره الذهبي، لكنه أعلاه (٩٠/٤) بعبد الله بن وهب، ولم يحتج به أحد، قال: والحديث وإبصرة اه وخرّجه الترمذي (٤٥٧/٤)، ورجح إرساله.

(٢) صحيح البخاري (٧٨/٣).

تنزوح، والمتبتلات من النساء؛ اللاتي يقلن ذلك، وراكب الفلاة وحده، فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ حتى استبان ذلك في وجوههم، وقال: «والبائت وحده» رواه الإمام أحمد^(١).

نعوذ بالله من لعنته ولعنة رسوله^(٢).

فصل

- اعلم أن لعن المسلم المصون حرام بإجماع المسلمين، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك: لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين، لعن الله اليهود والنصارى، لعن الله الفاسقين، لعن الله المصوّرين، ونحو ذلك مما تقدم.

- وأما لعن إنسان بعينه ممن اتصف بشيء من المعاصي؛ كيهودي، أو نصراني، أو ظالم، أو زان، أو سارق، أو آكل الربا؛ فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام، وأشار الغزالي رحمه الله إلى تحريمه إلا في حق من علمنا أنه مات على الكفر؛ كأبي لهب، وأبي جهل، وفرعون، وهامان، وأشباههم.

قال: وأما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم كما قال: «اللهم العن رعلًا وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله^(٣)» وهذه ثلاث قبائل من العرب فيجوز أنه ﷺ علم موتهم على الكفر.

(١) المسند (١٥/١٠)، قال الشيخ شاکر: إسناده صحيح.

(٢) وقد ذكر الإمام الذهبي أنه ﷺ لعن من أمّ قومًا وهم له كارهون، ولعن رجلًا سمع حي على الصلاة حي على الفلاح، ثم لم يجب.

ولعله استند إلى ما أخرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك: (لعن رسول الله ﷺ ثلاثة: رجل أمّ قومًا وهم له

كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، ورجل سمع حي على الفلاح ثم لم يجب).

لكن ضعفه ورجّح إرساله فقال: حديث أنس لا يصح؛ لأنه قد روي هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسل، (٢/١٩١-١٩٢).

وذكر كذلك لعن السلطاء، قال: والمرأة السلطاء التي لا تحضب يدها والمرأة المرهأ التي لا تكتحل.

لكن لم أجد مستندًا لذلك، ولعل الله يهدينا للوصول إليه.

(٣) صحيح مسلم (١/٤٦٧-٤٧٠).

قال: وَيَقْرَبُ مِنَ اللَّعْنِ الدُّعَاءُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِالْشَّرِّ حَتَّى الدُّعَاءُ عَلَى الظَّالِمِ؛ كَقَوْلِ الْإِنْسَانِ: لَا أَصْحَ اللَّهُ جِسْمَهُ، وَلَا سَلَّمَهُ اللَّهُ، وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ وَكُلْ ذَلِكَ مَذْمُومٌ.

وَكَذَلِكَ لَعْنُ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْجَمَادَاتِ فَهَذَا كُلُّهُ مَذْمُومٌ.

قال بعض العلماء: مَنْ لَعَنَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ اللَّعْنَ فَلْيَادِرْ بِقَوْلِهِ: إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَا يَسْتَحِقُّ.

فصل

وَيَجُوزُ لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ وَكُلِّ مُؤَدِّبٍ أَنْ يَقُولَ لِمَنْ يَخَاطَبُهُ فِي ذَلِكَ: وَيْلَكَ، أَوْ يَا ضَعِيفَ الْحَالِ، أَوْ يَا قَلِيلَ النَّظَرِ لِنَفْسِهِ، أَوْ يَا ظَالِمَ نَفْسِهِ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يَتَجَاوَزُ إِلَى الْكُذْبِ وَلَا يَكُونُ فِيهِ لَفْظٌ قَذْفٌ صَرِيحٌ كَانَ، أَوْ كُنَايَةً أَوْ تَعْرِيفًا وَلَوْ كَانَ صَادِقًا فِي ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَجُوزُ مَا قَدَمْنَاهُ، وَيَكُونُ الْغَرَضُ مِنْهُ التَّأْدِيبُ وَالزَّجْرُ، وَلِيَكُونَ الْكَلَامُ أَوْقَعَ فِي النَّفْسِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ نَزِّهْ قُلُوبَنَا عَنِ التَّلَوُّقِ بِمَنْ دُونِكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ قَوْمٍ تَحِبُّهُمْ وَيَحِبُّونَكَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.

موعظة

يَا قَلِيلَ الزَّادِ وَالطَّرِيقِ بَعِيدِ...

يَا مُقْبِلًا عَلَى مَا يَضُرُّ... تَارِكًا لِمَا يَنْفَعُ

أَتَرَأَى يَخْفَى عَلَيْكَ الْأَمْرَ الرَّشِيدَ؟

إِلَى مَتَى تَضِيعُ الزَّمَانُ، وَهُوَ يَحْصِي بِرَقِيبٍ وَعَتِيدٍ؟

مَضَى أَمْسُكَ الْمَاضِي شَهِيدًا^(١) مَعْدَلًا وَأَعْقَبَهُ يَوْمٌ عَلَيْكَ شَهِيدًا^(٢)

فَإِنْ كُنْتَ بِالْأَمْسِ اقْتَرَفْتَ إِسَاءَةً فَبَاذِرْ بِإِحْسَانٍ وَأَنْتَ حَمِيدٌ

وَلَا تَبْقُ فَضْلُ الصَّالِحَاتِ إِلَى غَدٍ فَرُبَّ غَدٍ يَأْتِي وَأَنْتَ فَاقِدٌ

إِذَا مَا الْمَنَاسِبُ أَخْطَأَتْكَ وَصَادَفَتْ حَمِيمَكَ^(٣) فَاعْلَمْ أَنَّهَا سَتَعُودُ

(١) شهيد (في الموضعين) بمعنى: شاهد عليك.

(٢) الحميم: القريب الذي تودّه، ويودّك.

الكبيرة الرابعة والأربعون تبرؤ الإنسان من نسبه

- عن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ادعى إلى غير أبيه - وهو يعلم أنه غير أبيه - فالجنة عليه حرام» رواه البخاري.
(٨٧/٣)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر» رواه البخاري^(١).

- وعن يزيد بن شريك قال: رأيت علياً رضي الله عنه على المنبر يخطب فسمعتة يقول: لا والله ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله، وما في هذه الصحيفة، فنشرها، فإذا فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات، وفيها قال رسول الله ﷺ: «المدينة حرم ما بين غيري إلى ثور فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً ولا صرفاً، ومن ادعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً ولا صرفاً» رواه البخاري.
(٨٨/٣)

- وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليس من رجل ادعى لغير أبيه - وهو يعلم - إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه»، أي: رجع عليه رواه مسلم.
(٨٨/٣)

فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

(١) صحيح البخاري (٨/١٩٤).

الكبيرة الخامسة والأربعون عقوق الوالدين

- قال الله تعالى: ﴿وَقَصَىٰ رُبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾، أي: برًّا وشفقة وعطفًا عليهما: ﴿إِمَّا يَبْتَغَِنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] [أي: قد أوصيناك بهما، وبخاصة إذا كبرا، أو كبر أحدهما، وإنما خص حالة الكبر؛ لأنها حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما، ومعنى ﴿عِنْدَكَ﴾، أي: في كنفك وكفالتك، ﴿فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفْ﴾، أي: لا تقل للوالدين أقل كلمة تُظْهِر الضجر؛ ككلمة أف، ولا تسمعهما قولًا سيئًا حتى ولو بكلمة التأفif ﴿وَلَا تَبْهَرُهُمَا﴾، أي: لا تزجرهما بإغلاظ فيما لا يعجبك منهما^(١).

وينبغي أن تتولى خدمتهما ما توليا من خدمتك على أن الفضل للمتقدم، وكيف يقع التساوي؟ وقد كانا يحملان أذاك راجين حياتك، وأنت إن حملت أذاهما رجوت موتها.

ثم قال تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، أي: لينًا لطيفًا، ﴿وَآخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

- وقال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤].

فانظر -رحمك الله- كيف قرن شكرهما بشكره؟

- قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا تقبل واحدة بغير قرينتها:

إحداها: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [محمد: ٣٣].

فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه.

(١) صفوة التفسير (٧٤١).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْ لَدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه)

ولذا قال النبي ﷺ: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد»، صححه الحاكم على شرط مسلم^(١). (٢١٨/٣)

- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى نبي الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أحیی والدك؟» قال: نعم، قال: «فيهما فجاهد» مُحَرَّجٌ فِي الصَّحِيحِينَ. (٢١٣/٣)

فانظر كيف فَضَّلَ بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد؟

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِكَبَرِ الْكِبَائِرِ؟ الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ». (١٦٠)

فانظر كيف قرن الإساءة إليهما وعدم البر والإحسان بالإشراك؟

- وفي سنن النسائي وغيره بإسناد جيد أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُ لَوَالِدَيْهِ، وَمَدْمَنُ الْخَمْرِ، وَالْمَنَانُ عَطَاءَهُ». (٢٢٠/٣)

- وفي مستدرك الحاكم^(٢) قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْعَاقَ لَوَالِدَيْهِ» وإسناده حسن.

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ الْكِبَائِرُ شَتَمَ الرَّجُلَ وَالِدَيْهِ» قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه». (٢٢١/٣)

- ومن بر الوالدين أن ينفق عليهما إذا احتاجا:

- فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي مالا وولداً، وإن أبي يريد أن يجتاح مالي، فقال: «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ» رواه ابن ماجه، وقال في الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات على شرط البخاري^(٣).

(١) ووافقه الذهبي (١٥٢/٤).

(٢) المستدرك (١٥٣/٧).

(٣) سنن ابن ماجه (٧٦٩/٢).

- وجاء رجل إلى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال: يا أبا الدرداء إني تزوجت امرأة، وإن أُمي تأمرني بطلاقها.

فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضغ ذلك الباب أو احفظه» رواه الترمذي والحاكم^(١)، وصحاحه. (٢١٤/٣)

- وعن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت رمضان، مالي؟)

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من مات على هذا كان مع النبيين، والصديقين، والشهداء يوم القيامة هكذا ونصب أصبعيه ما لم يعق والديه» رواه أحمد، والطبراني بإسنادين أحدهما صحيح. (٢٢١/٣)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث دعوات لا شك في إجابتهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده» رواه الترمذي وحسنه. (٢٧٧/٢)

- ورؤي مرفوعاً: «كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات»^(٢).

- وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن أصحاب الأعراف: من هم؟ وما الأعراف؟ فقال: (أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار، وإنما سمي الأعراف؛ لأنه مشرف على الجنة والنار، وعليه أشجار وثمار وأنهار وعيون.

وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا في الجهاد، فمنعهم القتل في سبيل الله من دخول النار، ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة فهم على الأعراف حتى يقضي الله فيهم أمره).

- وقال كعب الأحبار رحمه الله: (إن الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقاً لوالديه ليعجل

(١) وصححه وأقره الذهبي (١٥٢/٤).

(٢) أخرجه الحاكم (١٥٦/٤)، وفي إسناد بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة، قال الذهبي: ضعيف.

- له العذاب، وإن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان بارًّا بوالديه ليزيده برًّا وخيرًا).
- وعن وهب بن منبه قال: (إن الله تعالى أوحى إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه: يا موسى وقّر والديك، فإن من وقّر والديه مددت في عمره، ووهبت له ولدًا يوقره، ومن عَقّ والديه قصرت في عمره ووهبت له ولدًا يعقه).
 - وقال أبو بكر بن أبي مريم: قرأت في التوراة (أن من يضرب أباه يُقتل).
 - وقال وهب: قرأت في التوراة (على من صك والده الرجم).
 - ورؤي أنه من شتم والديه ينزل عليه في قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء إلى الأرض.
 - ويروى أنه إذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه فأشد الناس عذابًا يوم القيامة ثلاثة: المشرك، والزاني، والعاق لوالديه.
- فائدة:

سُئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين، وما هو؟
قال: إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يرّ قسمهما، وإذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما، وإذا سألاه شيئًا لم يعطها، وإذا ائتمناها خانها.

خصوصية الأم

- في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟
 - قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أبوك».
- (١٥٣)

- فحضر على بر الأم ثلاثة مرات، وعلى بر الأب مرة واحدة.
- وما ذاك إلا لأن عناها أكثر وشفقتها أعظم، مع ما تقاسيه من حمل وطلق وولادة، ورضاعة، وسهر ليل.
- وعن معاوية بن جاهمة، أن جاهمة أتى النبي ﷺ فقال: إني أردت أن أغزو وجئت

أستشيرك، فقال: «ألك والدة؟» قال: نعم.

قال: «اذهب فألزمها فإن الجنة عند رجليها» خرّجه الحاكم في المستدرک وصححه^(١).

(٢١٤/٣)

- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: (أن امرأة: قالت: يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وحجري له حواء، وثديي له سقاء، وزعم أبوه أنه ينزعه مني فقال: «أنت أحق به ما لم تنكحي» رواه أحمد، وأبو داود، والبيهقي، والحاكم^(٢) وصححه^(٣).

- وقال رضي الله عنه: «الخالة بمنزلة الأم» خرّجه أحمد، والبخاري، ومسلم^(٤)، أي: في البر، والإكرام، والصلة، والإحسان.

- ورأى ابن عمر رجلاً قد حمل أمه على رقبتة وهو يطوف بها حول الكعبة فقال: يا ابن عمر أتراني جازيتها، قال: ولا بطلقة واحدة من طلاقاتها، ولكن قد أحسنت، والله يثيبك على القليل كثيرًا.

- وقال بشر: ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها إلا كان أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله.

والنظر إليها أفضل من كل شيء.

فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه، وأن يمجّننا سخطه إنه جواد كريم رءوف رحيم.

(١) ووافقه الذهبي (١٥١/٤).

(٢) نيل الأوطار (٣٦٨/٦).

(٣) ووافقه الذهبي (٢٠٧/٢).

(٤) نيل الأوطار (٣٢٨/٦).

موعظة

أيها المضيع لآكد الحقوق، المعتاض من بر الوالدين بالعقوق..
الناسي لما يجب عليه، الغافل عما بين يديه: بر الوالدين عليك دين..
وأنت تتعاطاه باتباع الشَّين^(١)، تطلب الجنة بزعمك، وهي تحت أقدام أمك..
حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج..
وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج..
وأرضعتك من ثديها لبنًا، وأطارت لأجلك وسنًا..
وغسلت يمينها عنك الأذى وأثرتك على نفسها بالغذاء..
وصيرت حجرها لك مهدًا، وأنالتك إحسانًا ورَفدًا^(٢)..
فإن أصابك مرض أو شكاية، أظهرت من الأسف فوق النهاية..
وأطالت الحزن والنحيب، وبذلت مالها للطبيب..
ولو خُيرت بين حياتك وموتها، لطلبت حياتك على موتها..
هذا وكما عاملتها بسوء الخلق مرارًا، فدعت لك بالتوفيق سرًّا وجهارًا..
فلما احتاجت عند الكبر إليك، جعلتها من أهون الأشياء عليك..
فشبعت وهي جائعة، ورويت وهي قانعة..
وقلّمت عليها أهلك وأولادك بالإحسان، وقابلت أياديها بالنسيان..
وصعب عليك أمرها وهو يسير، وطال عليك عمرها وهو قصير..
وهجرتها، ومالها سواك نصير..
هذا ومولاك قد نهاك عن التأفif، وعاتبك في حقها بعتاب لطيف..

(١) الشَّين (بتشديد الشين وسكون الياء) ضد الزين، أي: القبيح، وراجع: اللسان (شين).

(٢) الرَّفد (بكرس الراء): العطاء والصلة، مختار الصحاح (٢٥٠).

ستعاقب في دنياك بعقوق البنين، وفي أخراك بالبعد عن رب العالمين..

يناديك بلسان التوبيخ والتهديد: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

كثيرك يا هذا لديه يسير	لأَمِّكَ حق لو علمت كبير
لها من جواهرها أنثة وزفير	فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي
فمن غصص منها الفؤاد يطير	وفي الوضع لو تدري عليها مشقة
وما حجرها إلا ليدك سريـر	وكم غسلت عنك الأذى بيمينها
ومن ثديها شرب ليدك نـمير ^(١)	وتفديك مما تشتكيه بنفسها
حناناً وإشفافاً وأنت صغير	وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها
وأها لأعمى القلب وهو بصير	فأها لذي عقل ويتبع الهوى
فأنت لما تدعو إليه فقير..	فدونك فارغب في عميم دعائها

فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه وأن يحبنا بسخطه إنه جواد كريم رءوف رحيم.

(١) التَّيْمِيرُ: الطَّيْبُ الناجع في الرِّيِّ، الوجيز (٦٣٥)

الكبيرة السادسة والأربعون

هجر الأقارب

- قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، أي: خافوا الله الذي يناشد بعضكم بعضاً به؛ حيث يقول: أسألك بالله وأنشدك بالله، واتقوا الأرحام أن تقطعوها.

- وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]، أي: فلعلكم وإن أعرضتم عن الإسلام أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالمعاصي وقطع الأرحام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٣].

قال القرطبي: أخبر تعالى أن من فعل ذلك حَقَّتْ عليه اللعنة، وسلبه الانتفاع بسمعه وبصره، حتى لا يتقاد للحق، وإن سمعه، فجعله كالبهيمة التي لا تعقل^(١).

- وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٠]، أي: يُتِمُّونَ عهد الله الذي وصاهم به، وهو أوامره ونواهيه التي كلف بها عباده: ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ﴾، أي: لا يخالفون ما وثقوه على أنفسهم من العهود المؤكدة بينهم وبين الله، وبينهم وبين العباد، ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١]، أي: يصلون الأرحام التي أمر الله بصلتها، ﴿وَيَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، أي: يهابون ربهم إجلالاً وتعظيماً، ﴿وَيَحْذَرُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾، أي: يخافون الحساب السيئ المؤدي لدخول النار، فهم لرهبتهم جادون في طاعة الله محافظون على حدوده^(٢).

- وقال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾، أي: بالقرآن، ﴿كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [النحل: ٦٩]، أي: يضلُّونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦-٢٧].

وأعظم ذلك: ما بين العبد وبين الله، ما عهده الله على العبيد.

(١) صفوة التفسير (١٣٧٧).

(٢) صفوة التفسير (٦٧٦-٦٧٧).

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة قاطع»^(١). (١٦١)

يعني قاطع رحم: كالأخت والخالة والعمة وبنت الأخت وغيرهم من الأقارب.

فمن قطع أقاربه الضعفاء، وهجرهم، وتكبر عليهم، ولم يصلهم ببره وإحسانه وكان غنياً وهم فقراء فهو داخل في هذا الوعيد محروم من دخول الجنة، إلا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن إليهم.

- وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة يحتاجون إلى صلته وبصرها إلى غيرهم، والذي نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة» رواه الطبراني ورواه ثقات. (٣٣/٢)

وإن كان فقيراً، وصل رحمه بزيارتهم والتفقد لأحوالهم؛ لما ورد من الأمر بصلة الأرحام، ولو بالسلام.

- [وقال ﷺ: «ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله فضلاً أعطاه الله إياه فيدخل عليه إلا أخرج الله له من جهنم حية يقال لها: شجاع يتلمظ فيطوق به» رواه الطبراني بإسناد جيد]. (٣٣/٢)

- [وصلة الأرحام من الإيمان]:

فعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه» متفق عليه. (١٥٢)

- [وهي سبب لزيادة الرزق وطول العمر، وتدفع ميتة السوء]:

فعن علي بن أبي طالب ؓ، عن النبي ﷺ قال: «من سره أن يمدد له في عمره، ويوسع له في رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه» رواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده، والبخاري بإسناد جيد.

(٢٢٣/٣)

(١) كرر المصنف ذكر هذا الحديث في آخر الكبيرة استشهاداً للحكاية لا أصل لها.

- وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعته الله» متفق عليه. (٢/ ٢٢٥)

- وقطية الرحم من أعظم أسباب تعجيل العقوبة:

فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطية الرحم» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. (٣/ ٢٢٨)

- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمه وصلها» رواه البخاري وغيره. (٣/ ٢٢٦)

- [وعن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أفضل الصدقة الصدقة على ذي رحم الكاشح» رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم^(١). (٢/ ٣٣)

ومعنى الكاشح: أنه الذي يضمّر عداوته في كسحه، وهو خصمه، يعني: أن أفضل الصدقة .. الصدقة على ذي الرحم المضمّر العداوة في باطنه، وهو في معنى قوله ﷺ: «وتصل من قطعك»]. (٣/ ٢٢٧)

- وعن سليمان مولى عثمان بن عفان قال: جاءنا أبو هريرة عشية الخميس ليلة الجمعة فقال: أخرج^(٢) على كل قاطع رحم لما قام من عندنا! فلم يقم أحد حتى قالها ثلاثاً، فأتى فتى عمه له قد صرمها^(٣) منذ ستين، فدخل عليها فقالت له: يابن أخي ما جاء بك؟ قال: سمعت أبا هريرة يقول: كذا وكذا، قالت: ارجع فاسأله: لم قال ذلك؟.. قال سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أعمال بني آدم تعرض على الله تبارك وتعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم» خرّجه البخاري في الأدب المفرد^(٤)، فنسأل الله التوفيق لطاعته إنه جواد كريم.

(١) وأقره الذهبي (١/ ٤٠٦-٤٠٧).

(٢) أخرج: أوقع في الضيق والإثم.

(٣) صرمها: تركها.

(٤) فضل الله الصمد (١/ ١٤٢-١٤٣)، وأورده الهيتمي المرفوع منه، وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات (٨/ ١٥١).

الكبيرة السابعة والأربعون

إباق العبد

- روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أبق العبد لم تُقبل له صلاة».
(٦٠/٣)
- وقال ﷺ: «أيا عبد أبق فقد برئت منه الذمة» رواه مسلم عن جرير.
(٦٠/٣)
- وروى ابن خزيمة في صحيحه من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة، ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة: السكران حتى يضحوا، والمرأة الساخط عليها زوجها، والعبد الأبق حتى يرجع فيضع يده في يد مواليه» رواه الطبراني في الأوسط من رواية عبد الله بن محمد بن عقيل واللفظ له، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما من رواية زهير بن محمد.
(٦٠/٣)
- وعن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يُسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه، وأمة أو عبد أبق من سيده ومات عاصيًا، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفأها مئونة الدنيا فتبرجت بعده» رواه ابن حبان والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما ولا أعلم له علة^(١).
(٦٠/٣)
- قوله: «فتبرجت بعده»، أي: أظهرت محاسنها، كما يفعل أهل الجاهلية، وهم ما بين عيسى وسيدنا محمد ﷺ، كذا ذكره الواحدى رحمه الله.

(١) المستدرک (١١٩/١) وسكت عنه الذهبي.

الكبيرة الثامنة والأربعون الاستطالة على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدابة

- لأن الله تعالى قد أمر بالإحسان إليهم بقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُفْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^ط وَيَا لَوْلَايَيْنِ إِحْسَنًا وَيَذَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ^ث إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُحْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُفْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، أي: وحّدوه، وعظموه، ولا تتركوا به شيئًا من الأشياء صنمًا أو غيره، وقوله تعالى: ﴿وَيَا لَوْلَايَيْنِ إِحْسَنًا﴾ يريد البر بهما مع اللطف، ولين الجانب، ولا يُغلظ لهما الجواب، ولا يجد النظر إليهما، ولا يرفع صوته عليهما، بل يكون بين أيديهما، مثل العبد بين يدي السيد تذللًا لهما.

وقوله: ﴿وَيَذَى الْقُرْبَى﴾ قال: يصلهم ويتعطف عليهم، ﴿وَالْيَتَامَى﴾ يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رءوسهم، ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ ببذل يسير، ورد جميل، ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ يعني الذي بينك وبينه قرابة فله حق القرابة، وحق الجوار، وحق الإسلام، ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ هو الذي ليس بينك وبينه قرابة يقال: رجل جنب إذا كان غريبًا متباعدًا أهله، وقوم أجانب، والجنابة البعد.

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه» متفق عليه. (١٤٨)

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن الذي يشع وجاره جائع» رواه الطبراني وأبو يعلى ورواته ثقات. (٢٣٧/٣)

﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: هو الرفيق في السفر، له حق الجوار وحق الصحبة، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ هو الضعيف يجب إيواؤه حتى يبلغ حيث يريد، وقال ابن عباس: هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يريد المملوك يحسن رزقه، ويعفو عنه فيما يخطئ.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ قال ابن عباس: يريد بالمختال: العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الله، والفخور: هو الذي يفخر على عباد الله، بما خوّله الله من كرامته، وما أعطاه من نعمه.

- وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به وهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم. (١٩/٤)

- وعن ابن عمر ؓ عن النبي ﷺ قال: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ ثوبه خيلاء» رواه مالك والبخاري ومسلم. (٩٨/٣)

- وكان رسول الله ﷺ عند خروجه من الدنيا في آخر مرضه يوصي بالصلاة وبالإحسان إلى المملوك ويقول: «الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيانكم» رواه أبو داود وابن ماجه عن الإمام علي ؓ. (١٦٣/٣)

- ورؤي أن حسن الملكة نهاء، وسوء الخلق شؤم. (١٦١/٣)

- وفي الحديث: «لا يدخل الجنة سعي الملكة» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب. (١٦١/٣)

- وقال أبو مسعود البدري ؓ قال: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي: «اعلم أبا مسعود»، فلم أفهم الصوت من الغضب، فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام» فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا.

وفي رواية: فسقط السوط من يدي من هيئته، وفي رواية: فقلت: يا رسول الله هو حرّ لوجه الله، فقال: «أما لو لم تفعل للفحتك النار» رواه مسلم. (٥٧٠-٥٧١)

- وروى مسلم أيضًا من حديث ابن عمر ؓ قال: «من ضرب غلامًا له حدًا لم يأت به، أو لطمه فكفارته أن يعتقه». (٥٧١)

- ومن حديث حكيم بن حزام قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا». (٥٧١)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ضرب سوطًا ظلمًا اقتُص منه يوم القيامة» رواه البزار والطبراني بإسناد حسن. (١٦٤/٣)
- قيل لرسول الله ﷺ: كم أعفو عن الخادم؟ قال: «كل يوم سبعين مرة» رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن غريب.
- وكان في يد النبي ﷺ يومًا سواك فدعا خادمًا له فأبطأ عليه، فقال: «لولا خشية القود لأوجفتك بهذا السواك» رواه أحمد بأسانيد أحدها جيد. (١٦٤/٣)
- وكان لأبي هريرة رضي الله عنه جارية زنجية فرفع يومًا عليها السوط فقال: لولا القصاص لأغشيتك، ولكن سأبيعك لمن يوفيني ثمنك اذهبي، فأنت حرة لوجه الله.
- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من قذف مملوكه بريئًا مما قال أقيم عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال» (١٦١/٣)
- وفي الحديث: «للملوك طعامه وكسوته، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق» خرَّجه مسلم عن أبي هريرة ^(١).
- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لاءمكم من مملوكيكم فأطعموه مما تأكلون واكسوه مما تلبسون، ومن لم يلائمكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله» رواه أبو داود وإسناده صحيح ^(٢).
- ودخل جماعة على سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو أمير على المدائن فوجدوه يعجن عجين أهله، فقالوا له: ألا تترك الجارية تعجن؟ فقال رضي الله عنه: إنا أرسلناها في عمل، فكرهنا أن نجتمع عليها عملاً آخر.
- وقال بعض السلف: لا تضرب المملوك في كل ذنب، ولكن احفظ له ذلك فإذا عصي الله فاضربه على معصية الله، وذكَّره الذنوب التي بينك وبينه.

(١) صحيح مسلم (٣/١٢٨٤).

(٢) قاله الحافظ العراقي في تهريج أحاديث الإحياء (٢/٢١٩).

فصل

- ومن أعظم الإساءة إلى المملوك والجارية: التفريق بينه وبين ولده، أو بينه وبين أخيه.
- لما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «من فرّق بين والدته وولدها، فرّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الحاكم^(١). (٣٢/٣)
- وعن علي عليه السلام قال أمرني رسول الله ﷺ أن أبيع غلامين أخوين، فبعتهما وفرقت بينهما، فذكرت ذلك له، فقال: «أدركهما وارجمعهما ولا تبعهما إلا جميعاً» رواه أحمد^(٢).
- ومن ذلك أن يجوع المملوك والجارية والدابة، لقول رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول» خرّجه الحاكم وصححه^(٣)، ورواه أبو داود والنسائي بنحوه. (٨٢/٣)
- ومن ذلك أن يضرب الدابة ضرباً جليلاً أو يحبسها، ولا يقوم بكفالتها، أو يحملها فوق طاقتها.

فقد روي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قيل: يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة، فيقضي بينهم، حتى إنه ليؤخذ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، حتى يقاد للذرة من الذرة ثم يقال لهم: كونوا تراباً فهناك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً.

وهذا من الدليل على القضاء بين البهائم، وبينها وبين بني آدم، حتى إن الإنسان لو ضرب دابة بغير حق، أو جوعها، أو عطشها، أو كلفها فوق طاقتها فإنها تقتص منه يوم القيامة بقدر ما ظلمها أو جوعها.

(١) أي على شرط الشيخين وأقره الذهبي (٥٥/٢).

(٢) قال الشوكاني (١٦٢/٥): رجال إسناده ثقات كما قال الحافظ، وقد صححه ابن خزيمة وابن الجارود وابن حبان والحاكم والطبراني وابن القطان - المستدرک (٥٤/٢) وأقره الذهبي.

(٣) على شرط الشيخين أقره الذهبي (٥٠١، ٥٠٠/٤).

- والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عُذِّبَت امرأة في هرة سبقتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»^(١)، أي: من حشرات الأرض.

- كذلك إذا حملها فوق طاقتها تقتص منه يوم القيامة؛ لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضرها، فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا للحرث»^(٢).

فهذه بقرة أنطقها الله في الدنيا تدافع عن نفسها بأنها لا تؤذِي، ولا تُستعمل في غير ما خُلِقَتْ له، فمن كلفها غير طاقتها، أو ضررها بغير حق، فيوم القيامة تقتص منه بقدر ضرره وتعذيبه.

- قال أبو سليمان الداراني: ركبت مرة حمارًا فضرته مرتين أو ثلاثًا، فرفع رأسه ونظر إليّ، وقال: يا أبا سليمان هو القصاص يوم القيامة، فإن شئت فأقلل، وإن شئت فأكثر. قال: فقلت: لا أضرب شيئًا بعده أبدًا.

- ومَرَّ ابن عمر بصبيان من قریش، قد نصبوا طيرًا، وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال: (من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه روح غرضًا) متفق عليه (٥٧٠). والغرض كالهذف وما يُرمى إليه.

- (نهى رسول الله ﷺ أن تُصَبَّرَ البهائم) متفق عليه (٥٧٠) يعني أن تحبس للقتل.
- وإن كان مما أذن الشرع بقتله؛ كالحية والعقرب والفأرة والكلب العقور، قتله بأول دفعة، ولا يعذبه؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «... فإذا قتلتم فأحسنوا القتل وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» رواه مسلم وغيره. (١٠٣/٢)
- وكذلك لا يحرقه بالنار؛ لما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إني كنت

(١) اللؤلؤ والمرجان (٧٠٩).

(٢) اللؤلؤ والمرجان (٦٣٣).

أمرتكم أن تحرقوا فلاتاً وفلاتاً، فإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموها فاقتلوهما»
(رواه البخاري. ٥٧٢)

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة^(١) معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة تعرش^(٢) فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع^(٣) هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»، ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: «من حرق هذه؟» قلنا: نحن. قال: «إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار» رواه أبو داود بإسناد صحيح (٥٧٢)، وفيه من النهي عن القتل بالنار حتى في القملة والبرغوث وغيرهما.

فصل

- ويكره قتل الحيوان عبثاً؛ لما رواه الشريد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قتل عصفوراً عبثاً عَجَّ إلى الله يوم القيامة، يقول: يا ربَّ إن فلاتاً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة» رواه النسائي وابن حبان في صحيحه. (١٠٤ / ٢)

- ويكره صيد الطير أيام إفراخه؛ لما روي ذلك في الأثر.
- ويكره ذبح الحيوان بين يدي أمه؛ لما روي عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه قال: ذبح رجل عجلاً بين يدي أمه، فأبیس الله يده.

فصل

في فضل عتق المملوك

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أعتق رقبةً مسلمةً أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار حتى فرجه بفرجه» أخرجه البخاري^(٤).

(١) الحمرة (بضم فسكون): طائر صغير كالعصفور.

(٢) التعريش: أن ترتفع وتظلل بجناحيها على من تحتها. اللسان (عرش).

(٣) الفجعة: الرزية، أي: رزأ هذه بولدها، وراجع اللسان (فجع).

(٤) صحيح البخاري (١٨١ / ٨).

- وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أيما امرئ مسلم أعتق امرءًا مسلمًا كان فكاكه من النار يجزي كل عضو منه عضوًا منه، وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزي كل عضو منهما عضوًا منه، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار يجزي كل عضو منها عضوًا منها» رواه الترمذي ^(١) وصححه.

(١) الترمذي (١١٧/٤).

الكبيرة التاسعة والأربعون

قتل النفس

- قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا﴾، أي: بأن يقصد قتله بما يقتل غالبًا عالمًا بإيماؤه: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾، والخلود: المكث الطويل، ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾، أي: أبعدته من رحمته، ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]، أي: أودية في جهنم يُعذب فيها الزناة، ﴿يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْتَلِدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩]، أي: حقيرًا ذليلًا، ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، أي: فإن الله يتوب عليه.

- وقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، أي: من قتل نفسًا بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض، واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعًا؛ لأنه لا فرق -عنده- بين نفس ونفس، ومن أحياها، أي: حرّم قتلها وكف عنه واعتقد ذلك، فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار^(١).

- وقال النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات...»، فذكر «قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق».

- وعن ابن مسعود ؓ قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نِدًّا وهو خَلْقُكَ»، قلت: إن ذلك لعظيم، ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك» متفق عليه. الحليلة: الزوجة.

(٣/ ١٩٤-١٩٥)

(١) تفسير ابن كثير (٤٧/٢).

- وقال ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفهما، فالقاتل والمقتول في النار». قيل: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصًا على قتل صاحبه» متفق عليه. (٨)

قال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله: هذا إنما يكون كذلك إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل، إنما يقتتلان على عداوة بينهما وعصية، أو طلب دنيا، أو رئاسة، أو علو.

فأما من قاتل أهل البغى على الصفة التي يجب قتالهم بها، أو دفع عن نفسه، أو حريمه، فإنه لا يدخل في هذا الوعيد؛ لأنه مأمور بالقتال للذب عن نفسه، غير قاصد به قتل صاحبه، ألا تراه يقول: إنه كان حريصًا على قتل صاحبه، ومن قاتل باغيًا أو قاطع طريق من المسلمين، فإنه لا يحرص على قتله، إنما يدفعه عن نفسه، فإن انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه، فالحديث لم يرد في أهل هذه الصفة، فلا يدخلون فيه بخلاف من كان على غير هذه الصفة فإنهم المرادون منه^(١) والله أعلم.

- وقال رسول الله ﷺ: «ألا فلا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض» متفق عليه. (١١٥)

- وقال رسول الله ﷺ: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماء حرامًا» رواه البخاري ومسلم. (٥١/٤)

- وقال ابن عمر: «من ورطت الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله» رواه البخاري. الورطات: جمع ورطة، وهي الهلكة، وكل أمر تعسر النجاة منه. (٢٠٢/٣)

- وقال ﷺ: «أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء» متفق عليه. (٢٠١/٣)

- وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم» رواه مسلم وغيره. (٢٠٢/٣)

- وقال ﷺ: «الكبائر: الإشرak بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس» رواه البخاري. (٦٠٢)

(١) قد أصلحت بعض عباراته من الزواجر (٤٩١).

وسُمِّيت غموسًا؛ لأنها تغمس صاحبها في النار.

- وقال ﷺ: «ليس من نفس تُقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمه؛ لأنه كان أول من سن القتل» خرَّج في الصحيحين. (٩٥)

- وقال ﷺ: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عامًا» أخرجه البخاري. (٢٠٤/٣)

ليريح، أي: يجد ريحها ولم يشمها، فإذا كان هذا في قتل المعاهد، وهو الذي أُعطي عهدًا من اليهود والنصارى في دار الإسلام، فكيف يقتل المسلم؟

- وقال ﷺ: «ألا من قتل نفسًا معاهدة - لها ذمة الله وذمة رسوله - فقد أخفر الله فلا يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا» صحَّحه الترمذي. (٤٥/٤)

- وعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل ذنب عصى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا» رواه النسائي والحاكم، وقال: صحيح الإسناد^(١).

- ورُوي أن: «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة، لقي الله مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله» نسأل الله العافية.

(١) وأقره الذهبي (٣٥١/٤).

الكبيرة الخمسون قتل الإنسان نفسه

- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] بالبغع^(١) كما تفعله جهلة الهند، أو بإلقاء النفس إلى الهلكة، ويؤيده ما روي أن عمرو بن العاص تأوله في التيمم لخوف البرد، فلم ينكر عليه النبي ﷺ، أو بارتكاب ما يؤدي إلى قتلها، وقيل: المراد بالأنفس من كان من أهل دينهم، فإن المؤمنين كنفس واحدة: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، أي: أمر بها أمر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم^(٢).

وقال الواحدي في تفسير هذه الآية ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، أي: لا يقتل بعضكم بعضًا؛ لأنكم أهل دين واحد، فأنتم كنفس واحدة هذا قول ابن عباس والأكثرين، وذهب قوم إلى أن هذا نهى عن قتل الإنسان نفسه، ويدل على صحة هذا أن عمرو بن العاص قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت أن أغتسل فأهلك، فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟»، فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا، رواه أبو داود^(٣).

فدل هذا الحديث على أن عمرًا تأول هذه الآية هلاك نفسه لا نفس غيره ولم ينكر ذلك عليه النبي ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ كان ابن عباس يقول: الإشارة تعود إلى كل ما نهى عنه من أول البسورة إلى هذا الموضع، وقال قوم: الوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة، وقوله: ﴿عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾ معنى العدوان، أي: يعدو ما أمر الله به: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾، أي: إنه قادر على إيقاع ما توعد به من إدخال النار.

(١) بضع نفسه: قتلها غيظًا أو غمًا، الوجيز (٣٨).

(٢) تفسير البيضاوي (٩٥).

(٣) مختصر السنن (٢٠٧/١)، ورواه الحاكم (١٧٧/١)، وصححه وأقره الذهبي.

- وعن جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع، فأخذ سكينًا، فحز بها يده، فما رقا الدم حتى مات، فقال الله: بادرنى عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة» مخرج في الصحيحين. (٢٠٥/٣)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تردى من جبل، فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تحسى سُمًا فقتل نفسه، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم مخلدًا فيها أبدًا» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٢٠٥/٣)

تردى: أي رمى بنفسه من الجبل أو غيره فهلك، يتوجأ بها (مهموزًا)، أي: يضرب بها نفسه.

- وفي حديث ثابت بن الضحاك قال: قال رسول الله ﷺ: «ولعن المؤمن كقتله ومن رمى مؤمنًا بكفر فهو كقتله، ومن ذبح نفسه بشيء عُدب به يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٢٠٦/٣)

- وفي الحديث الصحيح عن الرجل الذي آلمته الجراح فاستعجل الموت، فقتل نفسه بذياب سيفه، وقد قال النبي ﷺ فيه: «أما إنه من أهل النار» رواه البخاري ومسلم. (٢٠٦/٣)

- فنسأل الله أن يلهمنا رشدنا، وأن يعيدنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا إنه جواد كريم غفور رحيم.

موعظة

ابن آدم، كيف تظن أعمالك مشيدة، وأنت تعلم أنها مكيدة؟

وكيف تترك معاملة المولى، وتعلم أنها مفيدة؟

وكيف تقصر في زادك وقد تحققت أن الطريق بعيدة؟

يا معرّضًا عنا .. إلى متى هذا الجفا والإعراض؟

يا غافلًا عن الموت والعمر - لا شك - في انقراض.

يا مغترًا في أمله وأيدي المنايا في أجله تقرضه بمقراض، يا مغرورًا بصحته، وبدنه كل

يوم في انتقاض.

يا من يفنى كل يوم بعضه، ستفنى -والله- الأبعاض.
يا غافلًا عن الزاد، وقد أُنذره بعد السواد البياض.
يا قليل الاحتراس .. ونبل المتايا طوال عراض.
يا من يساق إلى موار التلف .. وقد نرحت الحياض.
يا صاحكًا وعيون الفنا غير غماض.
يا من هذه الأوقات بين يديه .. كيف يقدر جفنه على الإغماض؟

الكبيرة الحادية والخمسون

السحر

- لأن الساحر لا بد وأن يكفر.
- قال الله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾، وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به.
- وقال الله تعالى مخبراً عن هاروت وماروت: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أي: من نصيب.
- فترى خلقاً كثيراً من الضُّلال يدخلون في السحر، ويظنونه حراماً فقط، وما يشعرون أنه الكفر وذلك كعقد الرجل عن زوجته، ومحبة الرجل للمرأة وبغضها له وأشباه ذلك [يتوصلون إليه] بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال.
- وحُدَّ الساحر: القتل؛ لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر، قال النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» فذكر منها «السحر»، والموبقات: المهلكات، رواه البخاري ومسلم. (٥١/٤)
- فليتنق العبد ربه، ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة.
- وقد صح عن جندب ؓ أنه قال: حد الساحر ضربه بالسيف^(١).
- وعن بجالة بن عبدة أنه قال: أتانا كتاب عمر ؓ قبل موته بسنة: «أن اقتلوا كل ساحر وساحرة» رواه أحمد وأبو داود^(٢).

(١) قال الترمذي: فالصحيح عن جندب موقوفاً، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعي: إنها يقتل السحر إذا كان يعمل في سحره ما يبله به الكفر، فإذا عمل عملاً دون لكفر فلم نر عليه قتل، سنن الترمذي تعليق الشيخ ناصر (٣٤٦).

(٢) المستدرك (١٢٣/٣-١٢٤)، وأبو داود (١٦٨/٣)، وصححه الشيخ ناصر (٥٤٦).

- وعن وهب بن منبه قال: قرأت في بعض الكتب: يقول الله عز وجل: لا إله إلا أنا ليس مني من سحر، ولا من سحر له، ولا من تكهن ولا من تكهن له، ولا من تطير، ولا من تطير له.

- وعن علي بن أبي طالب ؓ قال: الكاهن ساحر، والساحر كافر.

- وعن أبي موسى ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر» رواه الإمام أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، والحاكم^(١). (١٨٢/٣)

- وعن ابن مسعود ؓ مرفوعاً قال: «إن الرقي والتائم والتولة شرك» رواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم، وصححه على شرط الشيخين^(٢). (١٥٨/٤)

التائم: (جمع تيمة) وهي خرزات أو حروز يعلقها الجاهل على أنفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون أنها ترد العين، وهذا من فعل الجاهلية، ومن اعتقد ذلك فقد أشرك. والتولة (بكسر التاء وفتح الواو): نوع من السحر، وهي تحبيب المرأة إلى زوجها؛ وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجاهل أن ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله تعالى.

قال الخطابي رحمه الله: وأما إذا كانت الرقية بالقرآن، أو بأسماء الله تعالى فهي مباحة؛ لأن النبي ﷺ كان يرقى الحسن والحسين ؑ فيقول: «أعنيكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» خرّجه الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس وصححه على شرط الشيخين^(٣)، والله المستعان وعليه التكلان.

(١) وأقره الذهبي (١٤٦/٤).

(٢) وأقره الذهبي (٤١٨/٤).

(٣) وأقره الذهبي (١٦٧/٣).

الكبيرة الثانية والخمسون تصديق الكاهن والمنجم

- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، قال الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

قال الكلبي: لا تقل ما ليس لك به علم، وقال قتادة: لا تقل: سمعت ولم تسمع، ورأيت ولم تر، وعلمت ولم تعلم، والمعنى: لا تقولن في شيء بما لا تعلم، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

قال الوالبي عن ابن عباس: يسأل الله العباد فيم استعملوها؟ وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل، والاستماع إلى ما يحرم وإرادة ما لا يجوز والله أعلم.

- وقال الله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ① إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴿[الجن: ٢٦، ٢٧].

قال ابن الجوزي: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾ هو الله عز وجل وحده لا شريك له في ملكه ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾، أي: فلا يطلع على غيبه الذي يعلمه أحدًا من الناس: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾؛ لأن من الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب، والمعنى: أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب، ففي هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر والله أعلم^(٢).

- وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه والحاكم^(١) وقال صحيح على شرطهما.

(٥٣/٤)

(*) زاد المسير (٨/٣٨٥).

(١) المستدرک (٨/١) وصححه الذهبي في کتاب الکبائر وتین المحارم (١٢٣).

فمن أتى كاهنًا وهو المنجم ومن يدعي معرفة الشيء المسروق، ويتكلم على الأمور الغيبات فسأله عن شيء منها، فصدقه فهو داخل في هذا الوعيد الشديد.

- وروينا في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطِرْنَا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مُطِرْنَا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب».

قال العلماء: إن قال مسلم: مطرنا بنوء كذا؛ يريد أن النوء هو الموجد والفاعل المحدث للمطر صار كافرًا مرتدًّا بلا شك.

وإن قال مريدًا أنه علامة نزول المطر، فينزل المطر عند هذه العلامة، ونزوله بفضل الله وخلقه لم يكفر، واختلفوا في كراهته، والمختار: أنه مكروه؛ لأنه من ألفاظ الكفار، وهذا ظاهر الحديث، وقوله: «في أثر السماء» هنا: المطر، والله أعلم.

- وقال رسول الله ﷺ: «من أتى عَرَفًا فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا» رواه مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ.

- وعن عائشة ؓ قالت: سأل رسول الله ﷺ أناس عن الكهان فقال: «ليسوا بشيء» فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدّثونا أحيانًا بشيء فيكون حقًّا؟ فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني، فيقرّها^(١) في أذن وليه، فيخلطون معها مائة كذبة» خرّج في الصحيحين.

- وعن عائشة ؓ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب - فتذكر الأمر قضي في السماء، فيسرق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم» رواه البخاري.

(١) هو بفتح الباء، وضم القاف والراء، أي: يلقبها.

- وعن قبيصة بن المخارق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العيافة، والطيرة، والطرق من الجبت» رواه أبو داود بإسناد حسن. (٥٩١)

وقال [أبو داود]: الطَّرْقُ: الزجر، أي: زجر الطير؛ وهو أن يتيامن أو يتشاءم بطيرانه فإن طار إلى جهة اليمين تيمن، وإن طار إلى جهة اليسار تشاءم، قال أبو داود: العيافة الخط، قال الجوهري: الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك.

- وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد» رواه أبو داود بإسناد صحيح. (٥٩١)

- وقال علي بن أبي طالب: «الكاهن ساحر والساحر كافر»، فنسأل الله العافية والعصمة في الدنيا والآخرة.

موعظة

عباد الله! تفكروا في سلفكم .. قبل تلفكم.

وانظروا في أموركم قبل حلول قبوركم.

فتأهبوا للرحيل قبل فوت تحويلكم.

أين الأقران والإخوان؟ أين من شيد الإيوان؟

رحلوا والله عن الأوطان .. ومثّرت في اللحود تلك الأكفان، هتف نذيرهم بأهل

العرفان: «كل من عليها فان».

تقلب بهم الأحوال، ولعب بهم في أيدي الليالي، وشغلوا عن الأولاد والأموال، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال عانقوا التراب، وفارقوا الأموال، فلو أذن لأحدهم في المقال لقال:

من رأنا فليحدث نفسه	أنه وقف على قرب زوال
وصروف الدهر لا ييقى لها	ولما يأتي به صم الجبال
رَبُّ ركب أناسوا حولنا	يشربون الخمر بالماء الزلال

والأباريق عليهم قدمت	وعتاق الخيل تردى بالجلال ^(١)
عمَّروا دهرًا بعيش ناعم	أبيض دهرهم غير محال
ثم أضحووا يلعب الدهر بهم	وكذاك الدهر يسودي بالرجال

(١) الجلال (بالكسر) جمع جُل (بالتضم): ما تلبسه الدابة لتصان به. وتردئ بالجلال، أي: تجعل الجلال لها رداء.

الكبيرة الثالثة والخمسون غش الإمام الرعية وظلمه لهم

- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ﴾ [الشورى: ٤٢]، أي: إنا العقوبة والمواخظة على المعتدين الذين يظلمون الناس بعدوانهم: ﴿ وَيَبْتَغُونَ فِي الْأَرْضِ يَغْتَرِ الْحَقَّ ﴾ أي: ويتكبرون في الأرض تجبراً وفساداً بالمعاصي والاعتداء على الناس في النفوس والأموال.
- ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، أي: أولئك الظالمون الباغون لهم عذاب مؤلم موجه بسبب ظلمهم وبغيهم^(١).
- وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَتَعَمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]^(٢).
- وقال الله تعالى: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ هذا وعيد عام في كل ظالم، تنفتت له القلوب وتتصدع لهولة الأكباد، أي: وسيعلم الظالمون المعادون لدعوة الله، ومعهم الشعراء الغاؤون ﴿ أَيْ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾، أي: أي مرجع يرجعون إليه، وأي مصير يصيرون إليه؟ فإن مرجعهم إلى العقاب، وهو شر مرجع، ومصيرهم إلى النار، وهو أقبح مصير^(٣).
- وقال رسول الله ﷺ: «من غشنا فليس منا» رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه (٥٦٣).
- عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم والترمذي (١٤٤/٣).
- وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع ومسئول عن رعيته» متفق عليه (١٣١/٣).

(١) صفوة التفاسير (١٣١٦).

(٢) سياتي تفسيرها في الكبيرة الرابعة والخمسين.

(٣) صفوة التفاسير (٩٩٤).

- وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أبما راع استرعى رعية فغشها فهو في النار» رواه أحمد^(١).

- وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية، يموت يوم يموت وهو غاش رعيته إلا حرم الله عليه الجنة».

وفي رواية: «... فلم يحطها بنصحه لم يرح رائحة الجنة» متفق عليه. (١٤١/٣)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به مغلولاً يوم القيامة، حتى يفكه العدل، أو يوبقه الجور» رواه البزار والطبراني في الأوسط، ورجال البزار رجال الصحيح. (١٣٩/٣)

- وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ويل للأمرء، وويل للعرفاء، وويل للأمناء، ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يدللون بين السماء والأرض وأنهم لم يلوا عملاً» رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد^(٢). (١٣٤/٣)

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليأتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في ثمرة قط» رواه أحمد وابن حبان في صحيحه. (١٣٢/٣)

- ومن دعاء رسول الله ﷺ أنه قال: «اللهم من ولي من أمري شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمري شيئاً فرفق بهم فرفق به» رواه مسلم والنسائي. (١٤٠/٣)

- وقال ﷺ: «من ولّاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة» رواه أبو داود والترمذي، وصححه الحاكم. (١٤١/٣)

(١) المسند (٢٥/٥)، ومسلم (٢١٥/١٢) بإسناده ولريست لفظه. وراجع الصحيحة (٣٤٧/٤)

(٢) وأقره الذهبي (٩٤/١).

- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم غشوم، وكل غال مارق» رواه الطبراني ورجاله ثقات. (١٤٤/٣)
- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أشد أهل النار عذابًا يوم القيامة: من قتل نبيًا أو قتل نبي وإمام ضلالة» رواه البزار بإسناد جيد. (١٣٦/٣)
- وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لم يرحم الناس لم يرحمه الله» رواه الطبراني بإسناد حسن. (١٥٥/٣)
- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» رواه مسلم والنسائي. (١٣٥/٣)
- ولما بعث رسول الله ﷺ معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن قال: «اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» متفق عليه. (٣٠/٤)
- وقال عليه الصلاة والسلام: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم...» فذكر منهم «.. الملك الكذاب» رواه مسلم عن أبي هريرة.
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة» رواه البخاري. (١٣٤/٣)
- وفيه أيضًا: «إنا لا نولي هذا من سألنا ولا من حرص عليه».
- وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعطيتَها عن غير مسألة أُعنتَ عليها، وإن أُعطيتَها عن مسألة وُكِلتَ إليها» رواه البخاري ومسلم. (١٣٤/٣)
- وقال لكعب بن عجرة: «أعاذك الله من إمارة السفهاء».
- قال: وما إمارة السفهاء.
- قال: «أمرء يكونون بعدي لا يهتدون بهدي ولا يستنون بستي» خرَّجه أحمد والبزار من حديث جابر، ورواها محتج بهم في الصحيح. (١٥٠/٣)
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من طلب قضاء المسلمين حتى يناله، ثم

- وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنعمت المروضة ويشتت القاطمة» رواه البخاري. (١٣٤/٣)

وفيه أيضًا: «إنا لا نولي هذا من سألناه ولا من حرص عليه».

- وعن عبد الرحمن بن سمرة ؓ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعطيتَها عن غير مسألة أُعنتَ عليها، وإن أُعطيتَها عن مسألة وكُلتَ إليها» رواه البخاري ومسلم. (١٣٤/٣)

- وقال لكعب بن عجرة: «أعاذك الله من إمارة السفهاء».

قال: وما إمارة السفهاء.

قال: «أمرأء يكونون بعدي لا يبتدون بهدي ولا يستنون بسنتي» خرَّجه أحمد والبخاري من حديث جابر، ورواها محتج بهم في الصحيح. (١٥٠/٣)

- وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «من طلب قضاء المسلمين حتى يناله، ثم غلب عدله جوروه فله الجنة، وإن غلب جوروه عدله فله النار» رواه أبو داود^(١) (١٣٨/٣).

- وروى أنه يجاء بالوالي يوم القيامة فينذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر أو تجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه؛ فإن كان مطيعاً لله في عمله مضى به، وإن كان عاصياً لله في عمله انخرق به الجسر، فهوى به في جهنم مقدار خمسين عاماً.

- وقال عمرو بن المهاجر: قال لي عمر بن عبد العزيز ؓ إذا رأيتني قد ملت عن الحق، فضع يديك في تلبابي ثم قل: يا عمر ما تصنع.

(١) قال الشوكاني: سكت عنه أبو داود والمنذري، وسنده لا مظن فيه (٢٥٧/٨).

موعظة

يا راضيًا باسم الظالم، كم عليك من المظالم؟
السجن جهنم، والحق حاكم .. ولا حجة لك فيما تخاصم.
القبر مهول فتذكر حبسك، والحساب طويل، فخلّص نفسك، والعمر كيوم فبادر
شمسك.

تفرح بمالك والكسب خبيث، وتمرح بآمالك والسير حثيث.
إن الظلم لا يترك منه قدر أنملة.
فإذا رأيت ظالمًا قد سطا فتم له.
فربما بات فأخذت جنبه من الليل نملة (أي: قروح في الجسد).

الكبيرة الرابعة والخمسون الظلم

- ويدخل فيه ظلم السلاطين والأمراء والقضاة وغيرهم وهو على أنواع:
منها: أكل المال بالباطل، وكذلك أخذ مال اليتيم.
 - منها: ظلم العباد بالقتل، والضرب والكسر والجراح.
 - ومنها: ظلم العباد بالشتم واللعن والسب والقذف.
 - قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، أي: لا تظن أن الله ساء عن أفعال الظلمة، فإن سنة الله إمهال العصاة، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.
- ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾، أي: إنما يؤخرهم ليوم رهيب عصيب تشخص فيه الأبصار من الفزع والهلع، فتظل مفتوحة مبهوتة لا تطرف ولا تتحرك
- ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، أي: مسرعين لا يلتفتون إلى شيء رافعين رؤوسهم مع إدامة النظر ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾، أي: لا يطفرون بعيونهم من الخوف والفزع ﴿ وَأَفْعِدَتْهُمْ لِقَاءَ هَؤُلَاءِ ﴾، أي: قلوبهم خالية من العقل لشدة الفزع ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤٤] أمر للنبي أن يخوف الكفار من هول يوم القيامة حين يأتيهم العذاب الشديد، ﴿ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِزْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾، أي: يطلبون المهلة، ولو إلى زمن قريب؛ ليستدركوا ما فاتهم ﴿ حُبِّ دَعْوَتِكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ ﴾، أي: نجب دعوتك لنا إلى الإيمان، وتتبع الرسل فيما جاءونا به ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾، أي: أولم تكونوا تحلفون من قبل هذه الحالة أنه لا زوال لكم عما أنتم فيه، وأنه لا معاد ولا جزاء، فذهبا هذا بذلك: ﴿ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾ [إبراهيم: ٤١-٤٥].

أي: قد رأيتم ويلغكم ما أحللنا بالأمم المكذبة قبلكم، ومع هذا لم يكن فيهم معتبر، ولم يكن فيما أوقعنا بهم لكم مزدجر^(١).

- وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ [الشورى: ٤٢]^(٢).

- وقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]^(٣).

- وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» رواه مسلم. (١٤٤/٣)

- وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» رواه مسلم والترمذي وابن ماجه. (١٤٤/٣)

- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم؛ فإن أخذه لم يفلته» ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] متفق عليه. (١١٣)

- وعن خولة بنت عامر الأنصارية رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة» رواه البخاري. (١١٨)

- وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له حين بعثه إلى اليمن: «واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» متفق عليه. (١١٣)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه: من عرضه، أو من شيء، فليتحللله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه، فحمل عليه» رواه البخاري. (١١٤)

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٤٢)، وصفوة التفسير (٦٨٥).

(٢) سبق تفسيرها في الكبيرة الثالثة والخمسين.

(٣) سبق تفسيرها في الكبيرة الثالثة والخمسين.

- وعنه عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.

فقال: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل من مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا: فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته فإن فئت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار» رواه مسلم. (١١٧)

- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين» متفق عليه. (١١٢)

- وقد خطب النبي ﷺ بمنى فقال: «ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، ألا هل بلغت» قالوا: نعم. قال: «اللهم اشهد» (ثلاثاً) رواه البخاري من حديث ابن عمر. (١١٢)

- وعن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «يحشر الله العباد يوم القيامة، أو قال الناس عراة غرلاً بهماً» قال: قلنا: وما بهما؟ قال: «ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُرب: أنا الديان، أنا الملك، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة» قال: قلنا: كيف وإنما نأتي عراة غرلاً بهماً. قال: «الحسنات والسيئات» رواه أحمد بإسناد حسن. (٢٠٢/٤)

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من ضرب سوطاً ظمأً اقتص منه يوم القيامة» رواه البراز والطبراني بإسناد حسن. (١٦٤/٣)

- وعن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تُحْمَلُ على الغمام يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك، ولو بعد حين» رواه الطبراني، ولا بأس بإسناده في المتابعات. (١٤٦/٣)

- وعن جابر قال: لما رَجَعْتُ إلى رسول الله ﷺ مُهاجرةً البحر، قال: «ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟» قال فتية منهم: بلى، يا رسول الله!

بينما نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائز رَهَابِيْنِهِمْ، تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم، فجعل إحدى يديه بين كتفها، ثم دفعها؛ فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غُدر! إذا وضع الله الكرسي، وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك - عنده - غداً؟

قال: يقول رسول الله ﷺ: «صدقت صدقت، كيف يقدر الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم؟» رواه ابن ماجه^(١).

- وَرَوِي: «خمس غصب الله عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا وإلا أمر بهم في الآخرة إلى النار: أمير قوم يأخذ حقه من رعيته، ولا ينصفهم من نفسه، ولا يدفع الظلم عنهم، وزعيم قوم يطيعونه، ولا يساوي بين القوي والضعيف ويتكلم بالهوى، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يوفّه أجرته، ورجل ظلم امرأة صداقها».

- وقال أبو هريرة ؓ: إن الحُبَّارِىَّ^(٢) لتموت في وكرها هزلاً من ظلم الظالم.

- وعن عبد الله بن سلام قال: إن الله تعالى لما خلق الخلق؛ واستووا على أقدامهم رفعوا رءوسهم إلى السماء، وقالوا: يا رب مع من أنت؟ قال: مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه.

- وعن أبي أمامة قال: يجيء الظالم يوم القيامة، حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم، وعرفه ما ظلمه به، فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات، فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئات مثل ما ظلموهم حتى يُردوا إلى الدرك الأسفل من النار.

(١) قال البوصيري: إسناده حسن (١٣٢٩/٢).

(٢) بضم ففتح: طائر طويل العنق رمادي اللون على شكل الأوزة في متقاره طول (١٥٢/١) المعجم الوسيط.

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رءوس الخلائق: هذا فلان ابن فلان، من كان له عليه حق فليأت إلى حقه، قال: فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها، ثم قرأ ﴿ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

قال: فيغفر الله من حقه ما شاء، ولا يغفر من حقوق الناس شيئاً، فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لأصحاب الحقوق: اتوا إلي حقوقكم، قال: فيقول الله تعالى للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة، فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر ظلمه.

فإن كان ولياً لله، وفضل له مثقال ذرة، ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها، وإن كان عبداً شقيماً، ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة: ربنا فنيته حسناته وبقي طالبوه، فيقول الله: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صك له صكاً إلى النار، ويؤيد ذلك ما تقدم من قول النبي ﷺ: «أندرون من المفلس... إلخ».

- وقد روي: أنه لا أكره للعبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة ظلمه بها في الدنيا، كما قال النبي ﷺ: «لَتَوَدَّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» رواه مسلم عن أبي هريرة. (١١٢)

- وفي بعض الكتب يقول الله تعالى: اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصراً غيري.

- وأنشد بعضهم:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا فالظالم يرجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم متببه يدعو عليك وعين الله لم تنم

- وكان بعض السلف يقول: لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء.
- وعن وهب بن منبه قال: بنى جبار من الجبابرة قصرًا وشيّد، فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه كوخًا تأوي إليه.

فركب الجبار يومًا وطف حول القصر، فرأى الكوخ فقال: لمن هذا؟
قيل: لامرأة فقيرة، تأوي إليه، فأمر به فهدم.

فجاءت العجوز فرأته مهذومًا فقالت: من هدمه؟

فقيل: الملك رآه فهدمه.

فرفعت العجوز رأسها إلى السماء، وقالت: يا رب إذا لم أكن أنا حاضرة، فأين كنت أنت؟ قال: فأمر الله جبريل أن يقلب القصر على من فيه؛ فقلبه.

- وقيل: لما حبس خالد بن برمك وولده قال: يا أبتى بعد العز صرنا في القيد والحبس؟ فقال: يا بني دعوة المظلوم سرت بليل، غفلنا عنها، ولم يغفر الله عنها.

- وكان يزيد بن حكيم يقول: ما هبت أحدًا -قط- هيتي رجلًا ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله، يقول لي: حسبي الله، الله بيني وبينك.

- وحبس الرشيد أبا العتاهية الشاعر، فكتب إليه من السجن هذين البيتين:

أما والله إن الظلم شوم وما زال المسيء هو الظلوم
ستعلم يا ظلوم إذا التقينا غداً عند المليك من الملام

- وما ذكر أن كسرى اتخذ مؤدبًا لولده يعلمه ويؤدبه، حتى إذا بلغ الولد الغاية في الفضل والأدب استحضره المؤدب يومًا، وضربه ضربًا شديدًا من غير جرم ولا سبب، فحقد الولد على المعلم، إلى أن كبر، ومات أبوه، فتولى الملك بعده، فاستحضر المعلم، وقال له: ما حملك على أن ضربتني في يوم كذا وكذا ضربًا وجيعًا من غير جرم ولا سبب؟ فقال المعلم: أعلم أيها الملك لما بلغت الغاية في الفضل والأدب، علمت أنك تنال الملك بعد أبيك، فأردت أذيقك ألم الضرب، وألم الظلم حتى لا تظلم أحدًا، فقال: جزاك الله خيرًا، ثم أمر له بجائزة وصرفه.

توق دعا المظلوم إن دعاءه ليرفع فوق السحب ثم يجاب
توق دعا من ليس بين دعائه وبين إله العالمين حجاب
ولا تحسبن الله مطرًا له ولا أنه يخفى عليه خطاب
فقد صح أن الله قال وعزتي لأنصرن المظلوم وهو مشاب
فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه جهول وإلا عقله فمصاب

فصل

- ومن أعظم الطلب الماطلة بحق عليه مع قدرته على الوفاء؛ لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «مطل الغنى ظلم».

(٥٧٣)

وفي رواية: «يُؤيِّ الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته» رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح الإسناد^(١).

يُؤيِّ الواجد (بفتح اللام وتشديد الياء)، أي: مطل الواجد الذي هو قادر على وفاء دينه، يحل عرضه، أي: يبيع أن يذكر بسوء المعاملة، وعقوبته حبسه.

(٣٩ / ٣)

فصل

- ومن الظلم أن يظلم المرأة حقها من صداقها ونفقتها وكسوتها، وهو داخل في قوله ﷺ: «يُؤيِّ الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته».

- [وعن عبد الله بن عمرو^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول» رواه أبو داود، والنسائي، وصححه الحاكم^(٣).

(٨٢ / ٣)

- وعن أنس^(٤) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيَّع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» رواه ابن حبان في صحيحه.

(٨٣ / ٣)

فصل

- ومن الظلم: أن يستأجر الرجل أجيراً أو إنساناً في عمل، ولا يعطيه أجرته؛ لما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم، ومن كنت خصمه خصمته: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرّاً، فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره».

(٥٨ / ٣)

- وكذلك إذا ظلم يهودياً أو نصرانياً، أو نقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه، فهو داخل في قوله تعالى: «أنا خصمهم ومن كنت خصمه خصمته».

(١) وأقره الذهبي (١٠٢ / ٤).

(٢) المستدرک (٤ / ٥٠٠، ٥٠١) وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي.

- ومن ذلك أن يحلف على دين في ذمته كاذبًا فاجرًا.

لما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة»

قالوا: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله، قال: «وإن كان قضيبًا من أراك». (٦٠٢)
فخف القصاص غداً إذا وفيت ما كسبت يداك اليوم بالقسطاس
في موقف ما فيه إلا شاخص أو مهطع أو مقنع للرأس
أعضاؤهم فيه الشهود وسجنهم نار وحاكمهم شديد الباس
إن تمطل اليوم الحقوق مع الغنى فقد تؤديها مع الإفلاس

- ورُوي أن: أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته، والله ما يتكلم لسانها، ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تتعنت لزوجها في الدنيا ويشهد على الرجل يده ورجله بما كان يولي زوجته من خير أو شر، ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك، فما يؤخذ منهم دوائق ولا قرايط؛ ولكن حسنات هذا الظالم تدفع إلى هذا المظلوم، وسيئات هذا المظلوم تحمل على هذا الظالم، ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد، فيقال: سوقوهم إلى النار.

- وكان شريح القاضي يقول: سيعلم الظالمون حتى من انتقصوا أن الظالم ينتظر العقاب، والمظلوم ينتظر النصر والثواب.

- ورُوي أنه إذا أراد الله بعبده خيراً سلط عليه من يظلمه.

- ودخل طاوس اليماني على هشام بن عبد الملك، فقال له: اتق الله يوم الأذان، قال هشام: وما يوم الأذان؟ قال: قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُؤِذِنُ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]، فصعق هشام، فقال طاوس: هذا ذل الصفة، فكيف بذل المعايضة؟

- يا راضياً باسم الظالم.. كم عليك من المظالم؟

السجن جهنم، والحق حاكم.

فصل

في الحذر من الدخول على الظلمة ومخالطتهم ومعونتهم

- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

والركون ههنا: السكون إلى الشيء، والميل إليه بالمحبة.

قال ابن عباس رضي الله عنه: ولا تميلوا كل الميل في المحبة ولين الكلام والمودة.

وقال السدي وابن زيد: لا تداهنوا الظلمة.

وقال عكرمة: هو أن يطيعهم ويودهم.

وقال أبو العالية: لا ترضوا بأعمالهم.

﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ فيصيبكم لفحها ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾، قال ابن

عباس رضي الله عنه: ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله، ﴿ثُمَّ لَا تَنْصَرُونَ﴾ لا تمنعون من عذابه.

- وقال الله تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]، أي: أشباههم وأمثالهم وأتباعهم.

- وعن كعب بن عجرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بوارد على الخوض ومن لم يدخل عليهم، ولم يعنهم على ظلمهم، ولم يصدقهم بكذبهم، فهو مني وأنا منه، وهو وارد على الخوض» خرَّجه الترمذي، وقال: حديث غريب صحيح. (١٥٠/٣)

- وزُوي: من أعان ظالماً سلَّط عليه.

- وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنه: لا تملثوا أعينكم من أعوان الظلمة، إلا بإنكار من قلوبكم؛ لئلا تحبط أعمالكم الصالحة.

- وقال مكحول الدمشقي: ينادي مناد يوم القيامة: أين الظلمة وأعوانهم؟ فما يبقى أحد مدَّ لهم حبراً، أو حبرٌ لهم دواة، أو برئ لهم قلماً، فما فوق ذلك إلا حضر معهم، فيجمعون في تابوت من نار، فيلقون في جهنم.

- وجاء رجل خياط إلى سفيان الثوري فقال: إني رجل أخيط ثياب السلطان هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال سفيان: بل أنت من الظلمة أنفسهم؛ ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيط.

- ورؤي: أن أول من يدخل النار يوم القيامة: السواطون الذين يكون معهم الأسواط يضربون بها الناس بين يدي الظلمة.

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «الجلالوة والشرط كلاب النار يوم القيامة» الجلالوة: أعوان الظلمة.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقفن أحدكم موقفًا يقتل فيه رجل مسلم ظلمًا، فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه» رواه الطبراني والبيهقي بإسناد حسن (٢٠٧/٣).

- وقد رؤي أنه «أمر بعبد من عباد الله يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل ويدعو، حتى صارت جلدة واحدة، فامتلاً قبره عليه نارًا، فلما افرقع^(١) عنه، وأفاق، قال: على ما جلدتموني؟ قال: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره».

(١٤٨/٣)

فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع القدرة على نصره فكيف حال الظالم؟!

- وقد خرّج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلومًا، أفرأيت إن كان ظالمًا كيف أنصره؟ قال: «تحبزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره».

(١٤٨/٣)

(١) أي: انكشف وتحنأه، وراجع اللسان (فرقع).

حكاية

- قال بعض العارفين: رأيت في المنام رجلاً من يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته بمدة في حالة قبيحة، فقلت له: ما حالك؟ قال: شر حال، قلت: إلى أين صرت؟ قال: إلى عذاب الله، قلت: فما حال الظلمة عنده؟ قال: شر حال، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿وَسَعَلُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىٰ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

حكاية أخرى

- قال بعضهم: رأيت رجلاً مقطوع اليد من الكتف، وهو ينادي: من رأي فلا يظلمن أحداً، فتقدمت إليه، فقلت له: يا أخي ما قصتك؟ قال: يا أخي قصة عجيبة، وذلك أني كنت من أعوان الظلمة، فرأيت يوماً صياداً، وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبني، فجئت إليه فقلت: أعطني هذه السمكة، فقال: لا أعطيها، أنا أخذ بشمها قوتاً لعيالي، فضربته، وأخذتها منه قهراً، ومضيت بها، قال: فيينا أنا أمشي بها حاملاً إذ عضت على إبهامي عضّة قوية، فلما جئت بها إلى بيتي، وألقيتها من يدي ضربت على إبهامي، وألمتني ألماً شديداً، حتى لرأتم من شدة الوجع والألم، ورميت يدي.

فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت إليه الألم، فقال: هذه بدء الأكلة واقطعها وإلا تقطع يدك، فقطعت إبهامي، ثم ضربت على يدي فلم أطق النوم، ولا القرار من شدة الألم، فقبل لي: اقطع كفك فقطعته، وانتشر الألم على الساعد وألمني ألماً شديداً، ولم أطق القرار، وجعلت أستغيث من شدة الألم، فقبل لي: اقطعها إلى المرفق، فقطعتها، فانتشر الألم إلى العضد، وضربت على عضدي أشد من الألم الأول.

فقبل: اقطع يدك من كتفك وإلا سرى إلى جسدك كله، فقطعتها، فقال لي بعض الناس: ما سبب ألمك؟ فذكرت قصة السمكة، فقال: لو كنت رجعت في أول ما أصابك الألم إلى صاحب السمكة واستحللت منه وأرضيته لما قطع من أعضائك عضواً، فاذهب الآن إليه واطلب رضاه، قبل أن يصل الألم إلى بدنك، قال: فلم أزل أطلبه في البلد حتى وجدته، فوقعت على رجله أقبليها وأبكي، وقلت له: يا سيدي سألتك بالله إلا عفوت عني، فقال لي: ومن أنت؟ قلت: أنا الذي أخذت منك السمكة غصياً، وذكرت ما جرى، وأريته يدي، فبكى حين رآها.

ثم قال: يا أخي قد أحللتك منها؛ لما قد رأيته بك من هذا البلاء، فقلت: يا سيدي بالله هل كنت قد دعوت عليّ لما أخذتها؟ قال: نعم، قلت: اللهم إن هذا تقوى عليّ بقوته على ضعفي، على ما رزقتني ظلمًا فأرني قدرتك فيه.

فقلت: يا سيدي قد أراك الله قدرته فيّ، وأنا تائب إلى الله عزّ وجلّ عما كنت من خدمة الظلمة، ولا عدت أقف لهم على باب، ولا أكون من أعوانهم ما دمت حيًّا إن شاء الله، وبالله التوفيق.

موعظة

- إخواني كم أخرج الموت نفسًا من دارها لم يدارها!

وكم أنزل أجسادًا بجارها لم يجارها!

وكم أجرئ العيون كالعيون بعد قرارها!

شعر:

يا معرضًا بوصال عيش ناعم ستصد عنه طائعا أو كارهًا

إن الحوادث تزعج الأحرار عن أوطانها والطير عن أوكارها

أين من ملك المغارب والمشارق، وعمّر النواحي وغرس الحدائق

ونال الأمانى وركب العواتق؟

صاح به من دار غراب بين ناعق، وطرقه في لهوه أقطع طارق.

وزجرت عليه رعود وصواعق، وكحل به ما شيب بعض المفارق.

وقلاه الحبيب الذي لم يفارق، وهجره الصديق والرفيق الصادق.

ونقل من جوار المخلوقين إلى جوار الخالق.

نازله والله الموت، فلم يحاشه .. وأزله بالقهر بعد عز جاشه.

وأبدله خشن التراب بعد لين فراشه .. ومزقه الدود في قبره كتمزيق قماشه.

وبقي في ضنك شديد من معاشه .. وبعد عن الصديق، فكأنه لم يباشه.

ما نفعه والله الاحتراز .. ولا ردت عنه الركاز.
بل ضره من الزاد الإعواز .. وصار والله عبرة للمجتاز.
وقطع شاسعاً من السبل الأوفاز، وبقي رهيناً لا يدري أهلك أم فاز؟
وهذه لك بعد أيام .. وما أنت فيه الآن أحلام.
ودنياك لا تصلح .. وما سمعت ستره غداً على التمام.
ويقع لي ولك ويحك أما يؤثر فيك هذا الكلام.

الكبيرة الخامسة والخمسون

الزنا

- يقول تعالى ناهياً عباده عن الزنا وعن مقاربتة، ومخالطة أسبابه ودواعيه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾ [الإسراء: ٣٢]، أي: ذنباً عظيماً، ﴿وَسَاءَ سَبِيلاً﴾، أي: وبئس طريقاً ومسلكاً^(٥).

- وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

- وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]، ويزاد على ذلك أن يغرب عاملاً من بلده للحديث الصحيح. ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾، أي: لا تأخذكم بها رقة ورحمة في حكم الله تعالى فتخففوا الضرب أو تنقصوا العدد، بل أوجعوهما ضرباً، قال مجاهد: لا تعطلوا حدود الله، ولا تتركوا إقامتها شفقة ورحمة: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هذا من باب الإلهاب والتهيج، أي: إن كنتم مؤمنين حقاً تصدقون بالله واليوم الآخر، فلا تعطلوا الحدود ولا تأخذكم شفقة بالزناة، فإن جريمة الزنا أكبر من أن تستدر العطف أو تدفع إلى الرحمة، ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: وليحضر عقوبة الزانيين جماعة من المؤمنين؛ ليكون أبلغ في زجرهما، وأنجع في ردعهما فإن الفضيحة قد تنكل أكثر مما ينكل التعذيب^(٦).

- قال العلماء: هذا عذاب الزانية والزاني في الدنيا إذا كانا عزيين غير متزوجين، فإن كانا متزوجين، أو قد تزوجا ولو مرة في العمر؛ فإنها يجرمان بالحجارة إلى أن يموتا، كذلك ثبت في السنة عن النبي ﷺ: ﴿إِنْ لَمْ يَسْتَوْفِ الْقصاصَ مِنْهُمَا فِي الدُّنْيَا وَمَاتَا مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ، فَإِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ فِي النَّارِ بِسَيَاطِ مِنْ نَّارٍ﴾.

(٥) تفسير ابن كثير (٣/٣٨).

(٦) صفوة القاصير (٩١١).

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» متفق عليه.
(١٩٠/٣)

- وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا زنا الرجل خرج منه الإيمان فكان عليه كالظلة، فإذا أقلع رجع إليه الإيمان» رواه أبو داود وهذا لفظه والترمذي وصححه الحاكم على شرط البخاري ومسلم^(١).
(١٩١/٣)

- وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه» صححه الحاكم على شرط مسلم^(٢).

- وعنه ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر» رواه مسلم والنسائي (١٩٢/٣) والعائل: الفقير.

- وفي صحيح البخاري في حديث منام النبي ﷺ الذي رواه سمرة بن جندب، وفيه أنه ؓ جاءه جبريل وميكائيل، قال: «فانطلقنا فأتينا على مثل التنور فأحسب أنه كان يقول فيه: فإذا فيه لفظ وأصوات، قال: فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضووا أي: صاحوا من شدة حره... الحديث».

وفي آخره: «... وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني» (١٩١/٣)، يعني: من الرجال والنساء، فهذا عذابهم إلى يوم القيامة، نسأل الله العفو والعافية.

- عن عطاء في تفسير قوله الله تعالى عن جنهم ﴿هَٰذَا مَبْعَُٔ أَتُونِ﴾ [الحجر: ٤٤]، قال: أشد تلك الأبواب غمًا وحرًا وكربًا، وأنتنها ريحًا للزناة الذين ارتبكوا الزنا بعد العلم.

- عن مكحول الدمشقي قال: يجد أهل النار رائحة مستنة، فيقول: ما وجدنا أثن من

(١) وواقعه الذهبي (٢٢/١).

(٢) وواقعه الذهبي (٢٢/١).

هذه الرائحة فيقال لهم: هذه ريح فروج الزناة.

- وقال ابن زيد أحد أئمة التفسير: أنه ليؤذي أهل النار ريح فروج الزناة.

- في العشر الآيات التي كتبها الله لموسى عليه السلام: «ولا تسرق، ولا تزن، فأحجب عنك وجهي» فإذا كان الخطاب لنبية موسى عليه السلام فكيف بغيره؟

- ورؤي أن إبليس يث جنوده في الأرض، ويقول لهم: أيكم أضل مسلمًا ألبسته التاج على رأسه، فأعظمهم فتنة أقربهم إليه منزلًا، فيجيء إليه أحدهم فيقول له: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته، فيقول: ما صنعت شيئًا سوف يتزوج غيرها، ثم يجيء الآخر فيقول: لم أزل بفلان حتى ألقيت بينه وبين أخيه العداوة، فيقول: ما صنعت شيئًا، سوف يصالحه، ثم يجيء الآخر: فيقول: لم أزل بفلان حتى زني، فيقول إبليس: نَعَمْ ما فعلت، فيدنيه منه، ويضع التاج على رأسه، نعوذ بالله من شرور الشيطان وجنوده.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الإيمان سربال يسري به الله من يشاء، فإذا زنا العبد نزع منه سربال الإيمان، فإن تاب رد عليه» خرَّجه البيهقي، وخرَّج نحوه أبو داود والترمذي والحاكم.

- وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: «ومن مات مدمن الخمر سقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة»، قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: «نهر يجري من فروج المومسات يؤذي أهل النار ريح فروجهن» رواه ابن حبان والحاكم في صحيحهما (١٨٢/٣) يعني: أن الزانيات يجري من فروجهن قيح وصديد في النار، ثم يسقي ذلك لمن مات مصرًا على شرب الخمر.

- وورد أن جهنم فيها واد فيه حيات، كل حية ثخن رقبة البعير تلسع تارك الصلاة، فيغلي سُمها في جسمه سبعين سنة، ثم يتهرئ لحمه وأن فيها واديًا اسمه جب الحزن فيه حيات وعقارب، كل عقرب بقدر البغل، لها سبعون شوكة، في كل شوكة راوية سم تضرب الزاني، وتفرغ سمها في جسمه يجد مرارة وجعها ألف سنة، ثم يتهرئ لحمه ويسيل من فرجه القيح والصدید.

- وورد أيضًا: أن من زنى بامرأة متزوجة كان عليه وعليها في القبر نصف عذاب هذه الأمة، فإذا كان يوم القيامة يُحْكَم الله تعالى زوجها في حسناته، هذا إذا كان بغير علمه، فإن

علم وسكت حرم الله عليه الجنة؛ لأن الله - تعالى - كتب على بابها: أنت حرام على الديوث.
وهو الذي يعلم بالفاحشة في أهله، ويسكت ولا يغار.

- وورد كذلك: أن من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه، فإن قبلها قرضت شفتاه في النار، فإن زنى بها نطقت فخذته وشهدت عليه يوم القيامة، وقالت: أنا للحرام ركبت، فينظر الله تعالى إليه بعين الغضب، فيقع لحم وجهه، فيكابر ويقول: ما فعلت، فيشهد عليه لسانه، فيقول: أنا بما لا يحل نطقت، وتقول يدها أنا للحرام تناولت، وتقول عيناه: أنا للحرام نظرت، وتقول رجلاه: أنا لما لا يحل مشيت، ويقول فرجه: أنا فعلت.

ويقول الحافظ من الملائكة: وأنا سمعت ويقول الآخر: وأنا كتبت، ويقول الله تعالى: وأنا اطلعت وسترت.

ثم يقول الله: يا ملائكتي خذوه، ومن عذابي أذيقوه فقد اشتد غضبي على من قل حياؤه، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

- وبعض الزنا أكبر من بعض.

وأعظم الزنا: الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالمحارم.

وقد روى الإمام أحمد^(١) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من وقع على ذات محرم فاقتلوه».

وعن البراء رضي الله عنه قال: لقيت عمي ومعه راية، فقلت له: أين تريد؟ قال: (بعثني رسول الله ﷺ: إلى رجل نكح امرأة أبيه فأمرني أن أضرب عنقه، وأخذ ماله) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن غريب^(٢) والحاكم وصححه^(٣).

(١) قال الشيخ شاکر: إسناده حسن (٤/٢٥٦-٢٥٧).

(٢) قال الشوكاني (٧/١٣١): وللحديث أسانيد كثيرة منها ما رجاله رجال الصحيح.

(٣) وأقره الذهبي (٢/١٩١).

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رجل: يا رسول الله! أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو الله ندًا وهو خالقك»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خائفًا أن يطعم معك»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»، فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]. مخرّج في الصحيحين^(١).

فانظر -رحمك الله- كيف قرن الزنا بزوجة الجار بالشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله عز وجل إلا بالحق، فנסأل الله المنان بفضله أن يغفر لنا ذنوبنا إنه جواد كريم.

(١) البخاري (١٣٧/٦)، ومسلم (٩١/١).

الكبيرة السادسة والخمسون السواط

- قد قص الله عز وجل علينا في كتابه العزيز قصة قوم لوط في غير موضع، من ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۖ أَي: من طين طبخ حتى صار كالآجر ۖ مَمْضُودٌ ۖ، أَي: يتلو بعضه بعضًا ۖ مُسَوِّمَةٌ ۖ، أَي: معلّمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا ۖ عِنْدَ رَبِّكَ ۖ، أَي: في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها إلا بإذنه ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ۖ [هود: ٨٢، ٨٣]: ما هي من ظالمي هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حل بأولئك من العذاب.

- ولهذا قال النبي ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط» رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث غريب.

- ولعن من فعل فعلهم ثلاثًا، فقال: «لعن الله من عمل عمل قوم لوط قالها ثلاثًا» رواه ابن حبان من حديث ابن عباس.

- رُوِي مَرْفُوعًا «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي^(١).

- قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يُنْظَرُ أَعْلَى بِنَاءٍ فِي الْقَرْيَةِ فَيُلْقَى مِنْهُ، ثُمَّ يَتَّبَعُ بِالْحِجَارَةِ كَمَا فَعَلَ بِقَوْمِ لُوط».

- وأجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التي حرم الله تعالى.

- قال تعالى مخبرًا عن محاورة نبيه لوط لقومه: ﴿ أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ السَّلَامِينَ ۖ، أَي: أتتكحون الذكور في أدبارهم، وتنفردون بهذا الفعل الشنيع من بين سائر الخلق؟ ۖ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ۖ، أَي: وتركون ما أباح لكم ربكم من الاستمتاع بالإناث؟

(١) قال المنذري: كلهم من رواية عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس، وعمرو هذا لا احتج به الشيخان وغيرهما، وقال ابن معين: ثقة ينكر عليه حديث ابن عباس يعني هذا انتهى (١٩٩/٣).

قال مجاهد: تركتم فروج النساء إلى أدبار الرجال، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦] أي: بل أنتم قوم مجاوزون الحد في الإجماع والفساد، وبخهم على إتيانهم الذكور، ثم أضرب عنه إلى ما هو أبلغ في التوبيخ، كأنه يقول: خرجتم عن حدود الإنسانية إلى مرتبة البهيمية بعدوانكم وارتكابكم هذه الجريمة الشنيعة؛ فالذكر من الحيوان يأنف عن إتيان الذكر، وأنتم فعلتم ما يتورع عنه الحيوان^(١).

- وقال تعالى في آية أخرى مخبراً عن نبيه لوط عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَاهُ مِنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِتْنَهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]، وكان اسم قريتهم سدوم، وكان أهلها يعملون الخبائث التي ذكرها الله تعالى في كتابه، كانوا يأتون الذكور من العالمين في أدبارهم، ويتضارطون في أنديتهم مع أشياء أخرى كانوا يعملونها من المنكرات.
- وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: عشر خصال من أعمال قوم لوط: تصفيف الشعر، وحل الأزرار، ورمي البندق، والحذف بالحصي، واللعب بالحمام الطيارة، والصغير بالأصابع، وفرقة الأكعب، وإسبال الإزار، وحل أزر الأقبية، وإدمان شرب الخمر، وإتيان الذكور.

وستزيد عليها هذه الأمة مساحقة النساء للنساء.

- وروى أن «سحاق النساء بينهن زنا».
- وروى كذلك: «أن أربعة يصبحون في غضب الله ويمسسون في سخط الله تعالى: المتشبهون من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، والذي يأتي البهيمة، والذي يأتي الرجال، يعني: اللواط».
- وروى أنه إذا ركب الذكر الذكر اهتز عرش الرحمن خوفاً من غضب الله تعالى، وتكاد السموات أن تقع على الأرض، فتمسك الملائكة بأطرافها، وتقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها، حتى يسكن غضب الله عز وجل.

(١) صفوة التفاسير (٩٨٨).

وجاء في الأثر: «سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار في أول الداخلين إلا أن يتوبوا، ومن تاب تاب الله عليه: الناكح يده والفاعل والمفعول به، ومدمن الخمر، والضارب والديه حتى يستغيثا، والمؤذي جيرانه حتى يلعنه الناس، والناكح حليمة جاره»^(١).

- وروى أن قومًا يُحشرون يوم القيامة، وأيديهم حبالي من الزنا كانوا يعبثون في الدنيا بمذاكيرهم.

- وروى أن من أعمال قوم لوط: اللعب بالنرد، والمسابقة بالحمام، والمهارشة بين الكلاب، والمناطحة بين الكباش، والمناقرة بالديوك، ودخول الحمام بلا منزر، ونقص الكيل والميزان، ويل لمن فعلها.

- وفي الأثر: من لعب بالحمام القلابة، لم يمت حتى يذوق ألم الفقر.

- وقال ابن عباس رضي الله عنه: (إن اللوطي إذا مات من غير توبة فإنه يمسح في قبره خنزيرًا).

- وقال عليه السلام: «لا ينظر الله عز وجل إلى رجل أتى رجلاً، أو امرأة في دبرها» رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه. (٢٠٠/٣)

- وقال أبو سعيد الصعلوكي: سيكون في هذه الأمة قوم يقال لهم: اللوطيون، وهم على ثلاثة أصناف: صنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث.

- والنظر بشهوة إلى المرأة والأمرد زناً؛ لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة: فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه» رواه مسلم والبخاري. (٦٤/٣)

(١) عزاه في التلخيص لأبي الشيخ وجعفر الغريابي من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً، قال: وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف (١٨٨/٢) لكن قال الشيخ الغماري في الاستقصاء (٣٦): هو حسن الحديث في المتابعات، كما قال الحافظ الهيثمي في غير موضع من مجمع الزوائد: بل حسن له أحاديث انفرد بها، إلى أن قال: فبانضمام هذين الطريقين - يعني هذا الطريق وطريقاً آخر ذكره - يكون الحديث من قبيل الحسن لغيره، وهو حجة بلا نزاع.

- ولأجل ذلك بالغ الصالحون في الإعراض عن المردان، وعن النظر إليهم، وعن مخالطتهم ومجالستهم.
- قال الحسن بن ذكوان: لا تجالسوا أولاد الأغنياء؛ فإن لهم صور العذارى، فهم أشد فتنة من النساء.
- وقال بعض التابعين: ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضارٍ مني عليه من الغلام الأمرد يقعد إليه.
- وكان يقال: لا يبيتن رجل مع أمرد في مكان واحد.
- وحرم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد في بيت أو حانوت أو حمام قياسًا على المرأة؛ لأن النبي ﷺ قال: «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم» متفق عليه. (٥٨٠)
- وفي المردان من يفوق النساء بحسنه، فالفتنة به أعظم وأنه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن في حق النساء ويتسهل في حقه من طريق الريبة والشر ما لا يتسهل في حق المرأة، فهو بالتحريم أولى.
- وأقاويل السلف في التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر، وسموهم الأثنان؛ لأنهم مستقذرون شرعًا، وسواء فيما ذكرناه نظر المنسوب إلى الصلاح وغيره.
- ودخل سفيان الثوري الحَمَّام، فدخل عليه صبي حسن الوجه، فقال: أخرجوه عني، أخرجوه عني، فإني أرى مع كل امرأة شيطانًا، وأرى مع كل صبي حسن بضعة عشر شيطانًا.
- وجاء رجل إلى الإمام أحمد رحمته الله ومعه صبي حسن، فقال الإمام: ما هذا منك؟ قال: ابن أختي.
- قال: لا تجئ به إلينا مرة أخرى، ولا تمس معه في طريق؛ لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوءًا.
- وأنشدوا شعرًا:
- كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغير موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ما ضر خاطره لا مرجأ بسرور عاد بالضرر

- وكان يقال: النظر بريد الزنا.

- ورؤي: النظر سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركه لله، أورث الله قلبه عبادة يجد حلاوتها في قلبه.

- وأجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فهو لوطي مجرم.

فصل

في عقوبة من أمكن من نفسه طائعاً

- عن خالد بن الوليد: كتب إلى أبي بكر الصديق أنه وجد رجلاً في بعض نواحي العرب يُنكح كما تُنكح المرأة، فجمع لذلك أبو بكر أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم علي بن أبي طالب فقال علي: إن هذا ذنب لم تعمل به إلا أمة واحدة، ففعل الله بهم ما قد علمتم أرى أن تحرقه بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ أن يحرق بالنار، فأمر به أبو بكر أن يحرق بالنار، رواه البيهقي وغيره بإسناد جيد. (٢٠٠-١٩٩/٣)

- وقال علي رضي الله عنه: من أمكن من نفسه طائعاً حتى ينكح، ألقى الله عليه شهوة النساء وجعله شيطاناً رجياً في قبره إلى يوم القيامة.

- ومما رؤي: أن عيسى ابن مريم عليه السلام مر في سياحته على نار توقد على رجل فأخذ عيسى عليه السلام ماء ليطفئ عنه، فانقلب النار صيباً وانقلب الرجل ناراً، فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك، وقال: يا رب ردهما إلى جاهلتهما في الدنيا، لأسألهما عن خبرهما، فأحيهما الله تعالى، فإذا هما رجل وصبي، فقال لهما عيسى عليه السلام: ما خبركما؟ فقال الرجل: يا روح الله إني كنت في الدنيا مبتلى بحب هذا الصبي، فحملتني الشهوة أن فعلت به الفاحشة، فلما أن مت ومات الصبي، صير ناراً تحرقني مرة، وأصير ناراً أحرقة مرة، فهذا عذابنا إلى يوم القيامة، نعوذ بالله من عذاب الله، ونسأله العفو والعافية، والتوفيق لما يحب ويرضى.

فصل

- ويلتحق باللواط إتيان المرأة في دبرها، وذلك مما حرمه الله ورسوله.
- قال الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُكُمْ خَزَنَتُ لَكُمْ فَاَتُوا خَزَنَتَكُمْ اَنۢى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، أي: كيف شئتم مقبلين ومدبرين، في صمام واحد، أي: موضع واحد.
- وسبب نزول هذه الآية:
- أن اليهود في زمن النبي ﷺ كانوا يقولون: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، فأنزلت هذه الآية تكذيباً لهم، ﴿يَسْأَلُكُمْ خَزَنَتُ لَكُمْ فَاَتُوا خَزَنَتَكُمْ اَنۢى شِئْتُمْ﴾: إن شاء مجيبة، وإن شاء غير مجيبة غير أن ذلك في صمام واحد، أخرجه مسلم^(١) عن جابر ؓ.
- وفي رواية: «اتقوا الدبر والحیضة»^(٢).
- وقوله: (صمام واحد)، أي: في موضع واحد، وهو الفرج؛ لأنه موضع الحرث، أي: موضع زرع الولد.
- وأما الدبر: فإنه محل النجوى، وذلك خبيث مستقذر.
- فقد روى أبو هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ملعون من أتى امرأته في دبرها» أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه^(٣).
- وعن عقبة بن عامر ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الذين يأتون النساء في محاشهن» رواه الطبراني من رواية عبد الصمد بن الفضل^(٤) (٢٠١/٣)
- فمن جامع امرأته في دبرها فهو ملعون وداخل في هذا الوعيد الشديد.
- وكثير من الجهال واقعون في هذه المعاصي، وذلك من قلة معرفتهم وسماهم للعلم؛ ولذلك قال أبو الدرداء: كن عالماً أو متعلماً، أو مستمعاً، أو محباً، ولا تكن الخامس فهلك،

صحيح مسلم (١٠/٦-٧).

(٢) عزه في المتن إلى أحمد والترمذي ونقل قوله حديث حسن غريب (٦/٢٠٣-٢٠٤) نيل الأوطار.

(٣) مختصر السنن (٣/٧٧-٧٩).

(٤) قال المنذري: لا بأس به لرأيه جرحاً (٤/٢٨٧).

وهو الذي لا يعلم ولا يتعلم، ولا يستمع ولا يحب من يعمل ذلك، ويجب على العبد أن يتوب إلى الله من جميع الذنوب والخطايا، ويسأل الله العفو عما مضى منه في جهله، والعافية فيما بقى من عمره اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة إنك أرحم الراحمين!!

الكبيرة السابعة والخمسون

السرقه

- قال الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أي: كل من سرق رجلاً كان أو امرأة، فاقطعوا يده مجازاة لما على فعلهما القبيح ﴿تَكْلًا مِّنْ آلِهَةٍ﴾ أي: عقوبة من الله، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في انتقامه من السارق ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما أوجه من قطع يده [المائدة: ٣٨]
- قال ابن شهاب: نكل الله بالقطع في سرقة أموال الناس، وقال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولكن التوبة معروضة بعد» رواه مسلم وأبو داود. (١٨٠ / ٣)
- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قطع في مجن^(١) ثمنه ثلاثة دراهم، رواه الجماعة^(٢).
- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً، رواه الجماعة إلا ابن ماجه^(٣)، وفي رواية النسائي - مرفوعاً -: «لا يقطع يد السارق، فيما دون ثمن المجن» قيل لعائشة: ما ثمن المجن؟ قالت: ربع دينار.
- وفي رواية الإمام أحمد مرفوعاً: «اقطعوا في ربع دينار، ولا تقطعوا فيما هو أدنى من ذلك»، وكان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم، والدينار: اثنا عشر درهماً^(٤).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله السارق: يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده» قال الأعمش: كانوا يرون أنه بيض الحديد، والحبل: كانوا يرون أن منها ما يساوي دراهم، رواه البخاري ومسلم وأحمد^(٥).

(١) قوله: مجن (بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون): وهو الترمس (١٢٤ / ٧) نيل الأوطار.

(٢) نيل الأوطار (١٢٤ / ٧).

(٣) نيل الأوطار (١٢٤ / ٧).

(٤) نيل الأوطار (١٢٤ / ٧).

(٥) نيل الأوطار (١٢٤ / ٧).

- وعن عائشة قالت: كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع، وتجمعه فأمر النبي ﷺ بقطع يدها، فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه، فكلّم النبي ﷺ فيها: فقال له النبي ﷺ: «يا أسامة لا أراك تشفع في حد من حدود الله عز وجل» ثم قام النبي ﷺ، خطيباً، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، والذي نفسي بيده: لو كانت فاطمة بنت محمد، لقطعت يدها، فقطع يد المخزومية» رواه أحمد ومسلم والنسائي^(١).

قال العلماء: ولا تنفع السارق توبته إلا أن يرد ما سرقه، فإن كان مفلساً تحلل من صاحب المال والله أعلم.

(١) نيل الأوطار (٧/١٣١).

الكبيرة الثامنة والخمسون

قطع الطريق

- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِمَّنْ خَلَفَ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣].

- قال الواحدي رحمه الله: معنى ﴿ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾: يعصونها، ولا يطيعونها: كل من عصاك فهو محارب لك.

﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ﴾، أي: بالقتل والسرقة وأخذ الأموال، وكل من أخذ السلاح على المؤمنين، فهو محارب لله ورسوله، وهذا قول مالك والأوزاعي والشافعي، قوله تعالى: ﴿ أَنْ يُقَتَّلُوا .. ﴾، إلى قوله: ﴿ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾.

قال الوالبي: عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أو) دخلت للتخيير، ومعناها: الإباحة، إن شاء الإمام قتل، وإن شاء صلب، وإن شاء نفى، وهذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد، وقال في رواية عطية: (أو) ليست للإباحة، إنما هي مرتبة الحكم باختلاف الجنايات:

فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب.

ومن أخذ المال ولم يقتل قطع.

ومن سفك الدم، وكف عن الأموال قتل.

ومن أخاف السبيل، ولم يقتل نفى من الأرض.

وهذا مذهب الشافعي رحمه الله.

وقال الشافعي أيضًا: يحدُّ كل واحد بقدر فعله.

فمن وجب عليه القتل، والصلب: قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثًا، ثم

ينزل.

ومن وجب عليه القتل دون الصلب: قتل، ودفع إلى أهله يدفونه.

ومن وجب عليه القطع دون القتل: قطعت يده اليمنى، ثم حسمت فإن عاد وسرق
ثانيًا: قطعت رجله اليسرى، فإن عاد وسرق: قطعت يده اليسرى.

لأنه فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولا يخالف لهما من الصحابة، وجه كونها اليسرى، اتفاق
من صار إلى قطع الرجل بعد اليد على أنها اليسرى، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿مَنْ خَلَفَ﴾،
وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾، قال ابن عباس: هو أن يهدر الإمام دمه، فيقول:
من لقيه فليقتله، هذا فيمن لا يقدر عليه.

فأما من قبض عليه: فنفيه من الأرض الحبس والسجن؛ لأنه إذا حبس، ومنع من
التقلب في البلاد، فقد نفي منها.

أنشد ابن قتيبة لبعض المسجونين شعراً:

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلسنا من الأموات فيها ولا الأحياء^(١)
إذا جاءنا السجّان يوماً لحاجة عجبنا وقلنا: جاء هذا من الدنيا

- فبمجرد قطع الطريق وإخافة السبيل قد ارتكب الكبيرة، فكيف إذا أخذ المال أو جرح
أو قتل؟ فقد فعل عدة كبائر مع ما غالبهم عليه من ترك الصلاة، وإنفاق ما يأخذونه في
الخمر والزنا واللواط وغير ذلك، نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة، إنه جواد كريم
غفور رحيم.

(١) هذا هو الصواب وهو في المحاسن والأضداد (٣٠) ونسبه لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والتنبيه
لأبي السيد (٢٩) وتفسير القرطبي (١٥٣/٦) غير منسوب فيها والزواج (٥٦٧) منسوباً لصالح بن عبد القدوس، وفي
(الموتى عليه) بدلاً من (الأموات فيها). وفي الأصل: الأحياء فيها ولا الموتى، وهو كذلك في تأويل مشكل القرآن
(٤٠٠) والقرطبي (١/١٤١) وإعراب ثلاثين سورة (١٧٣).

الكبيرة التاسعة والخمسون

شرب الخمر

- قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَالْأَنْصَابِ وَالْأَزْلَمِ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَبِهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، فقد نهى عز وجل في هذه الآية عن الخمر وحذر منها.

- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر» رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد^(١). (١٨٣/٣)

فمن لم يجتنبها فقد عصي الله ورسوله واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: (لما حرمت الخمر مشى أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم إلى بعض، وقالوا: حرمت الخمر وجُعِلت عدلاً للشرك) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح^(٢). (١٨٥/٣)

- وهي بلا ريب أم الحبائث، وقد لعن شاربيها في غير حديث.

- وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا غمات وهو يدمنها، لم يشربها في الآخرة» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي. (١٨٢/٣)

- وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام، وإن عند الله عهداً لمن يشرب المسكر، أن يسقيه من طينة الخبال» قيل: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار».

(١) وأقره الذهبي (١٤٥/٤).

(٢) وخرجه الحاكم (١٤٤/٤) وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي.

- وروى مسلم كذلك أنه ﷺ قال: «من شرب الخمر في الدنيا، ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة».

(١٨٢/٣)

ذكر أن مدمن الخمر كعابد وثن

- عن ابن عباس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقي الله مدمن خمر لقيه كعابد وثن» رواه ابن حبان في صحيحه^(١).

(١٨٣/٣)

ذكر أن مدمن الخمر إذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة

روى ابن ماجه من حديث أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة مدمن خمر»^(٢).

وفي رواية: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بسحر» رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات^(٣).

ذكر أن السكران لا يقبل الله منه حسنة

عن جابر بن عبد الله ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة، ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة: العبد الأبق حتى يرجع إلى مواله فيضع يده في أيديهم، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى، والسكران حتى يصحو» رواه الطبراني في الأوسط^(٤) وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والبيهقي.

(١٨٦/٣)

وعن ابن عمر ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد في الرابعة لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب لم يتب الله عليه، وغضب الله عليه وسقاه من نهر

(١) يشبه أن يكون معناه: من لقي الله مدمن خمر مستحلًا لشربه لقيه كعابد وثن؛ لاستوائها في حالة الكفر، نقله الضياء عن ابن حبان كما في السلسلة الصحيحة (٢٣٥).

(٢) قال البوصيري: إسناده حسن، وسليمان بن عتبة مختلف فيه وباقي رجال الإسناد ثقات (١١٢٠/٢).

(٣) مجمع الزوائد (٧٤/٥).

(٤) قال الهيثمي (١٣١٣/٤): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن عقيل وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقيّة رجاله ثقات.

الخبال»، قيل: يا أبا عبد الرحمن، وما نهر الخبال؟ قال: نهر يجري من صديد أهل النار، رواه الترمذي وحسنه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد^(١). (١٨٨/٣)

ذكر أن من شرب الخمر لا يكون مؤمناً حين يشربها

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولكن التوبة معروضة بعد» رواه البخاري ومسلم وأبو داود. (١٨٠/٣)

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه» رواه الحاكم وصححه على شرط مسلم^(٢). (١٨٢/٣)

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بسحر، ومن مات مدمن خمر سقاه الله من نهر الغوطة» قيل: وما نهر الغوطة؟ قال: «نهر يجري من فروج المومسات يؤذي أهل النار بريح فروجهن» رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات^(٣).

ذكر من لعن في الخمر

روى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيا ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعصرها وحاملها والمحمولة إليه» زاد ابن ماجة: «.. وأكل ثمنها». (١٨٠/٣)

ورواه الإمام أحمد بسند صحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل فقال: يا محمد إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقيا ومسقاها» وصححه ابن حبان والحاكم^(٤). (١٨١/٣)

(١) وأقره الذهبي (١٤٦/٤).

(٢) وأقره الذهبي (٢٢/١).

(٣) مجمع الزوائد (٧٤/٥).

(٤) وأقره الذهبي (١٤٥/٤).

ذكر النهي عن عيادة شربة الخمر إذا مرضوا وكذلك لا يسلم عليهم

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «لا تعودوا شراب الخمر إذا مرضوا».

قال البخاري: وقال ابن عمر: «لا تسلموا على شربة الخمر».

وجاء في المرويات: لا تجالسوا شراب الخمر، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تشهدوا جنازتهم، وإن شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسودًا وجهه مدلعا لسانه على صدره، يسيل لعابه يقذره كل من رآه وعرفه أنه شارب خمر.

قال بعض العلماء: إنما نهى عن عيادتهم والسلام عليهم؛ لأن شارب الخمر فاسق ملعون قد لعنه الله ورسوله كما تقدم في قوله: «لعن الله الخمر وشاربها» فإن اشتراها وعصرها، كان ملعونًا مرتين، وإن سقاها لغيره كان ملعونًا ثلاث مرات، فلذلك نهى عن عيادته والسلام عليه إلا أن يتوب، فمن تاب تاب الله عليه.

ذكر أن الخمر لا يحل التداوي بها

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: اشتكت ابنة لي فنبذت لها في تور فدخل النبي ﷺ وهو يغلي، فقال: «ما هذا؟» فقلت: إن ابنتي اشتكت، فنبذت لها هذا، فقال: «إن الله عز وجل لم يجعل شفاءكم في حرام» رواه أبو يعلى والبخاري إلا أنه قال: (في كوز) بدل (في تور) ورجال أبي يعلى رجال الصحيح خلا حسان بن مخارق، وقد وثقه ابن حبان ^(١).

وعن وائل بن حجر أن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي ﷺ عن الخمر فنهاه عنها فقال: إنما أصنعها للدواء، قال: «إنه ليس بدواء ولكنه داء» رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه ^(٢).

(١) مجمع الزوائد (٥/٨٦).

(٢) نيل الأوطار (٨/٢٠٣).

ذكر بعض الآثار المروية في الخمر

رُوي أن من كان في صدره آية من كتاب الله وصب عليها الخمر يجيء يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فيأخذ بناصيته حتى يوقفه بين يدي الله تبارك وتعالى فيخاصمه، ومن خاصمه القرآن خصم، فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة.

ورُوي أنه ما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا إلا جمعهم الله في النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون، يقول أحدهم للآخر: يا فلان لا جزاك الله عني خيرًا فأنت الذي أوردتني هذا المورد، ويقول له الآخر مثل ذلك.

ورُوي أنه من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الأسود^(١) شربة يتساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها، فإذا شربها تساقط لحمه وجلده، يتأذى به أهل النار.

ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه، وأكل ثمنها شركاء في إثمها، لا يقبل الله منهم صلاة ولا صومًا ولا حجًّا حتى يتوبوا، فإن ماتوا قبل التوبة كان حقًّا على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها في الدنيا من صديد جهنم، ألا وكل مسكر خمر وكل حمر حرام.

ورُوي: أن شربة الخمر إذا أتوا على الصراط يتخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوها من الخمر شربة من نهر الخبال، فلو أن تلك الشرب تصب من السماء، لأحرقت السموات من حرها، نعوذ بالله منها.

وقال عبد الله بن أبي أوفى: من مات مدمن الخمر، مات كعابد اللات والعزى، قيل: أرأيت مدمن الخمر، هو الذي لا يستفيق من شربها؟ قال: لا، ولكن هو الذي يشربها إذا وجدها، ولو بعد سنين.

(١) الأسود: جمع أسودة أثنى الأسود وهو العظيم من الحيات (اللسان).

فصل

وقد ذهب عبد الله بن عمر إلى أن الخمر أكبر الكبائر؛ فقد روى الطبراني بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن أبا بكر وعمر وناسًا جلسوا بعد وفاة النبي ﷺ فذكروا أعظم الكبائر فلم يكن عندهم فيها علم، فأرسلوني إلى عبد الله بن عمر وأسأله فأخبرني أن «أعظم الكبائر شرب الخمر»، فأتيتهم فأخبرتهم، فأنكروا ذلك، ووثبوا إليه شيعًا حتى أتوه في داره.

فأخبرهم أن رسول الله ﷺ قال: «إن ملكًا من ملوك بني إسرائيل أخذ رجلًا فخيره بين أن يشرب الخمر، أو يقتل نفسًا، أو يزي، أو يأكل لحم خنزير، أو يقتلوه فاختر الخمر، فلما شرب الخمر لم يمتنع من شيء أرادوه منه».

وأن رسول الله ﷺ: «ما من أحد يشربها فتقبل له صلاة أربعين ليلة، ولا يموت وفي مثانته منه شيء إلا حُرمت بها عليه الجنة، فإن مات في أربعين ليلة مات ميتة جاهلية» وصححه الحاكم على شرط مسلم^(١). (١٨٤/٣)

فصل

والخمر ما خامر العقل، أي: غطاه سواء كان رطبًا أو يابسًا، أو مأكولًا أو مشروبًا، والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر، يُحَدُّ شاربها، كما يُحَدُّ شارب الخمر؛ لدخولها في عموم قوله ﷺ: «كل مسكر خمر»، وهي أخبث من الخمر، من جهة أنها تفسد العقل والمزاج، حتى يصير في الرجل تخنث وديانة، وغير ذلك من الفساد، والخمر أخبث من جهة أنها تفضي إلى المخاصمة والمقاتلة، وكلاهما يصد عن ذكر الله، وعن الصلاة^(٢)، لكن لما كانت جامدة مطعومة ليست شرابًا تنازع العلماء في نجاستها على ثلاثة أقوال في مذهب الإمام أحمد وغيره.

(١) وسكت عنه الذهبي (١٤٧/٤).

(٢) وقد توقف بعض الفقهاء المتأخرين في حدها، ورأى أن أكلتها تعزرها دون الحد حيث ظلها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاً، وليس كذلك، بل أكلتها ينشون منها، ويشتهونها كشراب الخمر وأكثر، وتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثروا منها، مع ما فيها من المفاصد الأخرى من الديانة، والخنث وفساد المزاج والعقل وغير ذلك.

فقيل: هي نجسة كالخمر المشربة وهذا هو الاعتبار الصحيح، وقيل: لا؛ لجمودها، وقيل: يفرق بين جامدها ومائعها، وبكل حال، فهي داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظاً ومعنى.

وقال أبو موسى: يا رسول الله أفتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن: البتّع وهو من العسل ينبذ حتى يشتد، والمززر: وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد، قال: وكان رسول الله ﷺ قد أعطي جوامع الكلم بخواتمه، فقال: «أنهى عن كل مسكر أسكر عن الصلاة» رواه مسلم^(١).

وقال ﷺ: «ما أسكر كثيره، فقليله حرام» رواه أحمد وابن ماجه والدارقطني وصححه عن ابن عمر^(٢)، ولم يفرق ﷺ بين نوع ونوع لكونه مأكولاً أو مشروباً، على أن الخمر قد يصطبغ بها يعني الخبز وهذه الحشيشة قد تذاب بالماء وتشرب، والخمر يشرب ويؤكل، والحشيشة تشرب وتؤكل، وإنما لم يذكرها العلماء؛ لأنها لم تكن على عهد السلف الماضين، وإنما حدثت في مجيء التتار إلى بلاد الإسلام.

وقد قيل في وصفها شعر:

قل لمن يأكل الحشيشة جهلاً عشت في أكلها بأقبح عيشة
قيمة المرء جوهر فلماذا يا أخا الجهل بعته بحشيشة؟

فوالله ما فرح إبليس بمثل فرحه بالحشيشة؛ لأنه زينها للأنفس الخسيسة فاستحلوها واسترخصوها.

فأكلها وزارها حلالاً قتلك على الشقي مصيبتان

(١) صحيح مسلم (١٣/١٧١).

(٢) نيل الأوطار (٨/١٧٩-١٨٠).

عبر في الحكايات

١- عن عبد الملك بن مروان أن شابًا جاء إليه باكيًا حزينًا، فقال: يا أمير المؤمنين إني ارتكبت ذنبًا عظيمًا، فهل لي من توبة؟ قال: وما ذنبك؟ قال: ذنبي عظيم، قال: وما هو؟ فتب إلى الله تعالى، فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، قال: يا أمير المؤمنين كنت أنبش القبور، وكنت أرى فيها أمورًا عجيبة، قال: وما رأيت؟

قال: يا أمير المؤمنين نبشت ليلة قبرًا فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه، وأردت الخروج، وإذا أنا بقائل يقول في القبر: ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة؟ فقلت: لماذا حول؟ قال: لأنه كان مستخفًا بالصلاة، هذا جزاء مثله،

ثم نبشت قبرًا آخر، فرأيت صاحبه قد حول خنزيرًا، وقد شُدَّ بالسلاسل والأغلال في عنقه، فخفت منه وأردت الخروج.

وإذا بقائل يقول لي: ألا تسأل عن عمله؟ ولماذا يعذب؟ فقلت: لماذا؟ فقال: كان يشرب الخمر في الدنيا، ومات من غير توبة.

والثالث يا أمير المؤمنين نبشت قبرًا، فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتار من نار، وأخرج لسانه من قفاه؛ فخفت ورجعت، وأردت الخروج، فنوديت: ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلى؟ فقلت: لماذا؟ فقال: كان لا يتحرز من البول، وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله.

والرابع يا أمير المؤمنين نبشت قبرًا فوجدت صاحبه قد اشتعل نارا فخفت منه، وأردت الخروج، فقييل: ألا تسأل عنه وعن حاله؟ فقلت: وما حاله؟ فقال: كان تاركًا للصلاة،

والخامس يا أمير المؤمنين نبشت قبرًا فرأيت قد وسع على الميت مد البصر، وفيه نور ساطع، والميت نائم على سرير، وقد أشرق نوره، وعليه ثياب حسنة، فأخذتني منه هيبه وأردت الخروج، فقييل لي: هلا تسأل عن حاله، لماذا أكرم بهذه الكرامة؟ فقلت: لماذا أكرم؟ فقييل لي: لأنه كان شابًا طائعًا نشأ في طاعة الله عزَّ وجلَّ وعبادته.

فقال عبد الملك عند ذلك: إن في ذلك لعبرة للعاصين وبشارة للطائعين، فالواجب على المبتلى بهذه المعائب المبادرة إلى التوبة والطاعة، جعلنا الله وإياكم من الطائعين، وجنبنا أفعال الفاسقين، إنه جواد كريم.

٢- عن الفضيل بن عياض أنه حضر عند تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة، ولسانه لا ينطق بها، فكررها عليه، فقال: لا أقولها، وأنا بريء منها، فخرج الفضيل من عنده، وهو يبكي، ثم رآه بعد مدة في منامه، وهو يسحب إلى النار، فقال: يا مسكين؛ بم نزعْتَ منك المعرفة؟ فقال: يا أستاذ، كان بي علة، فأتيت بعض الأطباء، فقال لي: تشرب في كل سنة قدحاً من الخمر، وإن لم تفعل تبقى بك علتك، فكنت أشربها كل سنة للتداوي، فهذا حال من يشربها للتداوي، فكيف حال من يشربها لغير ذلك؟ نسأل الله العفو والعافية من كل بلاء.

٣- سُئِلَ بعض التائين عن سبب توبته، فقال: كنت أنبش القبور، فرأيت فيها أمواتاً مصروفين عن القبلة، فسألت أهلهم عنهم قالوا: كانوا يشربون الخمر في الدنيا، وماتوا من غير توبة.

٤- وقال بعض الصالحين: مات لي ولد صغير، فلما دفنته، رأيته بعد موته في المنام، وقد شاب رأسه، فقلت: يا ولدي، دفتك وأنت صغير فما الذي شبيك؟ فقال: يا أبت دفن إلى جانبي رجل ممن كان يشرب الخمر في الدنيا فزفرت جهنم لقدمه زفرة لم يبقَ منها طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها، نعوذ بالله منها، ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب في الآخر فالواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى، قبل أن يُدركه الموت، وهو على أشْر حالة، فيلقى في النار، نعوذ بالله منها.

الكبيرة الستون التشع على الناس ما يسرون

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]، قال ابن الجوزي رحمته: قرأ أبو زيد والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء، قال: أبو عبيدة: التجسس والتجسس واحد وهو البحث، ومنه الجاسوس، وقال يحيى بن أبي كثير: التجسس (بالجيم) عن عورات الناس، (وبالحاء): الاستماع لحديث القوم، قال المفسرون: التجسس: البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم، فالمعنى: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه؛ ليطلع عليه إذا ستره الله، وقيل لابن مسعود: هذا الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرًا، قال: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به. (٥٦٠)

وقال رسول الله ﷺ: «من استمع إلى حديث قوم، وهم له كارهون ضُِبَّ في أذنيه الآنك يوم القيامة» أخرجه البخاري عن ابن عباس.
والآنك: الرصاص المذاب، نعوذ بالله منه، (٥٤٥) ونسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

موعظة

عباد الله ...

إن المنايا قد دقت واقتربت .. فالنفوس رهينة قد جمعت وتعبت.
كأنكم بأكف الردئ قد أخذت وسلبت .. رب شمس طالعة على القبر قد غربت.
يا فراخ الفنا .. فخاخ البلى قد نصبت.
عباد الله .. كل المعاصي قد سطرت وكتبت.
والنفوس رهينة بما جنت واكتسبت .. لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت.
يا من يغتر بالأمانى والآمال الكواذب .. ومبارزًا بالقبائح، وما يدري من يحارب.

يا حاضر البدن غير أن القلب غائب .. أرضيت أن تفوتك الخيرات والرغائب؟
يا من عمره يقنى في ممره ويسري كالنجائب^(١).
يا من شاب وما تاب، هذا من العجائب.
يا عجبًا كيف نام المطلوب، وما غفل الطالب!

(١) النجائب: (جمع نجيب) عتاق الإبل التي يسابق عليها.

الكبيرة الحادية والستون

الفرار من الزحف

إذ لم يزد العدو على ضعف المسلمين

إلا متحرفاً لقتال أو متحيراً إلى فئة وإن بعدت

قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا ۖ أَي: إذا لقيتم أعداءكم الكفار مجتمعين، كأنهم يزحفون زحفاً ۖ فَلَا تُولُوهُمْ الْاَدْبَارَ ۖ أَي: فلا تنهزموا أمامهم، بل اثبتوا واصبروا، ۖ وَمَنْ يُؤْلِمِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرَةً ۖ أَي: ومن يولهم يوم اللقاء ظهره منهزماً، ۖ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ ۖ أَي: إلا في حالة التوجه لقتال طائفة أخرى، أو بالفر للكر، بأن يخيل لعدوه أنه منهزم ليغره مكيدة، ۖ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِئَةٍ ۖ أَي: منضماً إلى جماعة المسلمين يستنجد بهم، ۖ فَقَدْ بَاءَ بِقَضِيٍّ مِّنَ اللَّهِ ۖ أَي: فقد رجع بسخط عظيم، ۖ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمَ ۖ أَي: مقره ومسكنه الذي يأوي إليه نار جهنم، ۖ وَيَنفَسُ االنَّصِمُ ۖ [الأنفال: ١٥، ١٦]، أي: بشس المرجع والمآل^(١).

وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٥١/٤)

وعن ابن عباس ؓ قال: لما نزلت ﴿إِنْ يَكُن مِّنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ فكتب الله عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين، ثم نزلت: ﴿اَلْفَنَ خَفَّفَ اَللّٰهُ عَنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٥-٦٦] فكتب ألا يفر مائة من مائتين، رواه البخاري وأبو داود^(٢).

(١) صفوة التفاسير (٤٩٧).

(٢) نيل الأوطار (٢٥٢/٧).

الكبيرة الثانية والستون

الغلول من الغنيمة

وهي من بيت المال ومن الزكاة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾، أي: ما صح ولا استقام شرعاً ولا عقلاً لنبي من الأنبياء أن يخون في الغنيمة والنفي هنا نفي للشأن، وهو أبلغ من نفي الفعل؛ لأن المراد أنه لا يتأتى ولا يصح أن يتصور فضلاً عن أن يحصل ويقع، ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]، أي: ومن يخن من غنائم المسلمين شيئاً، يأت حاملاً له على عنقه يوم القيامة، فضيحة له على رءوس الأشهاد^(١).

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، أي: لا يحب من ليس عنده وفاء ولا عهد^(٢).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فذكر الغلول فعظمه، وعظم أمره حتى قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، فيقول: يا رسول الله أغثنّي، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حممة، فيقول: يا رسول الله أغثنّي، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها نغاء، فيقول: يا رسول الله أغثنّي، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتكَ. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله أغثنّي، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق، فيقول يا رسول الله أغثنّي، فأقول: لا أملك لك شيئاً. قد أبلغتكَ لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت يا رسول الله أغثنّي، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتكَ.»

لا ألفين: لا أجدن.

(١) صفوة التفاسير (٢٢٤).

(٢) صفوة التفاسير (٥١١).

الرغاء: (بضم الراء وبالغين المعجمة والمد): هو صوت الإبل وذوات الخف، والحمحة: (بحاءين مهملتين مفتوحتين) هو صوت الفرس.

والثغاء (بضم المثلثة وبالغين المعجمة والمد): هو صوت الغنم، والرقاع (بكسر الراء جمع رقعة) وهي ما تكتب فيه الحقوق، وتحقق: تتحرك وتضطرب، والصامت: الذهب أو الفضة: (١٨٧/٢)

فمن أخذ شيئاً من هذه الأنواع المذكورة: من الغنمة قبل أن تقسم بين الغانمين، أو من بيت المال بغير إذن الإمام أو من الزكاة التي تجمع للفقراء جاء يوم القيامة حامله على رقبته كما ذكر الله تعالى في القرآن: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

ولقول النبي ﷺ لما استعمل ابن اللثبية على الصدقة وقدم وقال: هذا لكم، وهذا أهدي إليّ، فصعد النبي ﷺ المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بغيراً له رُغاء أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر»، ثم رفع يديه حتى روى بياض إبطيه يقول: «اللهم هل بلغت» رواه البخاري ومسلم وأبو داود من حديث ابن حميد الساعدي، قوله: تيعر بمثناة فوق مفتوحة، ثم مثناة تحت ساكنة، ثم عين مهملة مفتوحة وقد تكسر، أي: تصيح، واليعار: صوت الشاة. (٢٧٦/١)

وعن أبي هريرة ؓ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خير، ففتح الله علينا، فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً، غنمنا المتاع والطعام والثياب، ثم انطلقنا إلى الوادي يعني: واد القرى، ومع رسول الله ﷺ عبد له، وهبه له رجل من بني جذام يدعى رفاعه بن يزيد من بني الضبيب، فلما نزلنا الوادي قام عند رسول الله ﷺ يحل رحله فُرِي بسهم، فكان فيه حتفه، فقلنا: هنيئاً له الشهادة يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «لا والذي نفس محمد بيده، إن الشملة لتلتهب عليه ناراً، أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم».

قال: ففرع الناس، فجاء رجل بشارك^(١) أو شراكين، فقال: أصبت يوم خير فقال

(١) شراك النعل: سيرها الذي على ظهر القدم (المصباح).

رسول الله ﷺ: «شراك من نار، أو شراكان من نار» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

والشملة: كساء أصفر من القطيفة يتشح به. (١٨٨-١٨٧/٢)

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: كان على ثقل^(١) رسول الله ﷺ رجل يقال له: كركرة، فمات، فقال رسول الله ﷺ: «هو في النار» فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءة قد غلها، رواه البخاري. (١٨٦/٢)

وعن زيد بن خالد رضي الله عنه: أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ توفي يوم خير فذكروا الرسول الله ﷺ فقال: «صلوا على صاحبكم» فتغيرت وجوه الناس لذلك، فقال: «إن صاحبكم قد غل في سبيل الله» ففتشنا متاعه، فوجدنا خرزاً من خرز يهود لا يساوي درهمين، رواه مالك، وأحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه. (١٨٦/٢)

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «هدايا الأمراء غلول» رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن^(٢).

وقال ﷺ: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول» رواه مسلم^(٣).

قال الإمام أحمد رحمته الله: «ما نعلم أن النبي ﷺ امتنع من الصلاة عن أحد إلا عن الغال، وقاتل نفسه»، فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى إنه جواد كريم.

(١) الثقل: (بفتحين) متاع المسافر وحشمه (اللسان).

(٢) مجمع الزوائد (٤/١٥١).

(٣) صحيح مسلم (١/٢٠٤).

الكبيرة الثالثة والستون الدلالة على عورات المسلمين

فيه حديث حاطب بن أبي بلتعة، وأن عمر أراد قتله بما فعل، فمنعه رسول الله ﷺ من قتله؛ لكونه شهد بدرًا.

فقد خرَّج البخاري في صحيحه عن علي عليه السلام قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والوزير والمقداد بن الأسود، قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها» فانطلقنا تعادي بنا خيلنا، حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب ما هذا؟»، قال: يا رسول الله لا تعجل علي، إن كنت امرأةً ملصقةً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهلهم وأموالهم، فأحببت إذا فاتني ذلك النسب فيهم، أن اتخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرًا، ولا ارتدادًا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لقد صدقكم»، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»^(١).

- فإذا ترتب على جس [الjasوس] وهن الإسلام، وأهله [من] قتل، أو سبي، أو نهب، أو شيء من ذلك، فهذا ممن سعى في الأرض فسادًا وأهلك الحرث والنسل فيتعين قتله، وحق عليه العذاب، فنسأل الله العفو والعافية.

- وبالضرورة يدري كل ذي حس، أن النميمة إذا كانت من أكبر المحرمات فنميمة الجاسوس أكبر وأعظم، نعوذ بالله من ذلك، ونسأله العفو والعافية، إنه لطيف خبير، جواد كريم.

(١) هذا لفظ البخاري (٧٢/٤) روضة خاخ: موضع بين مكة والمدينة بقرب المدينة، والظعينة -هنا- الجارية، تعادي بنا خيلنا: تجري، عقاصها (بكسر العين): شعرها المصفور، أفاده النووي (١٦/٥٥-٥٦).

الكبيرة الرابعة والستون اليمين الغموس

- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ أي: عَرَضًا يسيرًا من الدنيا، وهو ما يحلفون عليه كاذبين، ﴿ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ أي: لا نصيب لهم في الآخرة، ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾ أي: بكلام يسرهم، ﴿ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ نظرًا يسرهم، وهو نظر الرحمة، ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ ولا يزيدهم خيرًا ولا يشئ عليهم، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٧].

قال الواحدي: نزلت في رجلين اختصما إلى النبي ﷺ في ضيعة، فهم المدعى عليه أن يحلف، فأنزل الله هذه الآية فنكل المدعى عليه عن اليمين وأقر المدعى بحقه.

-- وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف علي يمين هو فيها فاجر ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان».

فقال الأشعث: في والله كان ذلك؛ كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني أرضي، فقدمته إلى رسول الله ﷺ، فقال لي رسول الله ﷺ: «ألك بينة؟» قلت: لا، فقال لليهودي: «احلف»، فقلت: يا رسول الله إذا يحلف فيذهب مالي، فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ رواه أحمد والبخاري ومسلم^(١).

- وفي رواية لهما مرفوعًا: «من حلف علي مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله، وهو عليه غضبان»، قال عبد الله: ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾. (٤٥-٤٤/٣)

- وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة»، قالوا: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ فقال: «وإن كان قضيًا من أراك» أخرجه مسلم في صحيحه. (٤٨/٣)

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٧٥).

- قيل لحفص بن ميسرة: ما أشد هذا الحديث! فقال: أليس في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؟
- وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم»، قلت: يا رسول الله من هم؟ خسروا وخابوا، قال: وأعادهم رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال: «المسبل، والمنفق سلعته بالخلف الكاذب، والمنان» رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن.
- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس» رواه البخاري والترمذي والنسائي، والغموس: هي التي يتعمد الكذب فيها، سميت غموسًا (بفتح الغين)؛ لأنها تغمس الحالف في الإثم في الدنيا، وفي النار في الآخرة.

فصل

- ومن ذلك الحلف بغير الله عز وجل كالنبي ﷺ، والكعبة، والملائكة والسماء، والآباء والحياة والأمانة، وهي أشد ما هنا، والروح والرأس، وحياة السلطان، ونعمة السلطان، وتربة فلان.
- عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت» خرّجه البخاري ومسلم وغيرهما (٣١/٤)، وفي رواية في الصحيح: «.. فمن كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت».
- وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا بالطواغي، ولا بآبائكم» رواه مسلم، الطواغي: (جمع طاغية) وهي الأصنام.
- ومنه الحديث: «هذه طاغية دوس»، أي: صنمهم ومعبودهم.
- وروي في غير مسلم: «... بالطواغيت» جمع طاغوت، وهو الشيطان والصنم (٦٠١)
- وعن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بالأمانة فليس منا» حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح.

- وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف فقال: إني بريء من الإسلام، فإن كان كاذبًا فهو كما قال، وإن كان صادقًا، فلن يرجع إلى الإسلام سالمًا» رواه أبو داود وصححه النسائي^(١). (٦٠١)

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»، رواه الترمذي وحسنه، وابن حبان في صحيحه والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما^(٢).

قال: وفسر بعض العلماء قوله: «كفر أو أشرك» على التغليظ، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن اليسير من الرياء شرك»^(٣).

- وقال ﷺ: «من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله» رواه البخاري ومسلم^(٤).

- وقد كان في الصحابة من هو حديث عهد بالحلف بها قبل إسلامه فربما سبق لسانه إلى الحلف بها، فأمره النبي ﷺ أن يبادر بقوله: «لا إله إلا الله»؛ ليكفر بذلك ما سبق إلى لسانه، وبالله التوفيق.

(١) نقله الشوكاني (٢٣٣/٨)، ونقل المنذري تصحيح الحاكم له (٣١/٤)، وأقره الذهبي على تصحيحه على شرط البخاري ومسلم (٢٩٨/٤).

(٢) وأقره الذهبي (٢٩٧/٤).

(٣) صدر حديث خروجه الحاكم (٣٢٨/٤) وصححه وأقره الذهبي.

(٤) البخاري (١٦٥/٨)، ومسلم (١٢٦٧).

الكبيرة الخامسة والستون

الظلم في القضاء

- قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] والحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرًا ينقل عن الملة، وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة، فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاصي، ويسمى كافرًا كفرًا مجازيًا، أو كفرًا أصغر، وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه، فهذا مخطئ له أجر على اجتهداده، وخطؤه مغفور(*)
- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، أي: المبالغون في الظلم لمخالفة شرع الله^(١).
- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، أي: المتمردون الخارجون عن الإيذان وطاعة الله^(٢).
- صحح الحاكم^(٣) من حديث بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قاضيان في النار وقاضٍ في الجنة، قاضٍ قضى بالحق، فهو في الجنة، وقاضٍ قضى بجور فهو في النار، وقاضٍ قضى بجهله، فهو في النار»، قالوا: فما ذنب هذا الذي يجهل؟ قال: «ذنبه ألا يكون قاضيًا حتى يعلم».
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ولي القضاء أو جعل قاضيًا بين الناس، فقد ذبح بغير سكين» رواه أبو داود والترمذي واللفظ له، وحسنه وصححه

(*) شرح العقيدة الطحاوية (٣٠٣، ٣٠٤).

(١) صفوة التفاسير (٣٣١-٣٣٢).

(٢) صفوة التفاسير (٣٣١-٣٣٢).

(٣) وأقره الذهبي على تصحيحه على شرط مسلم (٩٠ / ٤)، وقال في الكباير وتبيين المحارم وإسناده قوي (٩٨).

الحاكم^(١)، ومعنى قوله: «ذُبِيعَ بغير سكين» أن الذبوح بالسكين يحصل به إراحة الذبيحة بتعجيل إزهاق روحها، فإذا ذُبِحت بغير سكين، كان فيه تعذيب لها، وقيل: إن الذبوح لما كان في ظاهر العرف، وغالب العادة بالسكين عدل ﷺ عن ظاهر العرف والعادة إلى غير ذلك، ليعلم أن مراده ﷺ بهذا القول ما يخاف عليه من هلاك دينه، دون هلاك بدنه، ذكره الخطابي ويحتمل غير ذلك.

(١٣١/٣)

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول «يدعى القائد العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في عمره قَطُّ» خرَّجه ابن حبان في صحيحه.

(١٣٢/٣)

- ورُوي أنه لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله.

- ورُوي أن القاضي ليزل في جهنم أبعد من عدن.

- ورُوي أنه ليس من وال ولا قاضٍ إلا يُؤْتَى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عزَّ وجلَّ على الصراط، ثم تُنشر سريره، فتُقرأ على رءوس الخلائق، فإن كان عدلاً نجاه الله بعدله، وإن كان غير ذلك انتفض به ذلك الجسر انتفاضاً، فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا، ثم ينخرق به الجسر إلى جهنم.

- وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: ينبغي للقاضي أن يكون يوماً في القضاء ويوماً في البكاء على نفسه.

- وقال محمد بن واسع رحمه الله: أول من يدعى يوم القيامة للحساب القضاء.

- وقال مكحول: لو خُيِّرَت بين القضاء وبين ضرب عنقي، لاخترت ضرب عنقي على القضاء.

- وقال أيوب السخيتاني: إني وجدت أعلم الناس أشدهم هرباً منه.

- وقيل للثوري: إن شريحاً استقضى، فقال: أي رجل قد أفسدوه!

(١) وأقره الذهبي (٩١/٤).

- ودعا مالك بن المنذر محمد بن واسع، ليجعله على قضاء البصرة، فأبى فعاوده وقال: لتجلسن، وإلا جلدتك، فقال: إن تفعل، فإنك سلطان وإن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة.

- وقال وهب بن منبه: إذا همَّ الحاكم بالجور، أو عمل به، أدخل الله النقص على أهل مملكته، حتى في الأسواق والأرزاق، والزرع والضرع، وكل شيء، وإذا همَّ بالخير أو العدل، أدخل الله البركة على أهل مملكته كذلك.

- وكتب عامل من عمال حمص إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: أما بعد... فإن مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت إلى إصلاح، فكتب إليه عمر: حصنها بالعدل، وثق طرقها من الجور، والسلام.

- ويحرم على القاضي أن يحكم وهو غضبان.

وإذا اجتمع في القاضي: قلة علم، وسوء قصد، وأخلاق زعرة^(١)، وقلة ورع فقد تم خسارته، ووجب عليه أن يعزل نفسه ويبادر بالخلاص من النار فتسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى، إنه الجواد الكريم.

موعظة

يا من عمره كلما زاد نقص .. يا من يأمن ملك الموت وقد اقتصر.

يا مائلاً إلى الدنيا .. هل سلمت من النقص؟

يا مفرطاً في عمره .. هل بادرت الفرص؟

يا من إذا ارتقى في منهاج الهدى، ثم لاح له الهوى نكص

من لك يوم الحشر عند نشر القصص؟

عجباً لنفس .. أمست بالليل هاجعة، ونسيت أهوال يوم الواقعة!

وتقرعها المواعظ، فتصغي لها سامعة .. ثم تعود الزواجر عنها ضائعة.

(١) في الأساس: زهر الرجل زهراً: ساء خلقه، وقُلْ خيره.

والنفوس غدت في كرم الكريم طامعة ..!
وليست له في حال من الأحوال طائعة!
والأقدام سعت في الهوى في طرق شاسعة ..!
بعد أن وضحت من الهدى سبيل واسعة.
والهمم شرعت في مشاريع الهوى متنازعة.
لم تكن مواعظ العقول لها نافعة.
وقلوب تضرر التوبة إذا فزعت بزواج رادعة.
ثم تعود إلى ما لا يحل مرارًا متتابعة.

الكبيرة السادسة والستون أخذ الرشوة على الحكم

- قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]، أي: لا تدلوا بأموالكم إلى الحكام، أي: لا تصانعوهم بها، ولا ترشوهم؛ ليقطعوا لكم حقاً لغيركم، وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ فِي الْحُكْمِ) رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه والحاكم ^(١) وزادوا (والرائش).

- وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ فِي الْحُكْمِ» رواه الطبراني بإسناد جيد.

- قال العلماء: فالراشي: هو الذي يعطي الرشوة، والمرتشي: هو الذي يأخذ الرشوة، وإنما تلحق اللعنة الراشي: إذا قصد بها أذية مسلم، أو ينال بها ما لا يستحق، أما إذا أعطى ليتوصل إلى حق له، ويدفع عن نفسه ظمناً، فإنه غير داخل في اللعنة، وأما الحاكم: فالرشوة عليه حرام، أبطل حقاً، أو دفع ظمناً.

- وأما الرائش: وهو الساعي بينهما، فهو تابع للراشي في قصده، فإن قصد خيراً لم تلحقه اللعنة، وإلا لحقته.

- وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (الرشوة في الحكم كفر، وهي بين الناس سحت) رواه الطبراني موقوفاً بإسناد صحيح.

(١) وأقره الذهبي (١٠٣/٤).

فصل

- ومن ذلك ما روى أبو داود في سننه^(١) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شفع لأخيه بشفاعة، فأهدى له هدية عليها فقبلها، فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا».

- وعن ابن مسعود قال: «السحت أن تطلب لأخيك الحاجة، فتقضى فيهدي إليك هدية، فتقبلها منه».

- وعن مسروق أنه كلم ابن زياد في مظلمة، فردها فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفًا، فردها ولم يقبلها، وقال: سمعت ابن مسعود يقول: (من ردَّ عن مسلم مظلمة، فأعطاه على ذلك قليلًا أو كثيرًا فهو سحت) فقال الرجل: يا أبا عبد الرحمن ما كان نظن أن السحت إلا الرشوة في الحكم، فقال: ذلك كفر، نعوذ بالله منه، ونسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومكره.

حكاية

- عن الإمام أبي عمرو الأوزاعي رحمته الله وكان يسكن بيروت: أن نصرانيًا جاء إليه، فقال: إن والي بعلبك ظلمني بمظلمة، وأريد أن تكتب إليه وأتاه بقلة عسل، فقال الأوزاعي رحمته الله: إن شئت رددت القلة، وكتبت لك، وإن شئت أخذت القلة، فكتب له إلى والي: أن ضع عن هذا النصراني من خراج، فأخذ القلة والكتاب ومضى إلى والي فأعطاه الكتاب، فوضع عنه ثلاثين درهما بشفاعة الإمام رحمه الله وحشرنا في ذمته.

موعظة

عباد الله ...

تدبروا العواقب ... واحذروا قوة المعاقب ...

واخشوا عقوبة المعاقب، وخافوا سلب السالب، فإنه والله طالب غالب.

(١) سنن أبي داود (٣/٢٩٢) من طريق القاسم بن عبد الرحمن، قال ابن عبد الهادي: والقاسم مختلف في توثيقه، والترمذي يصحح حديثه (١٥١) المحرر.

أين الذين قعدوا في طلب المنى وقاموا؟
وداروا في توطئة دار الرحيل وحاموا...؟
ما أقل ما لبثوا، وما أوفى ما أقاموا!

لقد وبخوا نفوسهم في قعر قبورهم على ما أسلفوا ولا مواء:
أما والله لو علم الأنعام لما خلّقوا لما هجعوا وناموا
لقد خلّقوا الأمر لورأته عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
مات ثم قبر ثم حشر وتوبيخ وأهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت رجال فصلّوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا كأهل الكهف أيقاظ نيام

يا من بأقذار الخطايا قد تلطخ وبآفات البلايا قد تضمخ
يا من يسمع كلام من لام ووبخ... يعقد التوبة حتى إذا أمسى يفسخ
يا مطلقاً لسانه والملك يحصى وينسخ...
يا من طير الهوى في صدره قد عشش وفرخ
كم أباد الموت ملوكاً كالجبال الشوامخ...!
كما أزعج قواعد كانت في الكبر ترسخ!
وأسكنهم ظلم اللحد، ومن ورائهم برزخ.
يا من قلبه من بدنه بالذنوب أوسخ.
يا مبارزاً بالعظائم.. أتأمن أن يخسف بك أو تمسخ؟!
يا من لازم العيب بعد استمال الشيب.. ففعله يؤرخ.
والحمد لله دائماً أبداً.

الكبيرة السابعة والستون شهادة الزور

- قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢]، هذا هو الوصف السابع من أوصاف عباد الرحمن^(١)، أي: لا يشهدون الشهادة الباطلة شهادة الزور التي تضییع حقوق الناس^(٢).

- وعن ابن عمر^{رضي الله عنه} قال: قال رسول الله ﷺ: «لن تزول قدما شاهد الزور حتى يوجب الله له النار» رواه ابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح الإسناد^(٣). (١٦٦/٣)

- وعن ابن مسعود^{رضي الله عنه} قال: (عدلت شهادة الزور الإشرک بالله ثلاث مرات)، ثم قرأ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، رواه الطبراني بإسناد حسن. (١٦٦/٣)

- قال المصنف رحمه الله تعالى: شاهد الزور قد ارتكب عظام:

أحدها: الكذب والافتراء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، وفي الحديث: «يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب» رواه البزار وأبو يعلى ورواته رواة الصحيح. (٢٨/٤)

وثانيها: أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله أو عرضه أو روحه.

وثالثها: أنه ظلم الذي شهد له، بأنه ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت له النار، وقال ﷺ: «فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار» متفق عليه (١١٧)

(١) وتفصيلها من أول قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

(٢) صفوة التفاسير (٩٦٧).

(٣) وأقره الذهبي (٩٨/٤) لكن قال البوصيري: في إسناده محمد بن الفرات متفق على ضعفه، وكذبه الإمام أحمد. (٧٩٤/٢).

ورابعها: أنه أباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض، قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ - ثلاثاً - الإشراف بالله وعقوق الوالدين، ألا وشهادة الزور، وقول الزور» وكان متكئاً فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت، رواه البخاري ومسلم والترمذي (١٦٦/٣) فنسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل بلاء.

الكبيرة الثامنة والستون الكذب الذي فيه حد أو إضرار

- [قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، أي: لا يوفق للهدى، ولا يرشد للدين الحق من كان كاذبًا على ربه، مبالغًا في كفره^(١).
- وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِقَايَتِ اللَّهِ﴾، أي: لا يكذب على الله إلا من لم يؤمن بالله ولا بآياته؛ لأنه لا يخاف عقابًا يردعه، فالكذب جريمة فاحشة لا يقدم عليها مؤمن: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، أي: هم الكاذبون على الحقيقة^(٢).
- وقال تعالى: ﴿قَتِلَ الْحَرَصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠] يعني: لعن الكاذبون^(٣).
- وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، أي: لا يوفق للهداية والإيمان من هو مسرف في الضلال، مبالغ في الكذب على الله^(٤).
- وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا» وخرجه أيضًا الترمذي وصححه وهذا لفظه. (٢٧/٤)
- وفي الصحيحين أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان». (٤٣/٤)

(١) صفوة التفاسير (١٢٣٤).

(٢) صفوة التفاسير (٧٢٨).

(٣) وهو قول الحسن كما في النكت والعيون (١٠٧/٤) قال ابن الأنباري: «والقتل إذا أخبر عن الله تعالى به فهو بمعنى اللعنة، لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول المالك»، نقله في زاد المسير (٣٠/٨).

(٤) صفوة التفاسير (١٢٦٢).

- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خِصلةٌ منهم، كانت فيه خِصلةٌ من النفاق حتى يدعها، إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢٧/٤)

- وفي صحيح البخاري في حديث منام النبي ﷺ الذي رواه سمرة بن جندب، قال: «فأتينا على رجلٍ مستلقٍ على قفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد وإذا هو يأتي أحد شقى وجهه فيشرشر شذقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، قال: ثم يتحول إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، قال: فما يفرغ من ذلك الجانب، حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى، قلت: سبحان الله، ما هذا؟! قال: لي: انطلق انطلق، ثم فسر الملكان للنبي ﷺ تأويل ذلك فقالا: وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شذقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق».

والكلوب: (بفتح الكاف وضمها وتشديد اللام) هي حديدة معوجة الرأس وقوله: «يشرشر شذقه» هو بشينين معجمتين الأولى منها مفتوحة والثانية مكسورة وراءين الأولى منها ساكنة، ومعناه: يقطعه ويشقه.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذابٌ أليم: شيخ زانٍ وملك كذاب، وعائل مستكبر» رواه مسلم وغيره (٣٠/٤) العائل: الفقير.

- وعن هز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له» رواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وغيرهم.

- وفي الحديث: «يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب» رواه البزار وأبو يعلى، ورواه رواة الصحيح.

(٢٨/٤)

- وعن النّوأس بن سمعان ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت له كاذب» رواه أحمد عن شيخه عمر بن هارون، وفيه خلاف وبقيّة رواته ثقات. (٢٨/٤)

- وقال ابن مسعود ؓ: «لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت في قبله نكتة سوداء، حتى يسود قلبه، فيكتب عند الله من الكاذبين».

- وأعظم من ذلك الحلف، كما أخبر الله تعالى عن المنافقين بقوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: ١٤].

- وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل، ورجل بايع رجلاً بسلمته بعد العصر فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا، فصدقه فأخذها، وهو على غير ذلك، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا للدنيا؛ فإن أعطاه منها ما يريد وقى له، وإن لم يعطه لم يف» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٣٠/٣)

- ومن أعظم الكذب: الكذب في الرؤيا:

- وفي الحديث: «من تحلّم بحلم لم يره كُلف أن يعقد بين شعرتين ولن يفعل» رواه البخاري. (٥٤٥)

وتحلّم: أي قال: إنه حلم في نومه، ورأى كذا وكذا، وهو كاذب.

- وقال رسول الله ﷺ: «أفرى القرى: أن يري الرجل عينيه ما لم تريا» رواه البخاري عن ابن عمر. (٥٤٥)

معناه: أن يقول: رأيته في منامي كَيْت وكَيْت، ولم يكن رأى شيئاً.

- فينبغي للمسلم أن يحفظ لسانه عن الكلام، إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة فإن في السكوت سلامة، والسلام لا يعدلها شيء.

- وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت».

فهذا الحديث المتفق على صحته نصٌ صريح في أنه لا ينبغي للإنسان أن يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرًا، وهو الذي ظهرت مصلحته للمتكلم.

- قال أبو موسى قلت: يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٢/٤)

- وفي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعًا: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» ما يتبين فيها، أي: ما يتفكر هل هي خير أو شر؟ (٩/٤)

- وفي موطأ مالك من رواية بلال بن الحارث المزني عن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه» وخرَّجه كذلك الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. (٩/٤)

- والأحاديث الصحيحة بنحو ما ذكرنا كثيرة، وفيما أشرنا إليه كفاية.

- وسئل بعضهم: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟

فقال: هي أكثر من أن تحصى، والذي أحصيت ثمانية آلاف عيب ووجدت خصلة إذا استعملتها سترت العيوب كلها، وهي حفظ اللسان جنبًا الله معاصيه، واستعملنا فيما يرضيه إنه جواد كريم.

موعظة

أيها العبد:

لا شيء أعز عليك من عمرك، وأنت تضيعه!

ولا عدوك كالشيطان وأنت تطيعه.

ولا أضرم من موافقة نفسك وأنت تصافيه..

ولا بضاعة سوى ساعات السلامة، وأنت تسرف فيها!

لقد مضى من عمرك الأطايب، فما بقى بعد شيب الذوائب؟
يا حاضر البدن والقلب غائب، اجتماع العيب والشيب من جملة المصايب ..
يمضي زمن الصبا وحب الحبايب .. كفى [الموت] زاجراً واعظاً تشيب منه الذوائب.
يا غافلاً فاته أفضل المناقب .. أين البكا لخوف العظيم الطالب؟
أين الزمان الذي ضاع في الملاعب؟ أما نظرت؟ فيه آخر العواقب!
كم في القيامة من دمع ساكب، على ذنوب قد حواها كتاب الكاتب؟
من لي إذا قمت في موقف المحاسب.
وقيل لي: ما صنعت في كل واجب؟
كيف ترجو النجاة تلهو بأسر الملاعب؟ .. إذا أمتلك الأمانى بظن الكاذب.
الموت صعب شديد مر المشارب .. يلقي شره بكاس صدور الكتائب.
فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب .. يأتي بقهر ويرمي بسهم صائب.
يا آملاً أن تبقى سليماً من النوائب .. بنيت بيتاً كنسيح العناكب.
أين الذين علوا متون الركائب؟ .. ضيقت بهم المنايا سبل المذاهب.
وأنت بعد قليل حليف المصايب .. فانظر وتفكر قبل العجايب

الكبيرة التاسعة والستون

القمار

- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قال ابن عباس: الخمر: جميع الأشربة التي تسكر، والميسر: القمار كانوا يتقمارون به في الجاهلية ﴿وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ﴾، قال ابن عباس ومجاهد: ﴿وَالْأَنْصَابُ﴾ حجارة كانوا يذبحون قربانهم عندها، ﴿وَالْأَزْلَمُ﴾ قَداح كانوا يستقسمون بها، ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: قَذِرٌ ونجسٌ تعافه العقول، وخبيثٌ مستقذر من تزيين الشيطان ﴿فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، أي: اتركوه، وكونوا في جانب آخر بعيدٍ عن هذه القاذورات؛ لتفوزوا بالثواب العظيم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾، أي: ما يريد الشيطان بهذه الرذائل إلا إيقاع العداوة والبغضاء بين المؤمنين في شربهم الخمر ولعبهم القمار، ﴿وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١]، استفهام معناه الأمر، أي: انتهوا، ولذلك قال عمر: انتهينا ربنا انتهينا.

- قال أبو حيان: ذكر الله تعالى في الخمر والميسر مفسدتين:

أحدهما: دنيوية، والأخرى: دينية.

فأما الدنيوية: فإن الخمر تثير الشرور والأحقاد، وتثول بشاربها إلى التقاطع وأما الميسر، فإن الرجل لا يزال يقامر حتى يبقى سليباً لا شيء له وينتهي إلى أن يقامر حتى على أهله وولده.

وأما الدينية: فالخمر لغلبة السرور والطرب بها تلهي عن ذكر الله وعن الصلاة، والميسر سواء كان غالباً أو مغلوباً يلهي عن ذكر الله^(١).

(١) صفوة التفاسير (٣٤٩-٣٥٠).

- والميسر: هو القمار بأي نوع كان: نرد، أو شطرنج، أو فصوص، أو كعاب، أو جوز، أو بيض، أو حصي، أو غير ذلك.
- وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذي نهى الله عنه بقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾.
- وداخل في قوله ﷺ: «إن رجلاً يتخوِّضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة» رواه البخاري عن خولة بنت عامر.
- وفي صحيح البخاري^(١) أن رسول الله ﷺ قال: «ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتبصّدق»، فإذا كان القول يوجب الكفارة، أو الصدقة، فما ظنك بالفعل؟

فصل

- اتفق العلماء على تحريم اللعب بالنرد وإن خلا عن رهن؛ لما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من لعب بالنردشير، فكأنما غمس يده في لحم خنزير ودمه» رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه من حديث بريدة.
- وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لعب بنرد أو نردشير فقد عصي الله ورسوله» رواه مالك وغيره وصححه الحاكم على شرط الشيخين^(٢).
- أما الشطرنج: فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها، سواء كان برهن أو بغيره، أما برهن، فهو قمار بلا خلاف، وأما الكلام إذا خلا عن الرهن، فهو أيضًا قمار حرام عند أكثر العلماء، وكرهه الشافعي كراهة تنزيه.
- وسئل النووي رحمه الله عن اللعب بالشطرنج أحرام أم جائز؟ فأجاب رحمه الله تعالى: هو حرام عند أكثر أهل العلم.
- وسئل أيضًا عن لعب الشطرنج، هل يجوز أم لا؟ وهل يأثم اللاعب بها أم لا؟ أجاب رحمه الله: إن فوّت به صلاة عن وقتها، أو لعب بها على عوض، فهو حرام وإلا: فمكروه عند الشافعي، وحرام عند غيره، وهذا كلام النووي في فتاويه.

(١) البخاري (١٦٥/٨).

(٢) وأقره الذهبي (٥٠/١).

- والدليل على تحريمه على قول الأكثرين في قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ﴾ [المائدة: ٣] قال سفيان ووكيع بن الجراح: هي الشطرنج.

- وقال علي بن أبي طالب ؓ: (الشطرنج ميسر الأعاجم)، ومروءة على قوم يلعبون بها فقال: (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ لأن يمس أحدكم جمراً حتى يطفئ خير له من أن يمسها) ثم قال: (والله لغير هذا خلقتكم).

- وقال أيضاً ؓ: (صاحب الشطرنج أكذب الناس: يقول أحدهم: قتلت، وما قتل، ومات، وما مات).

- وقال أبو موسى الأشعري ؓ: (لا يلعب الشطرنج إلى خاطئ).

- وقيل لإسحاق بن راهويه: أترى في اللعب بالشطرنج بأساً؟ فقال: (البأس كله فيه)، فقليل له: إن أهل الثغور يلعبون بها لأجل الحرب، فقال: هو فجور.

وسئل ابن عمر ؓ عن الشطرنج، فقال: (هي أشر من النرد).

- وسئل محمد بن كعب القرظي عن اللعب بالشطرنج فقال:

(أدنى ما يكون فيها أن اللاعب بها يعرض يوم القيامة، أو قال: يحشر يوم القيامة مع أصحاب الباطل).

- وقيل لإبراهيم النخعي: ما تقول في اللعب بالشطرنج؟ فقال: (إنها ملعونة)

- وسئل الإمام مالك بن أنس ؓ عن الشطرنج فقال:

(الشطرنج من النرد، بلغنا عن ابن عباس أنه ولي مالا ليتيم فوجدها في تركة والد اليتيم فأحرقها، ولو كان اللعب بها حلالاً لما جاز له أن يحرقها؛ لكونها مال اليتيم.

ولكن لما كان اللعب بها حراماً أحرقها، فتكون من جنس الخمر إذا وجد في مال اليتيم، وجبت إراقته، كذلك الشطرنج)

وهذا مذهب حبر الأمة ؓ.

- وَرَوَى: (أَنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثِينَ نَظْرَةً إِلَى خَلْقِهِ، لَيْسَ لِمَا يَشَاءُ فِيهَا نَصِيبٌ) يَعْنِي لَا يَلْعَبُ الشَّطْرَنْجَ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ: شَاءَ مَاتَ.

- وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا مِثْلُ لَهُ جُلَسَاؤُهُ الَّذِينَ كَانُوا جَالِسَهُمْ فَأَخْتَضِرَ رَجُلٌ مِنْهُمْ كَانَ يَلْعَبُ الشَّطْرَنْجَ، فَقِيلَ لَهُ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ: شَاهَكَ... ثُمَّ مَاتَ، فَغَلَبَ عَلَى لِسَانِهِ مَا كَانَ يَعْتَادُهُ حَالِ حَيَاتِهِ فِي اللَّعِبِ، فَقَالَ عَوْضُ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ: شَاهَكَ.

- وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي إِنْسَانٍ آخَرَ مَنْ كَانَ يَجَالِسُ شُرَابَ الْخَمْرِ: أَنَّهُ عَيْنَ خَضِرِهِ الْمَوْتُ جَاءَهُ إِنْسَانٌ يَلْقَاهُ الشَّهَادَةَ، فَقَالَ لَهُ: اشْرَبْ وَاسْقِنِي ثُمَّ مَاتَ... فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ.

- وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثٍ مَرْوِيٍّ:

«يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

فَنَسَأَلَ اللَّهُ الْمَنَانَ بِفَضْلِهِ أَنْ يَتَوَفَّانَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ لَا مُبَدِّلِينَ، وَلَا مُغَيِّرِينَ، وَلَا فَصَالِينَ وَلَا زَائِعِينَ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

- وَرَوَى أَيْضًا: (إِذَا مَرُوتُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَلْعَبُونَ هَذِهِ الْأَزْلَامَ = الثَّرْدَ وَالشَّطْرَنْجَ = وَمَا كَانَ مِنَ اللَّهِوِ فَلَا تَسْلَمُوا عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا، وَأَكْبَرُوا عَلَيْهَا جَاءَهُمُ الشَّيْطَانُ بِجَنُودِهِ، فَأَحْدَقَ بِهِمْ: كُلُّهَا ذَهَبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَصْرِفُ بَصَرَهُ عَنْهَا لِكَرْهِ الشَّيْطَانِ بِجَنُودِهِ، فَلَا يَزَالُونَ يَلْعَبُونَ حَتَّى يَتَفَرَّقُوا، كَالْكِلَابِ: اجْتَمَعَتْ عَلَى جِيْفَةٍ، فَأَكَلَتْ مِنْهَا حَتَّى مَلَأَتْ بَطُونَهَا، ثُمَّ تَفَرَّقَتْ، وَلَا نَهْمَ يَكْذِبُونَ عَلَيْهَا، فَيَقُولُونَ: شَاءَ مَاتَ).

(١) صحيح مسلم (٢٢٠٦/٤).

الكبيرة السبعون

سب أحد الصحابة (رضوان الله عليهم)

= ثبت في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب».

(١٨٠)

ومعنى (آذنته): أعلمته أني محارب له.

- وقال ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدَّ أحدكم ولا نصيفه» مخرج في الصحيحين^(١).

- وقال ﷺ: «الله... الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» أخرجه الترمذي، وقال: غريب^(٢).

ففي هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضاً بعد رسول الله ﷺ وسبهم واغترى عليهم وعابهم، وكفرهم واجترأ عليهم.

وقوله ﷺ: «الله الله»: كلمة تحذير وإنذار، كما يقول المحذر: النار النار، أي: احذروا النار.

وقوله: «لا تتخذوهم غرضاً بعدي»، أي: لا تتخذوهم غرضاً للسب والطعن كما يقال: اتخذ فلاناً غرضاً لسيئه، أي: هدفاً للسب.

وقوله: «فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم» فهذا من أجل الفضائل والمناقب؛ لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله ﷺ ونصروه وآمنوا به، وعزروه، وواسوه بالأنفس والأموال، فمن أحبهم فإنما أحب النبي ﷺ، فحب أصحاب النبي ﷺ عنوان محبته، وبغضهم عنوان بغضه، كما جاء في الحديث الصحيح: «حب الأنصار آية الإيمان وبغضهم آية النفاق» رواه مسلم^(٣).

(١) وهذا اللفظ مسلم (٤/١٩٦٧).

(٢) الترمذي (٥/٦٩٦)، وفي التحفة (١٠/٣٦٥): حسن غريب.

(٣) صحيح مسلم (١/٨٥).

وما ذاك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدي رسول الله ﷺ.

- وكذلك حب علي ﷺ من الإيمان، وبغضه من النفاق؛ فقد خرَّج مسلم في صحيحه^(١) عن علي ﷺ قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأُمِّي ﷺ إليّ: «أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق».

- فإذا كان هذا قاله النبي ﷺ في حق علي، فالصديق بالأولَى والأحرى؛ لأنه أفضل الخلق بعد النبي ﷺ، ومذهب عمر وعلي ﷺ أن من فضّل على الصديق أحدًا، فإنه يجلد حد المفتري^(٢).

- وإنما يعرف فضائل الصحابة ﷺ من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ، وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان، والمجاهدة للكفار، ونشر الدين وإظهار شعائر الإسلام، وإعلاء كلمة الله ورسوله، وتعليم فرائضه، وسنته ولولا هم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضًا، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا.

- فمن طعن فيهم، أو سبهم، فقد خرج من الدين، ومرق من ملة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساوئهم، وإضرار الحق فيهم وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم، وحبهم.

ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور، والوسائل من المنقول، والطعن في الوسائل طعن في الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته.

وحسبك ما جاء في الأخبار والآثار من ذلك.

كقول النبي ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى اختارني واختار لي أصحابًا فجعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل» رواه الحاكم وصححه^(٣).

(١) صحيح مسلم (٨٦/١)

(٢) الزيادة في كتاب الكبائر وتبيين المحارم (١٥٠)

(٣) وأقره الذهبي (٦٣٢/٣).

- وعن عبد الله بن مسعود قال: (إن الله عزَّ وجلَّ نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعته برسالاته، ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه ﷺ يقاتلون عن دينه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ) رواه أحمد والبخاري والطبراني في الكبير ورجاله موثقون^(١).

- وعن عائشة ~~رضي الله عنها~~ قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي لعن الله من سب أصحابي» رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير علي بن سهل، وهو ثقة^(٢).

- وعن عبد الله بن مسعود ~~رضي الله عنه~~ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا» رواه الطبراني بإسناد حسن^(٣).

- قال العلماء: معناه: من فحص عن سر القدر في الخلق، وهو - أي: الإمساك - علامة الإيمان والتسليم لأمر الله، وكذلك النجوم، ومن اعتقد أنها فعالة أو لها تأثير من غير إرادة الله عزَّ وجلَّ فهو مشرك.

وكذلك من ذمَّ أصحاب رسول الله ﷺ بشيء وتبع عثراتهم، وذكر عيباً وأضافه إليهم كان منافقاً، بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله وحب ما جاء به، وحب من يقوم بأمره، وحب من يأخذ بهديه ويعمل بسنته وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وغللانه وخدامه، وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم؛ لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

- قال أيوب السخيتاني ~~رضي الله عنه~~: (من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن قال الخير في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق).

(١) مجمع الزوائد (١/ ١٧٧).

(٢) مجمع الزوائد (١٠/ ٢١).

(٣) قاله الحافظ العراقي في تخریج أحاديث الإحياء (١/ ٣٦).

فصل

- وأما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر، وأجمعت علماء السنة أن أفضل الصحابة العشرة المشهود لهم، وأفضل العشرة: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب عليه السلام أجمعين ولا يشك في ذلك إلا مبتدع منافق خبيث.
- وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك في حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه، حيث قال: «... فعليكم بستي وستة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور ... الحديث» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

قوله: «عضوا عليها بالنواجذ»، أي: اجتهدوا على السنة والزموها، واحرصوا عليها، كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه، خوفاً من ذهابه وتقلته.

و«النواجذ» (بالنون والجيم والذال المعجمة): هي الأثياب، وقيل: الأضراس.

الخلفاء الراشدون هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي عليهم السلام أجمعين.

- وأنزل الله في فضائل أبي بكر رضي الله عنه آيات من القرآن.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْكُلُ أُولَ الْأَقْصَلِ مِنكُمْ وَالشَّعْءُ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْنِ وَالْمَسْكِينِ﴾

[النور: ٢٢].

لا خلاف أن ذلك فيه، فنعته بالفضل رضوان الله عليه.

وقال تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾

فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ [التوبة: ٤٠].

لا خلاف أيضاً أن ذلك في أبي بكر رضي الله عنه شهدت له الربوبية بالصحة، وبشره بالسكينة،

وحلاه بثاني اثنين.

كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من يكون أفضل من ثاني اثنين الله ثالثهما؟

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٣].

قال جعفر الصادق: لا خلاف أن ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي

﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ أبو بكر رضي الله عنه، وأي منقبة أبلغ من ذلك فيهم رضي الله عنهم !!

مراجع التحقيق

- ١- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ط. السنة المحمدية
- ٢- إحياء علوم الدين للغزالي (ت ٥٠٥) ط. عيسى الحلبي
- ٣- الأذكار للنووي (ت ٦٧٦) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ط. بيروت
- ٤- أساس البلاغة للزمخشري (ت ٥٢٨) ط. بيروت
- ٥- أسباب النزول للواحدي (ت ١٤١) ط. المتنبي
- ٦- الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء للغفاري ط. القاهرة
- ٧- إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه (ت ٣٧٠) ط. المتنبي
- ٨- الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤) ط. الشعب
- ٩- إغائة اللفهان من مصائد الشيطان لابن القيم (ت ٧٥١) ط. مصطفى الحلبي
- ١٠- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، لابن عبد البر (ت ٤٦٣) ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
- ١١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت ٧٩١) ط. البهية
- ١٢- بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد (ت ٥٩٥) ط. مصطفى الحلبي
- ١٣- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ت ٢١٣) ط. دار التراث
- ١٤- التيسرة لابن الجوزي (ت ٥٩٧) ط. عيسى الحلبي
- ١٥- تحفة الأحوذى للمباركفوري (ت ١٣٥٣) ط. المكتبة السلفية بالمدينة المنورة
- ١٦- تحريج أحاديث الإحياء للعراقي (ت ٨٠٦) ط. عيسى الحلبي
- ١٧- الترغيب والترهيب للمنذري (ت ٦٥٦) ط. منير النمشقي
- ١٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت ٧٧٤) ط. مكتبة شباب الأزهر
- ١٩- تلخيص الحبير لابن حجر (٨٥٢) ط. الكليات الأزهرية
- ٢٠- الجامع الأزهر من أحاديث النبي الأنور للمناوي (ت ٩٠٣٩) ط. المركز العربي للطبع والنشر
- ٢١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (ت ٣١٠) ط. دار المعارف

- ٢٢- جمهرة الأجزاء الحديثية اعتناء وتخريج محمد زياد نكلة ط. مكتبة العبيكان
- ٢٣- الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي (ت ٦٧١) ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب
- ٢٤- الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي (ت ٩١١) ط. دار المعرفة بيروت
- ٢٥- رياض الصالحين للنووي (ت ٦٧٦) ط. مكتبة الدعوة الإسلامية
- ٢٦- زاد المسلم في علم التفسير لابن الجوزي (ت ٥٩٧) ط. المكتب الإسلامي
- ٢٧- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (ت ٧٥١) ط. المطبعة المصرية
- ٢٨- الزهد للإمام أحمد (ت ٢٤١) ط. مطبعة أم القرى
- ٢٩- الزواجر لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤) ط. دار الشعب
- ٣٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ط. المكتب الإسلامي
- ٣١- سنن ابن ماجه (ت ٢٧٥) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط. عيسى الحلبي
- ٣٢- سنن أبي داود (ت ٢٧٥) تحقيق محيي الدين عبد الحميد ط. المكتبة التجارية الكبرى
- ٣٣- سنن أبي داود (ت ٢٧٥) تعليق الشيخ ناصر الدين الألباني عناية مشهور بن حسن آل سلمان ط. مكتبة المعارف الرياض
- ٣٤- سنن الترمذي (ت ٢٩٧) تحقيق أحمد شاكر ط. مصطفى الحلبي
- ٣٥- سنن الترمذي (ت ٢٩٧) تعليق الشيخ ناصر الدين الألباني عناية مشهور بن حسن آل سلمان ط. مكتبة المعارف الرياض
- ٣٦- سنن النسائي (ت ٣٠٣) بحاشية السيوطي والسندي ط. دار الفكر بيروت
- ٣٧- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢) ط. المكتب الإسلامي
- ٣٨- الشريعة، الآجري (ت ٣٦٠) ط. أنصار السنة المحمدية - لاهور
- ٣٩- صحيح البخاري للإمام البخاري (ت ٢٥٦) ط. دار الشعب
- ٤٠- صحيح ابن خزيمة (ت ٣١١) تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ط. المكتب الإسلامي
- ٤١- صحيح مسلم (ت ٢٦١) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط. عيسى الحلبي
- ٤٢- صفوة التفاسير للصابوني ط. مكتبة الغزالي

- ٤٣- عدة الصابرين لابن القيم (ت ٧٥١) ط. المتنبي
- ٤٤- عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ط. مكتبة شباب الأزهر
- ٤٥- عمدة التفسير، للمحافظ ابن كثير ط. مكتبة المعارف
- ٤٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم ط. المكتبة السلفية - المدينة المنورة
- ٤٧- الفتاوى الكبرى لابن تيمية (ت ٧٢٨) ط. فرج الله زكي الكردي
- ٤٨- فتح الباري لابن حجر (ت ٨٥٢) ط. مكتبة الكليات الأزهرية
- ٤٩- فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للبخاري فضل ط. المكتبة السلفية
الله الجيلاني
- ٥٠- الفوائد لابن القيم (ت ٧٥١) ط. المتنبي
- ٥١- فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي للمناوي (ت ١٠٣١) ط. المكتبة التجارية الكبرى
- ٥٢- القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت ٨١٧) ط. المطبعة الحسينية
- ٥٣- الكبائر للذهبي (ت ٧٤٨) ط. المتنبي ودار السلام
- ٥٤- الكبائر وتبيين المحارم للذهبي (ت ٧٤٨) تحقيق محي ط. مؤسسة علوم القرآن
الدين مستو
- ٥٥- كتاب التعازي لأبي الحسن علي بن محمد المدائني (ت ٢٢٨) ط. العراق
- ٥٦- كتاب الصلاة لابن القيم (ت ٧٥١) ط. المكتبة السلفية
- ٥٧- كتاب القرطين لابن مطرف الكتاني (ت ٤٥٤) ط. دار المعرفة
- ٥٨- لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١) ط. دار المعارف
- ٥٩- اللؤلؤ والمرجان جمع فؤاد عبد الباقي ط. عيسى الحلبي
- ٦٠- مجمع الزوائد للهيتمي (ت ٨٠٧) ط. مكتبة القدسي
- ٦١- محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢) ط. عيسى الحلبي
- ٦٢- المحرر في أحاديث الأحكام لابن عبد الهادي (ت ٧٤٤) ط. المكتبة التجارية الكبرى

- ٦٣- مختصر تذكرة المقرطبي للشعراني (ت ٩٧٣) ط. دار الوعي
- ٦٤- مختصر مبین أبي داود للمنذري (ت ٦٥٦) ط. مكتبة السنة المحمدية
- ٦٥- المستدرك للحاکم (ت ٤٠٥) ط. دار الكتاب العربي - بيروت
- ٦٦- مستند الأجناد في آلات الجهاد لابن جماعة (ت ٨١٩) ط. وزارة الثقافة العراقية
- ٦٧- مسند الإمام أحمد تحقيق أحمد شاكر ط. دار المعارف
- ٦٨- مشارق الأنوار للقاضي عياض (ت ٥٤٤) ط. دار التراث
- ٦٩- المصباح المنير للفيومي (ت ٧٧٠) ط. دار الكتب العلمية - بيروت
- ٧٠- المعجم الوسيط ط. مجمع اللغة العربية
- ٧١- المعجم الوجيز ط. مجمع اللغة العربية
- ٧٢- المغني لابن قدامة (ت ٦٢٠) ط. مكتبة القاهرة
- ٧٣- المقاصد الحسنة للسخاوي (٩٠٢) ط. مكتبة الخانجي
- ٧٤- مناقب الإمام الشافعي للسيهقي (ت ٤٥٨) ط. دار التراث
- ٧٥- المنتخب في تفسير القرآن ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
- ٧٦- المهذب للشيرازي (ت ٤٧٦) ط. عيسى الحلبي
- ٧٧- نهاية البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤) ط. المكتبة القيمة
- ٧٨- نيل الأوطار للشوكاني (ت ١٢٢٥) ط. مكتبة شباب الأزهر.

الفهرس

رقم
الصفحة

٥		ملامة التحقيق
١٥		مقدمة كتاب الكبائر
١٩	الشرك الأكبر	الكبيرة الأولى
٢٤	الرياء	الكبيرة الثانية
٢٩	الكبر والفخر والخيلاء والعجب	الكبيرة الثالثة
٣٢	البغي	الكبيرة الرابعة
٣٤	المكر والخديعة	الكبيرة الخامسة
٣٥	الأمن من مكر الله	الكبيرة السادسة
٣٩	اليأس من رحمة الله	الكبيرة السابعة
٤٢	التعلم للدنيا وتكتمان العلم	الكبيرة الثامنة
٤٥	الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ	الكبيرة التاسعة
٤٦	التكذيب بالقدر	الكبيرة العاشرة
٥٢	الغدر وعدم الوفاء بالعهد	الكبيرة الحادية عشرة
٥٤	الجدال والمراء واللدن	الكبيرة الثانية عشرة
٥٨	عدم التنزه من البول	الكبيرة الثالثة عشرة
٦٠	تعمد ترك الصلاة	الكبيرة الرابعة عشرة
٧٠	ترك صلاة الجماعة من غير عذر	الكبيرة الخامسة عشرة

رقم	الصفحة	
٧٥	٧٥	الكبيرة السادسة عشرة الإصرار على ترك صلاة الجمعة
٧٦	٧٦	الكبيرة السابعة عشرة لبس الحرير والذهب للرجال
٧٨	٧٨	الكبيرة الثامنة عشرة تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء
٨٢	٨٢	الكبيرة التاسعة عشرة إسبال الإزار والثوب واللباس والسراويل
٨٤	٨٤	الكبيرة العشرون اللطم والنياحة وشق الثوب وحلق الرأس
١٠١	١٠١	الكبيرة الحادية والعشرون منع الزكاة
١٠٧	١٠٧	الكبيرة الثانية والعشرون جباية المكوس
١١٠	١١٠	الكبيرة الثالثة والعشرون المن بالصدقة
١١٣	١١٣	الكبيرة الرابعة والعشرون منع فضل الماء
١١٤	١١٤	الكبيرة الخامسة والعشرون إفطار يوم من رمضان بلا عذر
١١٦	١١٦	الكبيرة السادسة والعشرون ترك الحج مع القدرة عليه
١١٧	١١٧	الكبيرة السابعة والعشرون الذبح لغير الله عزَّ وجلَّ
١١٩	١١٩	الكبيرة الثامنة والعشرون أكل الربا
١٢٢	١٢٢	الكبيرة التاسعة والعشرون أكل الحرام وتناوله على أي وجه كان
١٢٧	١٢٧	الكبيرة الثلاثون نقص الكيل والزرع وما أشبه ذلك
١٢٩	١٢٩	الكبيرة الحادية والثلاثون أكل مال اليتيم وظلمه
١٣٣	١٣٣	الكبيرة الثانية والثلاثون أذى الجار

رقم	الصفحة	
١٣٦	أذى المسلمين وشتهم	الكبيرة الثالثة والثلاثون
١٤١	أذية أولياء الله	الكبيرة الرابعة والثلاثون
١٤٤	الإضرار في الوصية	الكبيرة الخامسة والثلاثون
١٤٥	الحيانة في الأمانة	الكبيرة السادسة والثلاثون
١٤٩	النميمة	الكبيرة السابعة والثلاثون
١٥٤	رضا المطلق بالتحليل، وطوعية المرأة المطلقة	الكبيرة الثامنة والثلاثون
١٥٨	التصوير في الثياب والحيطان والحجر والدراهم	الكبيرة التاسعة والثلاثون
١٦٠	نشوز المرأة على زوجها	الكبيرة الأربعون
١٦٩	الديانة والقيادة بين الرجال والنساء	الكبيرة الحادية والأربعون
١٧٢	قذف المحصنات	الكبيرة الثانية والأربعون
١٧٤	اللعن	الكبيرة الثالثة والأربعون
١٨٣	تبرؤ الإنسان من نسبه	الكبيرة الرابعة والأربعون
١٨٤	عقوق الوالدين	الكبيرة الخامسة والأربعون
١٩١	هجر الأقارب	الكبيرة السادسة والأربعون
١٩٤	إباق العبد	الكبيرة السابعة والأربعون
١٩٥	الاستطالة على الضعيف والمملوك والجارية	الكبيرة الثامنة والأربعون
٢٠٢	قتل النفس	الكبيرة التاسعة والأربعون
٢٠٥	قتل الإنسان نفسه	الكبيرة الخمسون

رقم	الصفحة		
٢٠٨		السحر	الكبيرة الحادية والخمسون
٢١٠		تصديق الكاهن والمنجم	الكبيرة الثانية والخمسون
٢١٤		غش الإمام الرعية وظلمه لهم	الكبيرة الثالثة والخمسون
٢١٩		الظلم	الكبيرة الرابعة والخمسون
٢٣٢		الزنا	الكبيرة الخامسة والخمسون
٢٣٧		اللواط	الكبيرة السادسة والخمسون
٢٤٤		السرقه	الكبيرة السابعة والخمسون
٢٤٦		قطع الطريق	الكبيرة الثامنة والخمسون
٢٤٨		شرب الخمر	الكبيرة التاسعة والخمسون
٢٥٧		التسمُّع على الناس ما يسرون	الكبيرة الستون
٢٥٩		الفرار من الزحف	الكبيرة الحادية والستون
٢٦٠		الغلول من الغنيمة	الكبيرة الثانية والستون
٢٦٣		الدلالة على عورات المسلمين	الكبيرة الثالثة والستون
٢٦٤		اليمين الغموس	الكبيرة الرابعة والستون
٢٦٧		الظلم في القضاء	الكبيرة الخامسة والستون
٢٧١		أخذ الرشوة على الحكم	الكبيرة السادسة والستون
٢٧٤		شهادة الزور	الكبيرة السابعة والستون
٢٧٦		الكذب الذي فيه حد أو إضرار	الكبيرة الثامنة والستون
٢٨١		القمار	الكبيرة التاسعة والستون
٢٨٥		سب أحد الصحابة رضوان الله عليهم	الكبيرة السبعون
٢٨٩			المراجع
٢٩١			الفهرس

لن يمضى وقت طويل حتى يتضح لقارىء هذا
الكتاب ضخامة ما بذل فيه من جهد ليخرج فى
هذه الصورة من حيث :

* إكمال النقص : فقد أكمل بفضل الله عز وجل
الخرم فى المخطوطات المختلفة والنقص فى
طباعات الكتاب السابقة .

* والتحقيق : فقد كان وافيا حيث شمل الآيات
القرآنية بحظها من العناية فى الدلالة على
مواضعها والزيادة فى تفسيرها . كما أحاط
بالعناية النصوص الحديثية فذكر درجتها
وحذف الواهى منها ثم ضبطها وشرح غريبها
وذكر فوائدها . مع الاهتمام بتوثيق نص الكتاب
الأصلى وإيضاح المبهم وتوجيه فروعه
الفقهية .

* أما التهذيب والترتيب : فقد كانت العناية به
فائقة من ضم المسائل المتناظرة وترتيب الكتاب
على الأبواب الفقهية

كما تم تعديل أسماء بعض الكبائر مع إعادة
صياغة المادة العلمية للكتاب بزيادات مهمة
وفوائد جمة وفرائد منثورة .

كل ذلك وأكثر فى ثنايا الأبواب وطيات
الكتاب طلباً للذخر والثواب من المولى الكريم
الوهاب .

فدونك . أيها العابد الناسك والواعظ العالم .
كتاب الكبائر فى حلته الجديدة .

الناشر